مَعْرِضُ الكِتابِ

اغتيالٌ بدوافعَ أدبيةٍ

إهداء..

إلى معشوقتي الوحيدة.. ما نال من ابتغى منالَكِ منالَه..

أودعتِني في قلبكِ عشرين عامًا.. علمتِني كيف أبتسم أثناء حزني، وكيف آمل بعد يأسٍ.

أعلم أن الشكر سيرضيكِ وإن كان لن يوفِّيكِ، فشكرًا يا من علمتني كيف أحيا.

شكرٌ خاص:

الدكتور ثروت عكاشة.. وزير الثقافة الأسبق، وصاحب فكرة إقامة أول معرضٍ للكتاب في القاهرة عام 1969 .

الكاتبة والباحثة سهير القلماوي.. والتي قامت بالإشراف على إقامة معرض القاهرة الدولي للكتاب في نسخته الأولى.

توضيح:

أحداثُ هذه الروايةِ خياليةٌ من الألف إلى الياء، ولا تمتُّ إلى الواقع بصِلةٍ سواء من قريبٍ أو بعيدٍ، ولا يوجد بينها وبين الواقع أي تشابهٍ مقصودٍ أو غير مقصود.

1 - القِردُ وصاحبُه

خارج أسوار أحد البيوت المنعزلةِ على جانبٍ مِن الطريق الصحراوي، وفي ذلك الجوِّ المميز لنهاية يناير.. الجوُّ الذي تنقبضُ فيه روحُ الشتاء معلنةً الرحيل لترفقَ وصيتها الأخيرة في طيات تلك اللفحات الباردة..

وقف شبحان لرجلين: أولهما كان يُحاول تشغيل محرك دراجة بخارية فائقة السرعة من النوع (هوندا) النفاث الخاص بالسباقات.. أو كما يقولون عنه (ريس).. كان طويلًا ذا قوام نحيفٍ بعض الشيء.. تُحيط وجهَه لحيةٌ بنيةٌ متوسطةُ الطول أقل كثافةً من عند الفوديْن، ويعلوه شَعرٌ ناعمٌ طويلٌ يربطه بخيطٍ مطاطي أسود على طريقةِ ذيل الحصان.. وبين شفتيْه تستقر لفافة طباق باهظة الثمن من النوع البُني سميك القوام (سيجار).. يقف واثقًا غيرعابئ بدرجة الحرارة المنخفضة ولا بانعزال موقعهِ هو ورفيقه .

أما الآخر فكان يقف مرتجفًا.. يفرك أصابعه ببعضها في محاولةٍ فاشلةٍ منه لمقاومة برودة الصحراء التي لا رادع لها.. كان يُحرك [G1] أعضاءه كأنه فرخة حُبست في ثلاجةٍ مجمدةٍ.. كان متوسط الطول قمحي اللون ذا لحية خفيفة غير منتظمة.. كما كان على قدرٍ من البدانة ويحتل

منتصفَ وجهه أنفٌ صغيرٌ شديد الاحمرار وعينان لا تقلان عنه حمرةً تشيان بإرهاقٍ شديدٍ.. فتح فاهه الدقيقَ ليُحدِّث صاحبه قائلاً بلهجةٍ غاضبة:

- أنا راضي ذمتك.. بقى ده وقت سجاير؟!

- أنت ما بتشربش يا آدم عشان كده مش حاسس بقيمة الكنز اللي في إيدي.

رد عليه آدم غاضبًا:

- ما عنديش استعداد أكون مدمن زيك.. وأبقى تحت رحمة حاجة لو فلوسها مش معايا هابيع نفسي عشانها.

رد عليه محدثه بمنتهى الهدوء قائلًا:

- الإدمان مش هاتعاني منه غير في الحاجات الغالية اللي هاييجي عليك وقت وما تقدرش على تمنها زي البودرة مثلا.. إنما أنت لو بتدخن سجاير عادية يبقى عمرها ما هاتوحشك، فأكيد عمرك ما هتدمنها.

- الإدمان إدمان، ما بيفرقش بقى بين حاجة غالية وحاجة رخيصة.

ردَّ عليه الآخر متهكمًا:

- طب ما أنت بتحب الأكل وكرشك فاضحك آهه.. كده أنت مش حاطط جسمك تحت رحمة شهوة معينة؟

بدا على الأخير الحرج، فشفط بطنه لا إراديًّا وقال بصوتٍ حاول أن يجعله طبيعيًّا:

- مش هاقدر أقنعك يعني ترمي الزفت اللي في إيدك ده وتركز شوية؟.. خلّـي الموتوسيكل يشتغل ونروَّح بيوتنا بقى؟

- باحاول معاه بس إنسى إني أرمي السيجار.. ده سيجار كوبي أصلي يا ابني أنا ما صدقت الريِّس بتاعنا عزم عليا بيه.. ده الواحدة بمتين جنيه!

- فكرك هانعرف نبقى زي الريِّس في يوم من الأيام يا مالك؟

- أنت اللي ممكن تبقى زيه يا آدم.. أنت عندك كل حـ..

قطع جملته صوتُ محرك الدراجة النارية الذي أُدير بعد عناء ليُبدي آدم سعادته.. أما مالك فقد حاول مماطلة صاحبه لينهي ما تبقى من سيجارته.. فقال له آدم بلهجةٍ غاضبةٍ:

- انجز يا مالك عايز أروح.

- بقى ده جزائي إني عرضت عليك أوصلك لحد بيتكوا؟

- من إمتى الحنية دي؟.. ما أنا كل مرة باروَّح مع الريس، أو مع الشيخ جلالِ.

- الريس معادش فاضيلنا زي ما أنت عارف، وخصوصـًا اليومين دول.. والشيخ جلال هايصدعك بدروشته، ده غير إنه هايقضيها تسبيل مع حبيبة القلب الست يارا هانم.

- أنا مش غبي يا مالك، ولا أنت كمان.. أنت ما بتعملش حاجة لوجه الله.. يعني كلامنا ده وتمثيلك عليَّا إن المكنة مش راضية تدور، كل ده كان عشان تخلص السيجارة اللي في إيدك.. ممكن تفهمني بقى عايز توصّلني النهاردة بالذات ليه؟

رد عليه مالك قائلًا:

- أنت كنت قولتلي قبل كده إن أبوك الله يرحمه كان ظابط في الجيش.. صح؟

بدا الاندهاش واضحًا على آدم وقال:

- آه.. بس ماوعاش عليه.

قال مالك بفضول لم يستطع إخفاءه:

- معاك حاجة تثبت كده؟.. كارنيه النوادي بتاع القوات المسلحة مثلا؟

ضحك آدم متهكمًا، وقال وسط ضحكاته المفتعلة:

- نوادي مين يا ابني؟ أنا معايا كارنيه المحاربين القدماء.. أنا ابن الملازم صالح يـَكَنْ.. ده استشهد في العبور.

- ما يخصنيش مات في العبور ولا في الشروق.

- بطّل لطافة على أبويا يا مالك.. إحنا مش وسط معجبينك دلوقتي اللي بيتصوروا معاك ويقولوا لك يا "لوكا" ويا "ميكو" عشان تعمل روش عليا.

ركب مالك دراجته وأفسح مكانًا خلفه لآدم وقال:

- حقك عليا، يلا اركب بقى.. هانروح مشوار بسرعة وبعد كده هاوصلك لحد باب بيتكوا.. خد الخوذة دي إلبسها عشان المكن الريس مالوش أمان والوقعة منه بموتة.. الله يسامحه بقى اللي طلّعه موضة في البلد.

انطلق مالك وخلفه آدم.. والذي لم يستطع إخفاء ذعره من ركوب هذه الدراجة فائقة السرعة.. فاستمسك في ملابس صاحبه كأنها العروة الوثقى.

ومن لا يعرف مالك سعد الدين الحبشي؟.. واحدٌ من أشهر الشخصياتِ على موقعِ التواصل الاجتماعي facebook فهو لديه أكثر من مائتي ألف متابع.. معروفٌ عنه كتابة النصوص الساخرة، وتصميم الرسوم الهذلية.. حقَّق شهرةً لا بأس بها.. لذلك لا تندهش حين يصيحُ الشبابُ باسمه، أو يطلبون التقاط الصور التذكارية معه في أيِّ مكانٍ يكتبُ على صفحته أنه سيكون متواجدًا فيه.

يتمتع مالك بقدرٍ كبيرٍ من الوسامة يجعل الفتيات يطاردنه في بعض الأحيان.. الأمر الذي جعل أصدقاءه يكفون عن اصطحابه معهم في الأماكن العامة بحجة التخلص من الضجيجِ الذي يصاحبه أينما كان.. ولكن رأى مالك أن تجنبهم إياه غير مدفوعٍ سوى بالغيرة والحقد.

أما عن صاحبه فهو آدم يَكنْ.. الطالب في السنة الأخيرة بكلية الحاسبات والمعلومات.. والتي لم يلتحق بها إلا إرضاءً لوالدته ربة المنزل التي لا ثروة لها في الحياة سواه.. حديث العهد بالكتابة، فلم تنشر له سوى روايتين حققتا نجاحًا باهتًا لا يُرى بالعين المجردة.. لم يحقق ربع شهرة مالك والتي أحيانًا ما يحسده عليها.

كسول إلى أقصى درجة ممكنة.. يفتقر إلى الثقةِ في قدراته الدراسية بسبب رسوبه الذي تكرر مرتين.. ولكن قدرته الكتابية هي الأمرُ الوحيدُ الذي لا تغيب عنه شمس ثقته.

اندهش آدم حين أوقف مالك دراجته في زقاقٍ مظلم متفرعٍ من حارةٍ ضيقةٍ.. وازداد دهشةً حين أخرج صاحبه هاتفه المحمول وطلب رقمًا.. لم يعبأ مالك باستفسارات آدم المُلحة ولا بنظراته المتشككة.. بعد دقائق ظهر غلامٌ قصيرُ القامةِ يمشي مُسرعًا وهو يتلفت حوله عن اليمين وعن الشمال.. وعندما وصل إلى مالك أعطاه لفةً متوسطةَ الحجم، وقال له:

- المعلم بيقولك متتأخرش عليه في الفلوس.

- قوله فلوسه هتوصل له بكرة.

- طب خد بالك عشان الطريق مرَّشق لجان.. الحكومة شادة علينا اليومين دول.

لم يستطع آدم أن يمنع دهشته أكثر من هذا، فصاح في مالك قائلا:

- إنتوا بتعملوا إيه بالظبط ؟ حاجة إيه ومعلم مين؟!

رد عليه المراهق وقال له:

- يخرب بيتك هاتفضحنا وطِّي صوتك.. إيه اللي أنت جايبه معاك ده يا قرد؟

ردَّ عليه مالك بهدوء:

- ده اللي هيأمن طريقي.. اتكل أنت وطمِّن المعلم بتاعك.

انطلق مالك ثانية.. ولم يستطع آدم أن يحبس فضوله أكثر من هذا.. فحدَّث مالك بصوتٍ عالٍ ليتغلب على صوت الرياح التي تلفح وجهيهما قائلًا:

- ممكن تفهمني إيه اللي حصل دلوقتي يا إما تنزّلني آخد أي مواصلة؟

- أنا مش هاروّح غير بيك.. استنى أشوف مكان فاضي أركن فيه وأفهمك.

توقف مالك على أحد جانبيْ الطريق السريع ونزل من فوق دراجته، ثم نظر في عينيْ آدم وقال بهدوء محاولًا امتصاص غضبه:

- عايز تفهم إيه بالظبط؟

- اللفة دي فيها إيه؟

- يعني الواد قدامك كان ماشي يتلفت.. وإداني لفة شكلها مريب زي اللي بتطلع في الأفلام.. أكيد ماكانش فيها تمر هندي.

قال آدم بصوتٍ مرتفع:

- حشيش يا مالك؟

أجابه مالك ببرود أعصاب يُحسد عليه:

- ماله الحشيش بس يا آدم.. ده سيد درويش غناله.. ما سمعتش لما قال "ده الكيف مزاجه إذا تسلطن، أخوك ساعتها يحن شوقًا"

- يعني هو سيد درويش كان نبي؟.. بعدين أيامه كان الحشيش عادي أي حد يشربه؟!

-بالك أنت لو جربت الحشيش مرة هاتكتب روايات أجدع من اللي أنت بتكتبها مليون مرة .

- وياترى بتشربه ولا بتتاجر فيه كمان؟

- مأنا عشان أقدر أشربه لازم أتاجر فيه.. صحيح إحنا عارفين بعض قريب بس أنت عرفت البير وغطاه.. الناس كلها مش أغنيا زي الريس بتاعنا ولا مرتاحين شوية زيك يا آدم.

هدأت حدةُ آدم عندما ذكَّره مالك بظروفه المادية.. فقال محاولاً تغيير دفة الحوار:

- صحيح إنت إزاي تسيب عيل زي ده يقولك "يا قرد"؟

ضحك مالك وقال:

- قرد ده زي متقول كده الكود بتاعي عند المعلم اللي مشَّغله.. سمّاني كده عشان باوزَّع بسرعة وبأنجزه في الفلوس.. واللي اقترح عليه الكود ده واحد صاحبي شغال هاكر في الجيش بتاع

المعلم.. وهو اللي رشحني لشغلانة الديلر دي.

- بس بجد الحشيش ده بيصّفي الدماغ زي ما بأسمع؟

أغمض مالك عينيْه ورفع وجهه إلى أعلى، وقال بلهجةٍ تملؤها النشوى:

- فوق ما تتخيل.. أحلى إسكريبتات ليا بتتكتب وأنا بأضرب جوب الحشيش.. فاكر الإسكريبت الطويل اللي علـّم مع الناس ونزل في مجلتين باسمي؟

- آه.. ماله؟

- كان مكتوب في قعدة من اللي قلبك يحبها.. عوَّامة رايقة على النيل تبع مطرب مشهور.. أوردر أكل وحلويات من أنضف مطاعم بلدك.. كان الحشيش زي الرز والجدع فضل يحشش ويغني أغاني قديمة.. كانت قعدة ملكوت يابا.

- مين المطرب ده؟

- ماينفعش أقولك اسمه دي أسرار مهنة.. بس هو كان له صيت حلو في بداية الألفية الجديدة.. عمل كام أغنية على كام فيديو كليب علّوه أوي عند الناس.. وصل لقمة مجده وكانت حفلاته بيتصرف عليها ملايين.. بس الكيف ضيعله صوته خالص.. الغرور ركبه وبقى كل يوم يقعد في كباريه يسكر لحد ما يتسطل ويغني أغاني محفوظة لعبد الحليم وأم كلثوم علشان ما يحاسبش على اللي طفحه.. تخيّل مُغني نسي أغانيه من كتر دماغه ما راحت منه!

بعد كده فلّس وبقى بيمشي مع حريم كبار يصرفوا عليه.. فنيًّا بقى صفر على الشمال اتفسخ له عقدين مع شركتين إنتاج موسيقي.. بقى فين وفين لما ينزله أغنية أو يعمل تتر مسلسل.. وطبعًا مش محتاج أقولك إن كل شغله بقى قطاعي وبقى بيعتمد على أصحابه في الشغل، زمايل المهنة اللي بدأ معاهم بس عليوا عنه بكتير.. المطرب ده ضرب معايا صحوبية وكان عايزني أوّرد له.. بس الشغل مع الناس دي متعب عشان بيبقوا أندال وسهل لو اتبلّغ عنه يسلمني.

قال آدم وهو يحك رأسه:

- تقريبـًا عرفته.. بس قول لي إزاي إنت خدت البضاعة وماديتش الواد ده فلوس.. هو مش الموضوع تسليم واستلام برضه؟

- أصل المعلم بتاعه معلم بجد.. إنسى بقى تجار الأفلام اللي لابسين جلاليب وبيتنفسوا شيشة وبيوزعوا حشيش جدعنة على الفقرا يوم وقفة العيد.. المعلم ده دارس كيميا في أوكسفورد.. وهو اللي بيطبخ البضاعة بنفسه.. عمري ما شوفته ولا سمعت صوته الحقيقي.. تسمع عن "الروعة والجمال"؟

حرَّك آدم رأسه نافيًا، فأكمل مالك حديثه كأنه كان يتوقع هذا الرد:

- دي بلد صغيرة على الطريق الصحراوي.. كانت إمبراطورية مخدرات متكاملة الأركان، وقعت قريب على إيد إدارة المكافحة وبقى كل شغلها دلوقتي قطّاعي، الخبر نزل في كل الجرايد.. بس طبعًا ما حدش نسب الفضل للمعلم اللي ظبّط للداخلية حالة تلبس ما تخرش المية وبلّغهم بيها.

سأل آدم باحثًا عن مادة أدبية علّها تلهمه:

- أنت تعرف إيه بقى عن المعلم ده كشخص.. حياته الإنسانية يعني؟

- ولا أي حاجة، واللي يقولك إنه يعرف بيضحك عليك.. كل معلوماتي عنه إشاعات وكلام منقول من ناس في الشغلانة: مش بيورّد لأي ديلر.. لازم يعمل له اختبارات كتير ولازم يبقى الديلر ده محتاج فلوس والمعلم يكون كاسر عينه بأي ذلة قديمة زي حالاتي كده.

قال آدم بفضول:

- بس واحد زي ده أكيد عامل احتياطات عشان مايتمسكش..

- عشان كده مش مشغّل معاه غير أربع عيال صغيرين هما اللي بيسلموا البضاعة.. معرفش منهم غير اللي أنت شوفته ده، وده يُعتبر أكبر واحد فيهم أصلًا.. وكمان أعقل واحد فيهم.

تعجّب آدم حين سمع آخر جملة، وقال مستفهمًا:

- يعني إيه أعقل واحد؟!

- يعني صبيان المعلم بيكون عندهم تخلّف عقلي زي ما تقول كده حتة لسعان خفيفة وساعات مشاكل في النطق.. بس فاهمين الشغل كويس وعلى قد توهانهم دماغهم بتكون واعية في الشغل.. بينقيهم كده عشان ما حدش يشك فيهم، وحتى لو اتمسكوا سهل يتقال إن الحاجة دي مدسوسة عليهم، وما حدش يقدر يجيب رِجل المعلم، وهما نفسهم ما يتنذوش.

قال آدم بلهجة لم تخلُ من إعجاب:

- المعلم ده طلع دماغ عالية أوي يا جدع!

-المعلم حريص أوي وما حدش يقدر ياكل عليه مليم ومستحيل ياخد فلوس في إيده.

سأله آدم، وقد نسى برودة الجو تمامًا:

- أمال بياخدهم إزاي؟

- عنده بدل الطريقة مليون.. بيتصل بيا بعد التسليم من رقم مجهول وبيكون مغيّر صوته ببرنامج علشان يقول لي طريقة الدفع.. مرة بأحطهم في حساب جمعية خيرية مغمورة، ومرة تانية بأحولهم رصيد لرقم تليفون معين.. آخر مرة خلّاني أروح أشتري بالفلوس موبيل من محل تبعه.. جيت أفتح الموبيل بعدها لاقيته لعبة!

- بس واحد بالمواصفات دي أكيد عنده بلطجية كتير عشان يأمّنوا التجارة بتاعته؟

- اللي أعرفه إن ماعندوش غير حارس شخصي واحد.. ولما الحكومة بتكبس على المعمل بيحرقه وهو في بيته، وبضغطة زرار واحدة المعمل بيبقى خرابة متساوية بالأرض.. طقم الحراسة الحقيقي بتاعه عبارة عن مجموعة من قراصنة الإنترنت.. هاكرز يعني.. مسميهم الجيش.

- ده المجال اتقدم أوي.. طب الهاكرز دول هايعملوا له إيه يعني؟

- الهاكرز دول مقـّعدين مسئولين كبار أوي في البلد على حِجْرالمعلم بتاعهم.. بلاغات كتير اتقدمت ضد المعلم وما حدش قدر يكلمه.. تخيّل واحد عنده جيش قادر يخش على جهازك الشخصي ويطلع منه القديم والجديد.

- دول ممكن يطلّعوا بلاوي!

- ممكن؟! فاكر الصفحة اللي اتعملت من كام شهر واللي كانت ليل نهار بتنزّل مكالمات مسجلة لدكتور في الجامعة؟

- طبعًا فاكر، الراجل ده أسطورة.. اترفد من شغله علشان كام مكالمة مع بنت طلعت واطية وبتسجل له .

- طب قول لي.. صوت البنت عجبك؟

عض آدم على شفتيه، وقال:

- ده هبلني.. البت كانت عليها تنهيدة ولا فاتن حمامة، وضحكة ولا هند رستم.. أنا لو مكان الدكتور كنت هاعمل زيه وأقع في الكلام زي الجردل ويمكن أكتر كمان.

ضحك مالك حتى دمعت عيناه، وقال:

- طب إيه رأيك إن فتاة أحلامك دي هي صاحبي الهاكر اللي شغال مع المعلم.. كان من تلامذة الدكتور ده وراح طلب منه أسئلة الامتحان بالأدب عشان ينجح.. الدكتور رفض فصاحبنا ده راح عامل عملته.. والظاهر كده إن المدام كانت مقصرة مع الدوك حبتين فطلّع كل اللي في نفسه على التليفون.

قال آدم بحسرة:

- ده أنا طلعت مش عايش في الدنيا.

- أنت في حالك يا آدم، وده ساعات بيكون شيء كويس.

- طب وأنت إيه رماك على السكة الزفت دي؟

لأول مرة تقريبًا منذ أن عرفه آدم يتحدث مالك بلهجة جادة قائلًا:

- أنت نزلت الثورة يا آدم؟

- للأسف ماكانش ينفع أسيب أمي لوحدها.. بس كنت مأيدها من الأول، ما أنكرش إني اتعاطفت مع خطاب الرئيس.. بس تاني يوم بعد موقعة الجمل رجعت في كلامي وكنت مع الرحيل الفوري.

- لو كنت نزلت قبل وبعد التنحي كنت هاتفهم إيه حصل لنا.. إحنا خدنا على قفانا يا آدم.

قال آدم معاتبًا إياه:

- أنت اللي غلطان يا صاحبي.. ليه اتعشمت أصلًا!

احمرَّ وجه مالك، وكانت هذه أول مرة أيضًا يراه آدم في هذه الحالة المنهارة.. وقال بصوتٍ عالٍ:

- ما هما اللي عشمونا يا آدم.. قالوا لنا البلد بقت بتاعتكوا وكل واحد فيكوا بطل وله الحق يعيش حر وكريم.. لقينا اللي بيطلعوا في الإعلام بيتكلموا باسم الثورة مع إن عمرنا ما شوفناهم في الميدان.. ولقينا اللي بيخوّننا واللي بيكفّرنا.

- وده إيه علاقته باللي حصل لك؟

- الإحباط يا آدم.. زي ما تكون لقيت كنز على الأرض، ومسافة ما وطيت تجيبه لقيته طار منك.. أنا اتفقت مع صحابي نبطّل أي حاجة غلط كنا بنعملها.. اللي كان بيسطّر بودرة بقى بيحشش، واللي كان بيحشش بقى بيدخن، واللي كان بيدخن بطّل خالص.. عن نفسي كنت شغال في توكيل خمرة واستقلت من شغلانة بتدخَّل ليا آلافات كل شهر علشان استحرمت أعمل كده.

- وبعد ما الثورة اتركبت رجعتوا أوسخ من الأول؟

- الثورة ما اتركبتش يا آدم، إحنا اللي اتركبنا واتدلدل من فوقينا رجول ياما..

راح مالك يدبدب بقدميه على الأرض في حركة مفاجئة، ووضع كفه الأيمن بجوار رأسه كأنه يحيي العلم وأردف قائلًا:

- سابونا نقول بلادي بلادي ونغني للثورة ونحيي الشهدا وغفّلونا، صدقني يا آدم إحنا ما كانش عندنا أي أمل في البلد دي بس هما اللي صحّوه جوانا.. قالوا لنا إنتوا الشباب اللي هايغير والبلد بلدكوا والفلوس المنهوبة هاترجع وتعيشوا أحلى عيشة.. بس على أرض الواقع كل ده طلع بلح فوق نخل عالي أوي.. هما اللي رسموا لنا أمل عمرنا ما طلبناه أو حتى حلمنا بيه.

قال آدم متهكمًا:

- حتى أمل طلعت مربطة معاهم يا مالك.

قال مالك متجاهلًا مزحته:

-خد عندك بقى صفقات ومؤامرات.. ويجيبوا ناس عايشة في البطيخ ويقولوا دول ممثلين الثورة، لأ وكمان يشتموهم.. وكله كوم وإخواننا إياهم بتوع شركاء الثورة دول كوم تاني .

الواحد بيسمع عن فلوس بتتسرق، أو عيال مخطوفة.. إنما ثورة كاملة تختفي في لحظة كده زي الملح في المية؟ جديدة دي !

تعرف يا آدم أنا مرة كنت في مظاهرة، حتى بالأمارة كان معايا الجدع اللي بيعزف ده اللي اسمه كريم الريّان قبل ما يسيبنا ويبقى معاهم.. اتضربت بشومة على دماغي وأنا في المظاهرة صحيت لقيت نفسي مرمي في صندوق زبالة!

قال آدم حين أوشكت عينا مالك على نزيف الدموع:

- خلاص بقى وحّد الله!

حاول مالك نسيان الأمر برمته، فقال:

-لا إله إلا الله.. أقولك حاجة تانية؟.. أنا كل يوم بالليل لما بأبقى لوحدي بيطلع لي أشباح كل الشباب اللي شيلت جثثهم أيام الميدان.. منهم واحد كان جاري وكان أعز صاحب عندي، كان اسمه رامي.. أنا كنت اتأكدت خلاص من شكل إصابته إنه هايموت وكنت بتحايل عليه ينطق الشهادتين.. تعرف رامي قالي إيه؟

قال لي مش هتشاهد إلا لما توعدني إنك هاتكمّل اللي بدأناه سوا.. وأنا كنت ساعتها متأكد إني مستحيل أكمّل.. بس اضطريت أوعده عشان يتشاهد وأول ما قال "محمد رسول الله" قطع النفس.. تعرف إيه اللي محيّرني لحد دلوقتي يا آدم؟

قال آدم وهو يقاوم قشعريرة انتابت جسده:

- قول يا مالك.

- إن الموقف ده اتكرر بنفس الكلام تقريبًا مع كل اللي شيلتهم قبل ما يموتوا مش رامي بس.. كأنه سيناريو واحد اتوزع عليهم كلهم عشان يقولوه قبل ما يموتوا!

نظر آدم في الأرض حين لم يجد ما يقوله أو يعلق به، فكّر في أن يقول تعليقًا ساخرًا علّه يجد الطريق إلى إضحاك مالك وإخراجه من حزنه، ولكنه سرعان ما عدل عن هذا التصرف.. فقال بلهجة حزينة:

- احمد ربنا، إحنا أحسن من غيرنا كتير.. ده فيه بلاد الستات فيها بيقعدوا بالحجاب جوة بيوتهم عشان ممكن تتقصف في أي لحظة!

لم يجادل مالك كما كان سيفعل في أي ظرف آخر، بل حاول تغيير الموضوع برمته، فضحك فجأة بصوتٍ عالٍ كأنه انتشى مرة أخرى، وقال مُحدثًا آدم:

- بالك يا صاحبي أنا لو معايا آلة زمن هارجع للستينيات.

- مالقتش غير الفترة المأندلة دي يا ابني.. كانت كلها معتقلات وقمع ونكسة.. حاجة تقرف يعني.

- بس هاموت وأحضر قعدة حشيش مع الشيخ إمام وعم أحمد فؤاد نجم.. يا ديني ده أنا أدفع نص عمري عشان أبقى موجود قعدة زي دي!

تخيل كده يا معلم قاعد تشرب حشيش على صوت إمام وهو بيغني أشعار الفاجومي على العود.. حشيش أصلي كان نجم بيهرّبه في هدوم الشيخ علشان كفيف وماحدش هايشك فيه.. وساعات الشيخ كان بيزرعه ويرويه بنفسه في بلكونة بيتهم.

قال آدم:

- تعرف إني نفسي أحضر أي قعدة فيها سُكر؟

قال مالك ضاحكًا:

- قررت تغيَّر أفكارك الرجعية وتنضم لي في كفاح الكيف الأبدي؟

قال آدم:

- لأ طبعًا، بس تخيل تكون قاعد مع سكرانين وأنت الوحيد اللي فايق.. ممكن تسمع كوارث.

قال مالك موضحًا:

- مافيش سكرانين بيوافقوا يقعّدوا حد فايق معاهم.. حتى اللي بيخدِّم على القعدة لازم يشرَّبوه.. ما ينفعش تكون أنت الفايق الوحيد يا آدم عشان هاتقدر تحطهم تحت ضرسك.

تذكـّر آدم سبب توقفهما من الأساس.. فقال معقبًا:

- بس في الأول وفي الآخر ده غلط وممكن تتحبس بسببه.. أنت معروف شوية يا مالك وممكن أي حد من زباينك يسيح لك وخبرك يوصل للحكومة!

- سيبها على الله.. أنا باختار زبايني كويس.. يا إما عواجيز من أيام وحدة مصر وسوريا مش هايعرفوني، يا إما عيال غايبة عن الحياة .. ضرّيبة برشام وهيروين بس مش قادرين على فلوسهم.. فبياخدوا تصبيرة حشيش لحد ما يلاقوا عيل غني يجروّا رجله عشان يصرف عليهم.

- تعرف يا مالك إن كان فيه ناس زمان بيبخروا بالحشيش عادي.. ومرة واحد قريبي سمّعني تسجيل قديم أوي لشيخ بيمدح علني في الحشيش!

- ولحد دلوقتي فيه مبدعين كتير ما بينزلش عليهم التجلي غير بالحشيش.. ده أصلًا علاج بس الحكومة بتاعتنا هي اللي مانعاه.. طب ما الخمرة حرام برضه وبتغيّب عن الوعي أكتر من الحشيش بمراحل.. وإدمانها صعب وبتدمر الكبد.. ما منعوهاش ليه؟.. عشان بتجيب لهم ضرايب وجمارك محترمة.

- تصدق معاك حق.. تعرف إن فيه ولايات كتير في أمريكا مرخصة الماريجوانا عادي!

- أنت شكلك اقتنعت يا آدم وهاتنفعني وتشتري مني.

- يا ابني أنا بخاف من السجاير أصلًا.

- طب ادعي لي ربنا يتوب عليّا وأبطّلها خالص، ويلا نروّح يا دومة.. ورانا شغل كتير في المعرض بكرة.. ووعد مني هاظبّطلك بكرة مع أي بنت زي القمر من اللي بيكلموني.. بس تعّدينا من الكماين اللي على الطريق بكارنيه أبوك.

قال آدم وقد بدا عليه الفهم:

- أنت خدتني تروّحني عشان كده؟ على العموم أنا هاستجدع معاك بس لو شافوا الكارنيه وفتّشونا برضه.. يبقى ولا كأني أعرفك، هاقول إني كنت واقف على الطريق مستني مواصلة وأنت عرضت عليا توصّلني.

- موافق.. وأنا والله لو حصل أي قلق هاقول نفس كلامك ده وإنك ما تعرفش أصلًا إني شايل حشيش.

عاود مالك انطلاقه.. مرَّا معًا على كمينين شرطيين لم يتعرضا للتفتيش في أيٍّ منهما، ولم يطّلع أحد على أوراقهما.

لم يرتح آدم لما يحدث ولكنه أدرك أن الوقت قد فات، كأنه كان تحت تأثير مخدر ولم يفق إلا الآن.. ليدرك أن "القرد" قد خدعه ليساعده في جريمته.. ولكن بينه وبين نفسه شكر مالك على هذه المغامرة التي لم يعش مثلها طيلة حياته.. فهذه أول مرة يفكر في استخدام هوية والده، خصوصًا في عمل غير قانوني.. وكان يصيح ضاحكًا كلما جاوزا كمينًا بجملة إسماعيل ياسين الشهيرة: "فتشني فتش.. لأ والنبي تيجي تفتشني!"

ظهر أمامهما الكمين الثالث.. وقبل الكمين بخمسة أمتار تلقى مالك اتصالًا هاتفيًّا من رقم مجهول.. فاضطر إلى تهدئة سرعته حتى كاد يتوقف لكي يستطيع الرد.. فأتاه صوتُ محدثه يقول:

- أنا المعلم يا مالك.. أوعى تعدي على كماين تاني.. فيه أمين شرطة ابن حرام شافك مع الصبي بتاعي وزنق الواد لحد ما اعترف.. الأمين ده لسه مبلّغ حالًا عن رقم المكنة بتاعتك.

- أنت جاي تقول لي كده وأنا باهدّي قدام الكمين والناس اللي فيه ابتدوا يشكوا فيا.. ما ينفعش ألّف دلوقتي وما فيش بيوت ولا زرع على جنب الطريق أتدارى جواهم.. ولو لفيت ورجعت هايعملوا عليا كماشة مع الكمين اللي قبله..

لم يبدُ على محدثه الإنصات، وقال في اللحظة التي وصل مالك فيها إلى الكمين:

- لو اتمسكت هاتلبس قضية اتجار.. اهرب يا قرد!

2 - القط وخنَّاقه

تعجّبت يارا من إصرار مالك على توصيل زميلهم آدم يَكُنْ هذه المرة.. فقد اعتادت مغادرة مالك لمكان اجتماعهم وحيدًا مسرعًا كأن هناك من يلاحقه.. ولكن دهشتها لم تنتقص من سعادتها شيئًا.. فوجودها مع جلال وحدهما سيعني ذهابهما إلى المقهى المفضل لديهما..

كانت تحب هذا المقهى الفخم لأنه هناك لا أحد يزعجها حين يتعرّف على حبيبها جلال: جلال عبد الراضي الكاتب الرومانسي المعروف، والذي لا يعرف أحدٌ عن حياته الشخصية سوى اتجاهه الديني المائل إلى التصوُّف..

كان قوامه طويلًا يقترب من المترين.. حسُن الخلقة صاحب بشرة شديدة السمار لانحداره من أصلٍ نوبي، يتوسط وجهه أنفٌ عريضٌ تحته شفتان غليظتان.

توقف جلال فنزلت يارا من السيارة وسبقته إلى داخل المقهى حتى يوقف سيارته في مكانٍ آمنٍ.. دفعت الباب الزجاجي للمكان فشعرت بلفحة هواء دافئة خففت شعورها بالبرد، ثم جالت بنظرها في المكان بحثًا عن مائدةٍ خاليةٍ حتى وجدت واحدةً في أبعد ركن بالمكان فسارت نحوها هائمةً وسرحت في خاطرةٍ أتتها حتى اصطدمت في كتف فتاةٍ من رواد المقهى.. فقالت لها يارا بسرعةٍ:

- آسفة جدًّا ماخدتش بالي.

بدا على وجه الفتاة علامات الدهشة وأشارت بإصبعها السبابة إلى يارا قائلة:

- إنتي يارا تميم!

بدا التعجب على وجه يارا وقالت بلهجةٍ حذرةٍ:

- حضرتك عارفاني منين؟

قالت الفتاةُ بلهجةٍ غمرتها السعادة:

- وهل يخفى القمرُ؟.. حضرتك أنا كنت في حفلة توقيع ديوانك في معرض الكتاب من أسبوع بالأمارة كان معاكي جلال عبد الراضي.

- طب الديوان عجبك؟

- لسه ما خلصتوش.. بس استخدامك للغة العامية البسيطة يتحسب ليكي ده غير إن كلماتك مؤثرة جدًّا.. والمضمون رائع وبيعبر عن مأساة الأنثى بجد.. أنتي قدوة لأي بنت بتحارب تقاليد المجتمع الذكوري المشوّه ده!

بدا على يارا حرجٌ مصطنعٌ، وقالت:

- كلامك ده شرف ليا.. بس مش عايزاكي تخلصي الديوان وبعد فترة تخسري أول جولة ضد أهلك مع أول عريس غني يشتريكي زي ما تكوني جارية!

أوشكتِ المعجبة على الرد ولكن جلال كان قد دخل المقهى حتى وصل إلى يارا فصاحت الفتاةُ الغريبةُ بصوتٍ عالٍ سمعه الجالسون جميعًا:

- جلال عبد الراضي!!.. أنا حافظة كل روايات حضرتك وبحبها جدًّا.

بدا على جلال الحرج كعادته مع الغرباء، وقال بصوتٍ خفيضٍ وهو يراقب يارا بطرف عينه خاشيًا أن يضايقها حماس الفتاة:

- متشكر.. بس ما تبالغيش ده هما أربع روايات بس.

- بس إحساسك فيهم حلو أوي.. أنت إزاي كده؟

بدا على جلال الحرج، حتى تحوَّل لونه – بمعجزة ما – من الأسود إلى الأحمر الغامق.. قالت الفتاة التي لم تشعر بأنها ألقت قرنًا من الفلفل الحرَّاق على قلب يارا:

- ينفع أتصور معاكوا.

قال جلال بآليةٍ دون أن يشعر:

- آه بس مع كل واحد لوحده.

نظرت يارا إليه نظرةً ناريةً أشعرته أنه قد وضع في قلبها حجارةً من سجيل.. ولكن الفتاة لم تعلّق فالتقطت الصورتين بهاتفها الشخصي، وانطلقت مسرعةً مدركةً أنهما سيتشاجران بعد رحيلها.. ولكنها لم تشغل تفكيرها بهما فقد كان لديها الكثير لتتحدث عنه مع صديقاتها: فلديها صورتان مع جلال ويارا، ولديها خبر بداية قصة حب ستشتعل بينهما.

جلس جلال دون انتظار جلوس يارا كما عوَّدته من باب المساواة.. واستعد لتلّقي العاصفة التي تمثلت بشائرها في قول يارا:

- وفيها إيه إن شاء الله لما نتصور مع بعض؟

- أنا لو عليا مستعد أعلن علاقتنا دلوقتي بس الناس..

وسكت قليلًا، حتى كادت عيناها تخرجان من مقلتيهما، وقالت مقاطعة حديثه البطيء في صوتٍ حاولت فاشلةً أن تجعله خفيضـًا:

- مالهم الناس؟

- هايفضلوا ينتقدوا في علاقتنا ويتكلموا عنها..

أنا متاخد عني فكرة – ممكن تكون غلط – إني ملتزم، ومعروف عني إني باكتب رومانسي بدون تجاوزات وفي حالي.. وعندي توجّه زاهد في الحياة بس إنتي..

- استنى هكمّلك أنا.. إنتي بتدافعي عن حقوق المرأة في المجتمع.. إنتي فيمنيست.. إنتي ملحدة.

- أنا مش جاهل أوي كده عشان أقول عليكي ملحدة.. أنا عارف الفرق بين الإلحاد واللا أدرية.

- بس الاتنين في نظرك كفّار.

- ماليش إني أكفّر حد..

- مش علشان أنت إنسان سوي.. بس عشان أنت أسهل واحد ممكن يتشكك في عقيدته.. ما بتشوفش حبايبنا من أصحاب الدقون بيقولوا عنك إيه؟

- الناس دي خلافهم مع الصوفيين مش عقائدي أوي زي ما أنتي فاهمة..

- لأ والله؟!.. دول بيعيبوا عليكوا مدحكوا لأهل البيت وطلب المدد منهم.. وبيعيبوا عليكوا الزهد في الحياة والتواكل على ربنا.. ده أنتوا في نظرهم آثمين عشان بتعاملوا الأوليا كأنهم أنبيا، وبتعملوا مليون طريقة عشان تتقربوا ليهم مع إن الطريق لربنا في الإسلام أقرب من كده بكتير: "اسجد واقترب"، و"إني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعاني".. يعني كل تصرفاتكوا دي في نظرهم تشيُّع وشِرك!

- يعني إحنا شيعة ومشركين؟.. بصي يا يارا التعميم جريمة.. تعرفي الصوفية في مصر كام طريقة؟

- تقريبًا أربعة.

- أربعة دول أقطاب الصوفية.. الطرق اتنين وسبعين طريقة.. إحنا عددنا عدى العشرة مليون من زمان.

قالت يارا بعصبية:

- ما تغيرش أم الموضوع.. أنت عارف إني متقبلاك بلونك وبدروشتك وبحُكمك المستمر على الناس وبحبك.. أنت اللي مش قابلني وبتتكسف مني قدام الناس.

- يعني أنا شخص رجعي وبأحكم على الناس؟.. وإنتي متحررة وبتنادي بحقوق المرأة.. إيه اللي جابرك على علاقة بالشكل ده؟

- تعرف إني بأسأل نفسي السؤال ده كل يوم؟.. عمري ما كنت ضعيفة إلا وأنا معاك.

- أقولك أنا.. إنتي قطة يا يارا.. والقط ما بيحبش إلا خنـّاقه.

- تنكر إنك بتكره كل أفكاري وخصوصًا موضوع إني فيمنيست؟!

- أنا مش بكره الفيمنيست.. أنا ضد أي موضة بتتورد لينا من الغرب وإحنا بناخدها عمياني، وضد أي حد متعصب لرأي معين.. النوع المتشدد منكوا بيستفزني جدًّا..

يعني الرجالة متعصبين ضدكوا، ماشي.. بس تقوموا إنتوا تواجهوا التعصب ده بتعصب زيه؟!.. إنتوا بتعملوا "بيريجيب" بشكلٍ حرفي.

- بنعمل إيه؟

- "بيريجيب" دي كلمة روسية معناها إنك تحاول تعدل عصاية عن طريق إنك تميلها في الناحية اللي عكس الاعوجاج.. طبعًا مش محتاج أقولك العصاية بيحصلها إيه ساعتها!

قالت يارا بتلقائية:

بتتكسر يا سيدي وعلى فكرة أنت أستاذ في تغيير المواضيع.. عايز تنسيني إنك استعرّيت تتصور معايا؟

- ماقدرش أفكر كده أصلًا.. يا بنتي والله أنا بحبك.

بدا على يارا أنها اقتنعت، أو أنها أقنعت نفسها وأجبرتها على الاقتناع حتى لا تفسد علاقتها بجلال.. وقالت بدلال:

- مضطرة أصدقك.. بس لو طلعت بتبص لي بصة رخيصة..

قال جلال على الفور.

- هابقى بلعب بالنار.

حدّثته يارا وهي تضحك قائلة:

- وطبعًا أمك قالت لك وأنت صغير اللي بيلعب بالنار بيحصل له إيه؟!

ضحك وقال معلنًا الهُدنة معها:

- عارف إنك ممكن تقتليني لو ما طلعتش بحبك..

بعدين بصة رخيصة إزاي يعني.. إنتي فيمنيست من النوع المتطرف.. يعني – لا مؤاخذة يعني – جسمك..

قاطعته يارا مهاجمة إياه، وقالت:

- ماله جسمي؟! مش هتبطلّوا النظرة الجاهلة دي للمرأة.. إحنا مش بنسيب شعر جسمنا لسبب غير إننا شايفين إنه ما بينتقصش من أنوثتنا حاجة.. بعدين ما تحسسوناش إن أمهاتكوا وإخواتكوا البنات قاعدين في البيت طول النهار والليل على سنجة عشرة!

- إنتي بتكلميني بصيغة الجماعة ليه.. "إحنا" اللي هو مين؟!

- الشباب كلهم.

قطع حديثهما وصول النادل بكوبين من عصير المانجو ووضعهما على المائدة بينهما.. وكانا قد أخبرا النادل في أول لقاء جمعهما في المقهى بعدم سؤالهما عما سيشربان، وأن يأتي بعصير المانجو مباشرة.. حتى لا يضطر أحدهما إلى قطع حديثه سوى مرةٍ واحدةٍ تكون لحظة إنزال العصير..

طلبت يارا من النادل خفْض صوت التلفزيون، فرد عليها معتذرًا بلهجةٍ متوسلةٍ:

- أنا آسف يا آنسة يارا.. بس ده كليب لأغنية عمر إبراهيم اللي بيتعزف فيها مقطوعة كريم الريان الجديدة.. لو وطيته الناس كلها ممكن تقوم تضربني.. كريم الريّان ده بقى أشهر عازف كمان في مصر.

قال جلال محاولًا استغلال قطع حديثهما لامتصاص حدتها:

- ممكن نغير الموضوع قبل ما نضرب بعض؟

شعر أنه قد نجح حين ارتشفت قدرًا من العصير، وقالت:

- كلمني شوية عن طفولتك.. وإمتى اتأقلمت على أسلوب الحياة الصوفي؟

- على فكرة الصوفيين مالهمش أسلوب حياة متميز زي ما الناس متصورة مش كائنات فضائية يعني.. مش بنلبس لبس موحد ولا بنتقابل كل يوم أربع نتكلم في مواضيع معينة، وكمان مالناش كارنيه عضوية يعني بسهولة أي حد يقرا عن منهج صوفي معين وتعجبه الطريقة ممكن يبقى صوفي مع نفسه..

ثم رفّع صوته مقلدًا إياها قائلا:

- مش هاتبطلوا نظرتكوا الجاهلة دي؟

ضحكت ضحكة خفيفة، وقالت له:

- طب كلمني عن تربيتك.

- أنا جيت القاهرة من أسوان وأنا صغير.. قعدنا في السيدة نفيسة.. من أسرة بسيطة بس مشكلتي الوحيدة معاهم الجواز.. عايزين يجوزوني واحدة من العيلة وتكون من نفس لوني.

- بس أنا أسمع إن الصوفيين عندهم كم كبير من تقبّل الآخر.. إزاي أهلك عنصريين كده؟

- أنا من الصبح نفسي أقولك إن عيلتي مش من المتصوفة أصلًا.

- بتهزر؟.. وسايبني من ساعة ما عرفتك فاكرة كده؟

- إنتي اللي مسألتيش.. أصلا أبويا ضربني أول مرة روحت فيها مولد..

قاطعته يارا قائلة:

- كلمني عن المولد.. أنا عمري ما روحت موالد!

- بصي، المولد بيختلف شكله من مكان للتاني، ومن شيخ للتاني.. بس العقيدة قريبة.

اعتدلت يارا في مجلسها، وقالت:

-طب إحكي إحكي..

آخر مولد كنت فيه كان مولد الشيخ جودة إبراهيم في الشرقية، تحديدًا في منيا القمح.. كان زاهد جدًّا في الدنيا وما اتعملش له مولد غير بعد مماته، مريدينه بيقولوا عليه "وزير النبي" من كتر كراماته.

قالت يارا متسائلة:

- كرامات إزاي يعني؟!

- من الأساطير اللي بتتقال – اللي أنا شخصيًّا مش مصدقها – إنه كان فيه جثة في الأرض بتاعته والبوليس جه قبض عليه بتهمة القتل، الشيخ جودة طلَّع منديله سد بيه الجرح.. الميت نطق من غير ما ترد له الروح وقال اسم اللي قتله وبرّأ الشيخ.. وبيتقال إنه طلع مرة لشيخ كفيف في المنام قال له البيت الفلاني بيتسرق دلوقتي.. الشيخ بلّغ وفعلًا كان البيت بيتسرق.

لم يبدُ على يارا التصديق، حيث إن جلال نفسه لم يبدُ مقتنعًا بما يقول.. خصوصًا أول كرامة لأنها تندرج تحت بند المستحيلات.. فقالت له:

- طب كلّمني عن شكل المولد نفسه!

- بصي.. المولد غالبًا بيكون كذا جزء: جزء بيكون في ألعاب المولد زي النيشان، والبريللو و...

قاطعته يارا قائلة:

- أنا عارفة النيشان، وعارفة الغازية وفقرات السحر والكلام ده من الأفلام.. بس إيه البريللو ده؟!

رد جلال قائلًا:

- البريللو ده لعبة خطر.. بيكون المسرح على شكل أسطوانة خشب عملاقة.. الناس بتقف فوق، والراجل بتاع البريللو بيدخل من تحت بموتوسيكل ويبدأ يتحرك بسرعة جدًّا على الأسطوانة دي من جوه من غير ما يقع لحد ما يقرب من الناس اللي بيتفرجوا من فوق.

- طب اللي بيعملوا الفقرات دول دراويش؟!

- لأ طبعًا ومعظمهم ما بيبقاش عارف حاجة عن الولي صاحب المولد.. بيكونوا تجار ووسطهم حرامية ونصابين كتير.. زي بتوع القمار والتلت ورقات.. الدراويش بيكونوا في آخر المولد بيتطوحوا ويذكروا الله ورسوله.. ويطلبوا المدد من الشيخ، اللي بيتدروش فيهم ده بقى اللي بيوصل لحالة الانسجام التام مع الذكر وبيفضل يتمطوح زي المجنون لحد ما يقع من طوله.. أنا وصلت للحالة دي مرتين في حياتي.

المولد بيكون سبع أيام، آخر ليلة اسمها الليلة الكبيرة.. دي بيتجمع فيها ناس من الطرق المختلفة زي النقشبندية، والرحبانية، والبرهانية.. وبيعملوا زفة للشيخ.. بيجيبوا راجل من نسله يلف على حصان، والناس تبوس إيده وياخدوا "البركة".

و الدراويش بيدبحوا في الليلة دي الدبايح اللي جايبينها معاهم ويوزعوا على الناس.. وأصلًا من أول يوم بيكونوا عاملين خِيم في المنطقة اللي جنب الضريح وبيأكّلوا أي حد يدخل عليهم ببلاش.. حاجة كده اسمها "خدمة لله".

سألته يارا:

- وبيجيبوا فلوس للسفر ورا الأوليا والدبايح منين؟

- معظمهم فلاحين وأغنيا وعندهم أرض، وفيه ناس كتير بتتبرعلهم بفلوس.. وعلى فكرة مش بيصرفوا على نفسهم كتير، هوسهم بالفكر مانعهم حتى من التفكير في نفسهم.

ثم بدا عليه أنه تذكر شيئًا ما، فأردف قائلًا:

- صحيح، ولازم يكون فيه حمص كتير، سواء بيتباع أو بيتوزع.

بدا على يارا الفهم، وقالت:

- عشان كده طلع مثل: طلع من المولد بلا حمص؟!

- بالظبط كده.

على الرغم من عدم تصديقها، إلا أن الموضوع كان جديدًا مشوّقا بالنسبة إلى يارا، فقالت لجلال:

- طب كان إيه أول مولد تروحه في حياتك؟

- بصي أول مولد أروحه ما كنتش فاكره أوي لأني كنت صغير.. كل اللي كنت فاكره إني انبهرت بمنظر الدراويش وكلامهم اللي ما كنتش فاهمه في الأول.. وهناك عرفت الشيخ خطّاب اللي خلّاني أحب التصوف بجد، وساعدني أواجه عيلتي بالموضوع ده.

- تعرف إني ما كنتش أعرف إن العيلة بتاعتك مش متصوفين.. ده كنت فكراك متسمي على اسم جلال الدين الرومي صاحب "قواعد العشق الأربعون"؟

- أصلًا أنا ضد رؤيته.. ضد إن حد يحط قواعد أو "تراك" معين لازم أمشي عليه عشان أحب ربنا.

عقّبت يارا قائلة:

- ده لو موجود أصلًا.. أنا لحد دلوقتي ما شوفتش دليل على وجوده.

- يعني شوفتي دليل على عدم وجوده؟

- عشان كده أنا "أجنوستيك".. مش ملحدة.

- ما تنكريش إن الإلحاد في مصر مجرد حاجة متصدرة لينا من برة.. وأبهرت الناس.. قليلون جدًّا اللي قرأوا عن كل الأديان وكفروا بيها لما لقوا حاجات معينة مش داخلة عقلهم.. بس المعظم بيكونوا عيال عايزين يثبتوا وجودهم على أساس "خالف تعرف".. وبتلاقيه عمره ما دخل جامع ولا قرا قرآن ولا حتى قرا عن أي دين تاني.

- على فكرة الدين مش لازم يكون كله قائم على العقل.. فيه جزء روحاني كبير في الموضوع.. الجزء ده عمره ما كان عندي.. عشان كده بقيت مسلمة في البطاقة بس.. لو عايز تفكر صح لازم تقرا عن آراء أبي العلاء المعري، أفكاره عن الخَلق والوجود عبقرية.

- لعلمك إنتي لو سمعتي علماء دين فاهمين بجد هتعرفي إن الدين عمره ما خالف العقل.. المشكلة في إن جزء كبير من الشيوخ اللي في مصر أفكارهم قديمة وواخدينها عن حفظ من غير فهم، وجزء متساهل لدرجة السذاجة والكفر.. منهم كتير قاريين شوية كتب ومش دارسين دين في الأزهر أو حتى على إيد شيخ أو عالم قديم.. معظمهم بيكونوا خريجي كليات عادية.. رافعين شعار ربنا عرفوه بالنقل.. مع إن ربنا عرفوه بالعقل.

- على فكرة بغض النظر عن خلافي معاكوا كلكوا بس هما صح.. الدين ما هو إلا شوية نصوص بتتنقل وبتتفسر.. غير قابلة للتعديل أو للتجديد.. يعني لولا النقل ماكنتوش هتعرفوا إن فيه إله أصلًا.

قال جلال مصححًا لها:

- وهو سيدنا إبراهيم لما عرف ربنا عرفه إزاي؟ مش فكَّر الأول في كذا قوة طبيعية ممكن تكون مسئولة عن حركة الكون؟.. لحد في الآخر ما توصَّل إن فيه قوة فوق الطبيعة وفوق البشر، ساعتها نزل عليه الوحي من المولى!

- وحتى لو حد كلم الناس بمنطق ديني.. إحنا شعبنا معتقد إنه متدين بطبعه.. ممكن يكدب وينصب وياكل مال يتيم، بس ما يسيبش شبشب مقلوب وما يدخلش الحمام برجله الشمال.. واللي بيسافر برة مصر بينام مع بنات وبيشرب خمرة بس ما بياكلش لحم خنزير عشان حرام..

- أنا عند رأيي: العيب في الناس مش في الدعاة.

- بس الشيوخ ماعندهمش العقل الإبراهيمي اللي ممكن يثور على معتقدات وارثينها برة الدين أصلًا.

- عشان كده الملحدين بينظّروا على أفكارهم وبيطلعوا منها غلطات بسهولة.. بس فيه جيل جديد في مصر وفي دول تانية عربية وإسلامية حاسس إنه ممكن يغير الفهم الخاطئ ده.. مستبشر بيهم جدًّا.

- وفيه جيل برضه بينضم لجماعات تكفيرية وماعندوش مانع يحرق أو يقطع رقبة أي حد مختلف معاه في العقيدة.

- الغلط في فهم الدين وتفسيره مش في الدين نفسه.

- أنت ناقص تعمل زي أختي وتجيب لي كتاب "حوار مع صديقي الملحد" ملفوف في لفة هدايا.

- يا ريت مصطفى محمود كان لسه عايش، ناس زيه وزي الشيخ ديدات لو كانوا وسطنا مكانش الإلحاد ظهر أصلًا.

- بس تعرف.. زي ما الإلحاد طالع موضة، التصوُّف برضه بقى موضة.. دلوقتي أي واحد فاضي سمع فرقة إنشاد أو سمع أغنية بلحن صوفي يقول لك أنا متصوّف..

ده فيه فرقة موسيقية لما قدمت النوع ده من الأغاني.. الجمهور بتاعهم فاكرين نفسهم متصوفين من أيام النسك!

- المشكلة إنهم فاكرين التصوُّف مجرد إنك تتوه وتدروش مع الكلمات.. مش واخدين بالهم إن الأساس اللي قايم عليه الموضوع كله هو الزهد.. تخيلي فيه حفلات بتتعمل على أساس إنها حفلات للغنا المتصوف بس التذكرة الواحدة فيها بمية جنيه.. فين الزهد في كده أصلًا؟!

دلوقتي أي بنت تشتري دُفْ وتنزل موالد تفتكر نفسها رابعة العدوية في زمانها.

- ما علينا.. أنت هاتنزِّل روايتك الخامسة مع دار تواصل برضه؟

أجاب جلال كأنه لم يتخيل السؤال أصلًا:

- آه، هاسيبهم ليه يعني؟

- دار صغيرة توزيعها محدود وفلوسها مش كتير.. تعرف لو جيت معايا دار بصيص.. لطفي أبو الخير هايقدَّرك.

- بس همَّا أول ناس دفعوا فيا وغامروا ونشروا لي هابقى قليل الأصل لو سيبتهم.. بعدين أنا زاهد بجد في الشهرة وفي الفلوس، المهم عندي أعمل اللي بحبه وخلاص.

- زي ما أنت عايز.. اشتغل مع أي حد بس ابعد عن يعقوب حنّا.

انتبه فجأة إلى حديثها عكس المعتاد، وقال:

- قصدك صاحب دار النجاح؟!

- هو ده.. شخص مش محترم.

قال جلال بلهجةٍ مرتعبةٍ:

- عارف إنه مش محترم.. بس هو عمل معاكي حاجة؟

- راجل مش على بعضه كده.. تحس إنه كان نفسه يبقى منتج أفلام مقاولات بس فلوسه ما كفيتش فقرر يفتح دار نشر.. كل الموظفين بنات، ومعظم الكتّاب بنات..

روحت له قبل ما أنزّل أول ديوان.. استقبلني في مكتبه وطلب أحكيله ملخص القصايد اللي في الديوان.. فكان فيهم قصيدة عن بنت اضطرت تشتغل رقّاصة عشان محتاجة فلوس وأهلها ميتين وحدوتة كبيرة أوي.. تخيّل ساب كل ده وكلمني عن إيه؟

- إيه؟

- عن أنواع بدل الرقص المفضلة عنده!

ضحك جلال حتى كاد قلبه أن يتوقف عن الخفقان.. وقال لها بصوتٍ خفيضٍ وهو يسبّل لها بعينه:

- بصراحة معاكي بالذات عنده حق يقل أدبه.. إنتي قمر أصلًا!

- اتلم يا جلال، الكلام ده مبياكلش معايا!

- بياكل في طبق تاني؟

- بطّل استظراف!

أشار إلى شعرها الذي صففته على هيئة ضفائر رفيعة منفصلة كأنها تنحدر من أصول إفريقية، وقال:

- بس حلوة الراستا.. هتاكل منك حتة.

- متشكرة.

نهض قائلًا:

- هاقوم أروح الحمّام.. مش هتأخر.

- يا ريت تتأخر علشان الريحة جوة تطلعك من المود الرومانسي البايخ ده.

فور قيامه اختفت ابتسامتها وظهرت على وجهها الجدية.. ثم أخرجت من حقيبتها شريط دواء وأخرجت منه أربع حبوب بيضاء اللون وتلفتت حولها في حذر، ووضعت حبتين في كوبها وأخريين في كوب جلال.. ارتبكت حين رأته قادمًا ولكنه لم يلحظ ارتباكها لانشغاله في تجفيف يديه بمنديل.. قالت له:

- هتاخدني من البيت بكرة واللا نتقابل في المعرض وخلاص؟

- هاجي آخدك يا استغلالية.. تحبي آجي إمتى؟

- الريِّس لسه قايل إنه عايزنا نكون هناك من العصر.. بس أنا بقول نروح نلف شوية قبلها عايز أجيب كام كتاب من سور الأزبكية، وشوية كتب أطفال لولاد أختي.

- حاضر بس بشرط..

- اتفضل!

- تعزميني على كشري من هناك.

- موافقة.. أصلا كشري المعرض واحشني جدًّا.

أنهى كلٌّ منهما كوبه ولاحظ جلال تغير طعم العصير، ولكنه لم يُعلّق..

توجه النادل مُسرعًا إلى جلال وانحنى عليه وهمس في أذنه قائلًا:

- الزبونة اللي في الترابيزة اللي جنبك شافت الآنسة يارا وهي بتحط حبوب في كوبايتك.. خير؟

رد عليه جلال بصوتٍ خفيضٍ:

- ما تقلقش ما فيش حاجة.. إمشي أنت.

نظرت يارا إلى النادل وهو يبتعد، وقالت لجلال:

- طبعًا قالك إني حطيت حبوب بيضا في كوبايتك وكوبايتي.

انتظر جلال منها تفسيرًا لم يأتِ، فحاول الرد ولكن صوته خرج منخفضًا كالفحيح فقال وقد تصبب عرقًا:

- إنتي حطيتي لينا إيه في العصير يا مجنونة؟

قالت وهي تضحك والعرق يُغرق وجهها:

- دي حبوب سامّة بتسبب الموت في ظرف خمس دقايق بالظبط يا حياتي.. أخيرًا هانعرف إذا كان إسلامك هو الصح ولا أنا اللي كان معايا حق وما فيش آخرة.

3 - الضَّابطُ الصَّغِيرُ

كانت الفرحة التي يشعر بها محمود آنذاك لا تُوصف.. فقد ظل يسمع طوال مراهقته عن قصص الحب الفاشلة التي مرَّ بها أصدقاؤه.. والتي غالبًا ما تنتهي بالفراق..

ولكن هذه المرة انتصر محمود لأبناء جنسه، فظفر بخِطبة من يُحب برضاء تام من أهلها.. بسمة، ابنة خالته وحبه الوحيد، وأخت المقدم أكمل العطار صديقه ومثله الأعلى..

كانت اسمًا على مُسمَّى، عزفا معًا سيمفونية رومانسيةً كُتبت ألحانُها في زمنٍ تجاوز السنوات العشر.. أحبها فهامت به هوسًا، أخلصت له فأدمنها.. عشقت "حودة" الطفل الذي يكبرها بثلاث سنوات والذي يلعب الكرة مع أصحابه في النادي أمامها محاولًا لفْتِ انتباهها إليه.. وازداد هواها لمحمود طالب الثانوية العامة الذي كانت تشعرُ أنه ما يذاكر إلا لينالَ رضاها وإعجابها.

كانت تخشى أن يكونَ حبُّه لها محض مراهقة وسينتهي فور نضوجه.. لذلك فعندما صارحها بحبِّه لها أسرَّت إليه بمخاوفها.. فقال لها جملةً لن تنساها ما حيت:

"إذا كان حبي لكِ مراهقة.. فليفنَ الشاب والكهل والشيخ بداخلي.. وليحيا المراهق!".

فرحت بسمةُ كما لم تفرح من قبل يوم أن تخرَّج محمود من كلية الشرطة.. يوم أن صار الملازم أول محمود الأنصاري الثالث على دفعته.. وليس محمود ابن اللواء عبدالمجيد الأنصاري، ولا ابن خالة الرائد – آنذاك – أكمل العطار.

أما عن سعادة محمود الاستثنائية بهذا اليوم فلم تنبعْ من مصدرٍ واحدٍ.. فاليوم هو يومُ حصوله رسميًّا على ترقية إلى رتبة رائد، واليوم خِطبته على معشوقته بسمة.. لم يقضيا مع الأهل الكثير من الوقتِ في حفل الخطوبة.. فقد اتفقا على أن يخرجا وحدهما لأول مرة بمعرفةِ الأهل..

ما لم يعلمه أحدٌ أن محمود وبسمة قد تقابلا في الخفاء لمدةٍ طويلةٍ.. لم يعرف هذا السر سوى أكمل الذي رآهما معًا بالصدفة.. استقبل المنظرَ غاضبًا مستشيطًا ولكن حين تحدَّث معه محمود رجلًا لرجل أظهر موقفًا متفهمًا لحبهما.. وبارك لهما في العَلاقة شريطة أن يكونَ محمود جادًّا مع شقيقته.. الأمرُ الذي لا يستطيع محمود العدول عنه بعد أن أعطى أكمل كلمته، حتى وإن قلَّ حبه لبسمة.

لم ينسَ كلاهما فضل أكمل على عَلاقتهما.. فقد كان المُدافع الأول عنه ضد بادرة رفض من الأهل مدفوعًا بالخوف من زواج الأقارب، كما كان العامل الرئيسي في إتمام هذا الارتباط وجعله في الصورةِ الرسمية .

انطلقا معًا في سيارة محمود الجديدة، وأثناء السير نظر محمود إلى المرآةِ الجانبيةِ على يمينه.. فوجد انعكاسَ بسمة التي كانت تضبط زينتها وتعدِّل وضع حجابها الذي اعتادت ارتداءه منذ فترةٍ ليست بالبعيدة، واعتادت أيضًا جعله منفوشًا من الخلف في محاولةٍ لمجاراةِ صيحةِ الحجاب الجديدة، الأمرُ الذي كان يستفزُّ محمود ويجعله يقول لها دائمًا: "شيلي الأناناساية دي من قفاكي"..

تتمتع بسمة بجسدٍ دقيقٍ يُشبه ملامحها المريحة للناظرين.. لا تحتاجُ إلى وضعِ الكثير من مساحيق التجميل لتبدو جميلةً.. ترتدي عوينات نظر مستطيلة الشكل غير سميكة.. لم تزِد على عينيها العسليتين إلا جمالا وبريقًا.

كانت بسمة اختيارًا مثاليًّا لشخصٍ عصبي سريع الفعل ورد الفعل كمحمود.. فهي هادئةٌ كخرير نهر، تعرف كيف تمتصُّ غضبه.. قلبُها أبيض لون وجهها يُساعدها على نسيان نوبات غضبه التي ورثها عن والده.. ولكنها لا تتسامح أبدًا في أمرٍ واحدٍ: عَلاقات محمود مع الجنس الآخر.. فغيرتها تجعلها تُضيف على براءتها شراسةً كالقطة التي تحمي بناتها حتى وإن بلعتهن أحياء.

أقسم لها محمود ذات مرة أنه رأى عينيْها أكبر خارج موضعهما، كما رأى قوامها أطول وأضخم من حجمها الطبيعي في إحدى المشاجرات التي أحدثتها مع فتاةٍ كانت تحادثه بشيء من الدلال..

أخبرها أنه ليس وسيمًا بالدرجة التي تجعله مطمعًا للبنات.. ولكنها كانت تُشاهده بعين الأنثى، وبقرينة المُحبة فعرفت قيمة الماسة التي أحبتها..

فمَن تلك العمياءُ التي لن تُغازل محمود وتُحاول سرقته من بسمة.. فهو على قدرٍ كبيرٍ من جمال المظهر وخفة الدم والذكاء الحاد الذي يظهر جليًّا في لمعانِ عينيْه.. يتمتع بشعرٍ خفيفٍ يُكسب ملامحه صلابةً، وبشرة برونزية جذابة وجسدٍ رياضي بارز العضلات والعروق.. كما أنه من أعضاء أسرةٍ عريقةٍ على قدرٍ كبيرٍ من الثراء.

على عكس الوجهة التي توقّعت بسمة.. أوقف محمود السيارة على جانب الطريق في منطقةٍ مظلمةٍ.. فقالت له بنبرةٍ لم تستطع أن تُخفي الخوف منها:

- وقفت ليه يا محمود.. أنت مش خايف حد يثبتنا في المكان ده؟

- ده على أساس إنك مخطوبة لمدرس فلسفة؟ أنا ظابط يا هبلة!

ضحكت ضحكةً خفيفةً، وقالت محاولةً استفزازه:

- ظابط إيه بس ده أنت في آخر مأمورية رجعت من الأقصر واخد رصاصتين.. بلا وكسة.

بادلها الضحك.. ثم تحسس سلاحه الموجود في حزامه.. وهي الحركة التي أدمنها منذ أن استلم سلاحًا لأول مرة بعد التخرج ليشعر بالقوة.. ثم قال مبتسمًا وهو يعدِّل من وضع جسمه ناحيتها ليكون لها أقرب:

- بس خدت حقي وقبضنا على التشكيل كله.. دول كانوا مافيا مخدرات، واكتشفنا كمان إنهم كانوا ناهبين نص تماثيل وجه قبلي.. بس حبيبك ماعتقهومش.. فرغت فيهم ست خزن من طبنجتي.

قالت بسمة بنفس الفخر الذي تقوله كلما سمعت نفس القصة:

- الحمد لله أيام وراحت لحالها.. أحسن حاجة عملها عمو عبد المجيد إنه وصى عليك تتنقل مدينة نصر مع أكمل.

- كله عشان خاطرك.. أنا لو عليا ماليش في شغل المناطق الراقية ده.

قالت بسمة بلهجة يملؤها الدلال:

- يعني بجد بتحبني يا محمود؟

- ما بحبش غيرك أصلًا.

اعتدلت في جلستها ونظرت أمامها وقالت بضيقٍ مصطنع:

- يعني مش هاتزهق مني بعد فترة وتقولي أصل قلب الراجل زي الميكروباص لازم يتملي بـ14 عشان يتحرك.

أجابها ضاحكًا:

- لأ يا بوسي.. أنا قلبي توكتوك يعني يدوب يساعك بالعافية.. خصوصًا بعد ما تجيبي لنا ياسين الصغير وتتخني.

- أنا بعشقك على فكرة.

قال محمود بلهجةٍ مستفزةٍ:

- وأنا شكلي كده على وشك أعجب بيكي.

أجابته بغضبٍ لم يمنع ضحكتها من الهروب والظهور على وجهها:

- وحياة مامتك.

- اسمها وحياة أمك..

ثم نظر إلى عينيها التي يعشقهما، وقال بصوتٍ خفيضٍ:

- يا بنتي أنا بشوف مخلوقات ربنا عبارة عن رجالة وستات وبسمة.. يعني إنتي بالنسبالي حاجة كده لوحدك.. تقدري تقولي ملاك واخد إجازة بدون مرتب من فوق وجاي يعيش معانا.

- ربنا يخليك ليا.. اتحرك بقى من هنا وتعالى نقعد في أي مكان هادي عشان أنا خايفة.

ضحك ضحكة خفيفة.. ثم اقترب منها أكثر ومرر يده على خدّها وأسفل ذقنها وقال بصوتٍ خفيضٍ لا يخلو من الحب:

- إنتي معايا.. يعني ما فيش خوف من ظابط يرخم علينا، ولا من قطّـاع طرق.. بس لو لازم تخافي خافي مني أنا.

قالت بصوتٍ عالٍ:

- أنت هاتستهبل ولا إيه يا محمود؟

ردَّ عليها بهدوءٍ قائلًا:

- يعني هي أول مرة نستهبل.. ما إحنا ياما استهبلنا.. بس تعرفي إن استهبال المخطوبين له طعم تاني؟

كرمشت وجهها كعادتها حين الغضب، وقالت:

- لأ ما أعرفش.

- طب سيبيني أعرفك!

قالت وهي تلوّح بسبابتها في لهجة إنذار:

- بس استهبال عن استهبال يفرق.. مش هتلمسني غير لما تكمِّل نص دينك.

- قال يعني النص الأولاني كامل!

حاول محمود أن ينتزع منها قُبلة كما كانٍ يفعل معها فيما قبل.. رفضت في البداية.. ولكنه أحكم يده في حنانٍ حول رقبتها وخطف قُبلةً سريعةً من طرفٍ واحدٍ فبدأت تضعف مقاومتها وتلين في يده كالطين الأسواني.. ولكن لسوء حظه رنَّ هاتفه المحمول مما جعله يُطلق سبةً بصوتٍ عالٍ.. كان الطالب هو زميله وصديقه شريف المنجي.. فأجابه محمود قائلًا:

- مش وقتك خالص يا شريف.

أجابه شريف بأنفاسٍ متقطعةٍ:

- ما تضيعش وقت أنا محتاجلك.. أنت في خطوبتك لسه ولا واخد خطيبتك في الحتة إياها اللي بعد الكمين اللي باخدم فيه؟

أجابه محمود بغضبٍ:

- اسمها بأفسحها مش واخدها يا عديم الذوق..

ثم أردف قائلًا:

- وبعدين آه يا سيدي راكن في الحتة اللي بعد الكمين بتاعك.. وما تقولش ليا آجي أونّسك في ورديتك علشان أنا رسميًّا...

قاطعه شريف مسرعًا:

- ركز معايا.. فيه عيلين راكبين مكنة ريس كسروا الكمين.. ضربنا عليهم نار بس ماجاش فيهم.. ملامحهم ما كانتش باينة عشان لابسين خوذ.. بس اللي بيسوق رفيع وطويل، واللي راكب ورا جسمه مليان حبتين.. إحنا وراهم دلوقتي بس هما سابقين بكتير.. عربيات الكمين كلها منتهية الصلاحية ومش قادرين نلحقهم.. إحنا بلّغنا عليهم هما هايدخلوا في قلب البلد وهايتوهوا مننا!

- خلاص هحاول أعطلهم أو أخبطهم خبطة خفيفة لحد ما تيجوا.. بس أكتر من كده ما وعدكش.. أنا معايا خطيبتي ومستحيل أنزل من العربية أو أعمل أي قلق وهي معايا.

- وأنا مش عايز منك أكتر من كده.

ضغط محمود زرًّا بجوار مقعد خطيبته فأنزله، ثم أمرها أن تربط حزام الأمان، وأن تهبط في جلستها أكثر فأطاعته دون مناقشة.. كانت هذه أول مرة ترى فيها هذا الجانب الجاد العملي من حبيبها.

وبعد ثلاث دقائق ظهرت الدراجة البخارية.. فحرَّك محمود سيارته بشكلٍ مباغتٍ لتقطعَ الطريقَ بالعرض.. ولكن مالك كان رد فعله أسرع فجاوز السيارة بسنتيمترات قليلةٍ ولم يصطدم بها .

عدَّل محمود من وضع سيارته وتحرَّك خلف مالك بسرعةٍ محاولاً اللحاق به.. ولكنه كان يعلم أن الدرَّاجة ستكون أسرع منه فأخرج سلاحه وأطلق الرصاص بيده اليسرى عليهما فلم يصبْ إلا ذراع مالك الذي سال قليلٌ من دمه على الأسفلت.

على الجانب الآخر كان آدم يوشك على الموت فزعًا، وصرخ مرتعبًا في مالك قائلًا:

- قف يا مالك.. أنا ما ليش دعوة بالكلام ده أنا مش عايز أموت.

قال مالك جملةً تبدَّد معظمها بفعل الرياحِ الشديدةِ التي تقابل سرعتهما الفائقة:

- اسكت خليني أفكر هانعمل إيه.. هو ضرب نار كتير وبقاله دقيقة مابيضربش.. شكل رصاصه خلص.

- اطلع على النيل وهاننط في المية وخلاص.

- أنا دراعي نزف كتير مش هقدر أعوم؟

- أنا باعرف أعوم وهاسحبك معايا ما تقلقش.. إحنا سبقناهم بمسافة كويسة.. هننط في حتة ضلمة وربنا يستر.

على الرغم من عدم ثقة مالك في خطة آدم، ولا في آدم شخصيًّا.. إلا أنه لم يكن لديه خيارٌ آخر سوى اتباع الخطوات التي رسمها لهروبهما من ذلك الضابط العنيد.. لا يعرف من أي مكان من الجحيم ظهر له هذا الضابط!

سار القرد على خطة صاحبه بحذافيرها.. فهدّأ سرعته حين وصل كورنيش النيل فأوقف الدَّراجة بعد ثوانٍ من الحركة بالقصور الذاتي.. وتعكّز على آدم حتى وصلا إلى حافة السور المحيط بالنيل.. ساعد آدم صاحبه على تسلق السور القصير، وتشبّث كلٌّ منهما بالآخر ثم قفزا في أحضان النهر.

تتبعهما محمود حتى وصل إلى موقع قفزهما الذي كان سهل التخمين لوجود الدراجة عنده.. ترجّل من سيارته ونظر إلى موقع سقوطهما في الماء ثم أخرج سلاحه وبدَّل خزانة الرصاص الفارغة بأخرى ممتلئة، وشرع يُطلق النار عليهما.. فكَّر في القفز وراءهما واستكمال المطاردة.. ولكنه احتار بين خيارين أحلاهما مرٌّ:

الأول أن يقفز وراءهما لاستكمال المطاردة.. ومع الوضع في الاعتبار إصابة أحدهما وبدانة الآخر سيتمكن من اللحاق بهما والقبض عليهما.. ولكنه سيُعرِّض بسمة للخطر في هذه المنطقة المقطوعة، وفي ظل تأخر وصول طاقم الكمين.

أما الثاني فتمثّل في الاكتفاء بما حققه، وبقائه منتظرًا زملاءه.. فيستكملون المطاردة أو يترك خطيبته مع أحد الزملاء ويستكملها بنفسه.

وفي حالة تطبيق أحد الاحتمالين فلا مسئولية مهنية على عاتقه..

ولكن منذ متى ومحمود يعبأ بالمسئولية المهنية؟.. فهو لم يلتحق بجهاز الشرطة ليكون موظفًا عاديًا.. بل ليُحقق العدالة ويتحمل مسئوليةً أخلاقيةً وإنسانيةً رفيعة المستوى.. ويُثبت نفسه في هذا الوسط بعيدًا عن عائلته.

قطع أفكارَه صوتُ سارينة سيارات الشرطة التي قد وصلت متأخرةً كعادتها.. فأمر شريف العساكر بالقفز وراء الفارَّيـْن.. وقد عرف أن دوره قد انتهى بشكلٍ مؤقتٍ فقال لمحمود وهو يُكافح في ملحمةٍ لالتقاط أنفاسه:

- معلش يا حودة.. عارف إن إنهاردة بالذات ما كانش لازم أزعجك.

- يا شريف دي مسئوليتنا.. تحب أخلّي بسمة معاك وأكمّل أنا المطاردة؟

أومأ شريف برأسه كعلامة على الرفض التام وأشار إلى بسمة التي كانت تبكي ولا تستطيع الوقوفَ مستقيمةً على قدميْها، وقال لمحمود:

- لا أنا ولا أنت نقدر نعمل حاجة ربنا يسهل والعساكر يلاقوهم بس.. المهم قول لي خطيبتك كويسة؟

- هي منهارة عشان أول مرة يحصل قدامها موقف زي ده.. بس تمام يعني هاتهدا كمان شوية.

قال شريف خجلًا:

- أنا بأكرر أسفي.

أجابه محمود بلهجةٍ عمليةٍ:

- المهم قول لي.. كشفتوا على نمرة الموتوسيكل؟

- الموتوسيكل طلع شمال.. مالوش ورق ولوحة الأرقام اللي عليه ولا ليها أي لزمة.. والكماين اللي قبلنا ما حدش فيهم فكر يراجع اللوح أو يفتشهم عشان شكلها غالي والعيال لبسها نضيف.

قال محمود:

- ربنا يوفق الرجالة ويجيبوهم.

أمَّن شريف على دعاء صديقه.. وبصعوبة أقنعه بوجوب رحيله مع خطيبته فلم يعد له دور أو إضافة يقدمها في هذه المطاردة بعد الآن.

وعلى بُعد أمتارٍ أسفل شريف كان آدم يبذل مجهودًا لم يبذله في حياته.. استرجع دروس السباحة التي تلقاها صغيرًا.. فحمل مالك فوق ذراعه الأيسر وأخذ يسبح بالأيمن.. قاوم برودة المياه، وصعوبة الطفو على سطحها، ورائحتها القذرة..

لحسن حظه أن وضعه لم يساعده على السباحة سريعًا.. الأمرُ الذي كان سيكشفه في عيون مطارديه، كما أن حظه أظهر أمارة أخرى في ظهور تلك المركب.. كانت من النوعِ الذي يستخدم في النزه النيلية..

وعلى عكسِ ما توقع آدم فقد ساعدهما المراكبي على الصعود وقد رأى العساكر وهم يقفزون في الماء ويتجهون نحوه سابحين.. فأخفى القرد وصاحبه في غرفةٍ صغيرةٍ تحت سطح المركب الخشبي وحثّهما على النزول دون الإكثار من الكلام قائلًا:

- ما تعملوش نَفَس.. حاول توقف الدم اللي بينزف من صاحبك بأي حاجة..

ثم أردف حين لمح الشك في عين آدم:

ما تخافوش غطا الكابينة لون سطح المركب.. ما حدش هياخد باله إن الكابينة موجودة أصلًا.

توقع آدم أن تكون هذه حيلة وأن المراكبي سيسلـّمهما إلى العساكر فور صعودهما على متن المركب.. ولكنه لم يجد أمامه خيارًا آخر سوى الطاعة والانتظار.. وجد في الغرفة قطعة قماش بيضاء فربطها حول ذراع مالك في محاولةٍ لإيقاف النزيف.. ثم أراحه على أرض الكابينة وجلس بجواره.. لم يتوقع جفاف ملابسهما بهذه السرعة ولكنه حدث.

ظل يقرأ ما أمكن تذكره من القرآن في سره.. وكان يقطعه أحيانًا ليُحاول التلصص على ما يحدث بالخارج، علّه يسمع ما يدور بالأعلى.. ولكنه لم ينجح في محاولاته، فظل يدعي ربه أن ينجيه من هذا المأزق الذي لا شأن له في صنعه..

"منك لله يا مالك.. ستسجننا بفضل تجارتك وإدمانك"

هكذا قال لنفسه محاولًا تبديد مدة الانتظار التي طالت.. تجاوزت الثلاث ساعات تقريبًا.. مرَّت عليه كأنها الدهر كله.. فقد مالك فيها الوعي أكثر من مرة ناهيك عن الهلوسة التي لم تنقطع، وفقد آدم فيها الأمل في عودة حياته إلى مسارها الطبيعي..

ظن آدم أن روح صاحبه ستصعد إلى بارئها عندما ارتجف جسمه منتفضًا انتفاضة الرحم حين الولادة.. فخلع ملابسه الثقيلة وغطى بها مالك وكتّفه بها لكي لا يُحدث ضوضاء تنتقل إلى الخارج.. استغربٍ آدم أنه لم يشعر ببرودة الجو بعد أن صارت ملابسُه أخف.. بل على العكس ازداد عرقه كثافةً وسخونةً!.. تذكَّر نصيحة أمه الدائمة له "امشي جنب الحيط يا آدم".. تذكر أيضًا تذكيرها المستمر له بأنهما في هذه الحياة بلا ظهر، وأنها لا تريد أي شيء من هذه الدنيا سوى إيصاله إلى بر الأمان، تذكر تضحياتها المستمرة لأجله ورفضها الزواج من غير أبيه..

تذكر شيماء حبه الأول التي تركته من أجل صديقه الصدوق عاطف.. كانا السبب الرئيسي لعدم إيمانه مرةً أخرى في الحب أو الصداقة وانعزاله عن الاجتماعيات.. ولكنهما أيضًا كانا السبب في اتجاهه إلى الكتابة لينساهما.. كان يحرص كل الحرص على وضع شخصياتٍ مشابهةٍ لهما في كتاباته ويظل يصفهما بأسوأ الصفات ويضعهما في القالب الشرير.. كان يشعر بلذةٍ حين يفعل هذا، وحين وصف هذا التصرف لصديقة من صديقاته عبر الإنترنت وصفته وصفًا لم يغادر مخيلته قط.. فقد قالت عنه "الحمل السادي".

وفي تمام الثالثة فجرًا قطع عليه خواطره صوتُ المراكبي وهو يدخل الغرفة من بابها الوحيد بالأعلى وقال له:

- معلش اتأخرت عليكوا.. منهم لله بعد ما فتشوا المركب صمموا ألففهم بيها عشان يدوَّروا عليكوا في المية.. بس الحمد لله زهقوا وافتكروا إنكوا هربتوا.

تعاون آدم مع المراكبي على إخراج مالك كما تعاونا على إنزاله من قبل.. ثم قام المراكبي بتطهير جرحه على الطريقة القديمة: فأحرق نصلًا معدنيًّا بالنار ووضعه على الجرح.. وقال لآدم وهو يمسح عَرق جبينه في كمِّه:

- الحمد لله الرصاصة مدخلتش جسمه.. أنا طهرت الجرح كويس.. هو كده تمام.. بس أول ما يفوق مش هايتحمل الألم.. خليك جنبه.

- بس ده كان بيترعش.

أجابه المراكبي ببرود لا يتناسب مع الموقف:

- طبيعي لأن جرحه مش طاهر والدنيا برد..

قال آدم كأنه لم يسمع تعليق المراكبي:

- مش عارف.. بس كان بيتنفض جامد زي ما يكون بيموت.. ده كان هيعمل دوشة بس أنا كتفته لحد ما هدي ونام تاني.

- ممكن يكون عنده صرع وجاتله النوبة.. فيه مليون سبب.. بس هو دلوقتي تمام.

- ولما هو تمام.. ما فاقش ليه لحد دلوقتي؟

ابتسم المراكبي وتوجَّه إلى نهاية المركب وأخرج لفافةً ورقيةً صغيرة الحجم.. لم يدر آدم محتواها إلا حين فتحها المراكبي، وأخرج منها مسحوقًا أسود اللون ووضعه على فم مالك فاستفاق الأخير على الفور من إغمائه وراح يعطس كثيرًا وقد احمرَّ أنفه.. وصاح في آدم غاضبًا:

- فلفل إسود يا مفتري؟!

فرّد عليه المراكبي وهو يضحك:

- صاحبك المفتري ده أنقذك من الموت.. ده فضل يعوم وهو شايلك لحد ما هرَّبك من العساكر.. وكان عايز يطمـّن إنك هتقوم بالسلامة فشممتك فلفل إسود عشان تفوق بسرعة.

قال له آدم وقد بدت على وجهه علاماتُ الشك:

- بس إزاي العساكر ما عرفوش إننا مستخبيين هنا؟

- باب الكابينة من فوق نفس شكل سطح المركب.. فلما قفلت عليكوا بقى هو وأرضية المركب حتة واحدة.. دي حركة معروفة وسط المراكبية خصوصًا اللي بينقل أي حاجة من ورا الحكومة.. والعساكر دول لو كان حد فيهم خدم في الإنقاذ النهري كانوا هرشوها.

قال آدم بامتنانٍ:

- متشكرين أوي يا ريس على جدعنتك.. والله إحنا مش مجرمين.. الموضوع كله سوء تفاهم.

- وحتى لو مجرمين.. أنا ممكن أعمل أي حاجة تزعل الكلاب دول.

استنكر آدم ما قاله المراكبي، وقال:

- ليه كل ده؟ شكلك شايل منهم أوي.

- واخدين أخويا عندهم.. كل ما يكونوا فاضيين ينزلوا يلموا الدقون اللي في البلد.. أخويا ملتزم شوية ومالوش دعوة بالسياسة كل اللي مزعلهم منه إنه كان بيحارب في الشيشان أيام مواجهة

التيارات المعادية للإسلام.. بس ده كان إمام صلاة الجنازة على روح جندي بلدياتنا استشهد على الحدود!..

كل أسبوع ياخدوه من وسط بيته ويرجَّعوه وقت ما يحبوا، أو لحد النيابة ما تطلعه.. ما عندهومش تمييز بعيد عنكوا.

رد عليه آدم قائلًا:

- بس مش كلهم وحشين يا ريس.. البوليس زيه زي أي حاجة في الدنيا.. فيه الحلو وفيه الوحش.

غمزه مالك لكي لا يستفز المراكبي فيقرر تسليمهما.. وقال المراكبي وهو ينظر إلى صفحة الماء:

- آهه النوع الحلو ده أنا بسمع عنه بس.. ما شوفتوش غير في أفلام أحمد السقا!

رد عليه مالك بصوتٍ منهكٍ يريد إنهاء الحديث:

- مش وقته يا إخواننا.. ياللا يا آدم نمشي..

ثم أردف محدثًا المراكبي الذي لم يسألانه على اسمه:

- معلش يا ريس تعبناك معانا.

اطمأن المراكبي إلى أن ماء النيل قد أخفى معظم الدم الذي سال من ذراع مالك وتكفل هو بالباقي، ثم أعطاهما المال اللازم لركوب سيارة أجرة برغم إصرارهما على أنهما يمتلكان المال الكافي لهذا، ولكنه كان يريد إتمام المعروف إلى أن يبلغ منتهاه.

تحركا بالسيارة لمدةٍ لم تزد على ثلث الساعة، وعند بيت مالك طلب آدم من السائق التوقف وانتظاره بالأسفل.. ثم حمل رفيقه المنهك إلى شقته وعندما وصلا إلى الباب قال مالك:

- سامحني يا آدم على اللي حصل لك بسببي.. أوعدك مش هايتكرر.

- هو أكيد مش هايتكرر.. من النهاردة إحنا مجرد زمايل في الشغل مع الريّس.. مش عايز تربطني بيك أي علاقة.

حاول مالك إخفاء خجله على صديقه، وتبديد الثلج الذي تكوَّن بينهما، وتهوين معاناة آدم لأجله خلال الساعات الماضية.. فقال مازحًا:

- تصدق مش زعلان على حاجة قد ما أنا زعلان على البضاعة اللي راحت في المية دي.. ده غير موبايلاتنا.

أجابه آدم بلهجةٍ باردةٍ:

- ما يزعلش عليك غالي.. أنا موبيلي ضد المية وشغال عادي.. بس خد بالك الموتوسيكل معاهم ولو وصلولك أنا مش معاك.

قال آدم وهو يفتح الباب ويتكئ على أقرب مقعد يجده في المنزل:

- ما تقلقش هو مكانش بتاعي أصلًا.. دي كانت منحة من المعلم وهو اللي ظبطلي الورق بتاعه.

كاد آدم أن يعاتبه ولكنه تذكر أنه لا يريد أن يجمعهما حوارٌ خارج نطاق عملهما.. فقال له بلهجةٍ جافة:

- طب ما تنساش معادنا العصر في المعرض.. الريّس قال إنه محتاجنا معاه.

- اعتذر له.. أنا مش حاسس بدراعي وهاموت وأنام.

- ما ينفعش يا ناصح.. لو عملنا أي تصرف غريب ممكن يتشك فينا.. البوليس بيمسك مجرمين بحاجات أتفه من كده بكتير.. أنا مش خايف عليك.. إن شاء الله تولع بجاز.. أنا كل مشكلتي إنهم مش هيدوّروا عليك ومعاهم كلابش واحد.. ومش هايسيبوك لحد ما تنطق باسم سعيد الحظ اللي كان معاك عشان يلبس الكلابش التاني.

- أنت بتتكلم صح.. طب هاعمل إيه طيب؟

- اتصرف يا مالك.. أنت معروف في المعرض ما ينفعش تختفي بعد ما قولت للعيال اللي متابعين صفحتك إنك جاي.. خد حباية منبهات ولا أي زفت من اللي بتبلبعه ده!

قال مالك بآخر ما تبقى لديه من قدرة على الاعتراض والحنق:

- يا ابني أنت فاكرني برشامجي؟ أنا آخري حشيش لزوم المزاج والشغل.

لم ينظر آدم في عينيْ مالك ونطق في لهجةٍ حازمةٍ وبثقةٍ اكتسبها بعد أن صار له الفضلُ في إنقاذ حياته قائلًا:

- لازم تيجي.

- حاضر.

عاد آدم إلى بيته وأقنع والدته بصعوبةٍ أنه كان يتسكع مع أصدقائه ولم يسمع صوت هاتفه حين اتصلت..

أسرع بالاستحمام وغسل ملابسه يدويًّا ونشرها حتى لا يُكشف أمره.. شعر بأنه مجرمٌ خطيرٌ في فيلمٍ بوليسي وأنه يُخفي بصماته عن مسرح الجريمة.. حتى إنه اندمج فيما يفعل وتقمَّص دور المجرم حتى لا يتذكر ما حدث في تلك الليلة الظلماء، ثم نظر إلى المرآة وقال مُحدثًا انعكاسه ضاحكًا ضحكةً متقطعةً بافتعال:

- مين قال ما فيش جريمة كاملة؟!

غاب آدم في نوم كان يعلم أنه لن يكون عميقـًا.. فأعصابه لم تهدأ بعد.. علاوة على وجوب استيقاظه في ظرف بضع ساعات من أجل الذهاب إلى معرض الكتاب.

كان نومـًا باردًا بلا أحلام قاطعه صوتُ هاتفه المحمول.. فتح عينيْه جاهدًا ليرى من المتصل المزعج الذي أيقظه قبل حلول العاشرة صباحـًا.. كان رقم المتصل غير مسجل لديه.. ردَّ على محدثه في لهجةٍ ناعسةٍ قائلًا:

- مين معايا؟

- معاك الرائد محمود الأنصاري.. هاتيجي لوحدك بالذوق، ولا أجيب الجماعة ونجيلك إحنا يا آدم؟!

4- الضابطُ الكبيرُ

ترجَّل أكمل من سيارته متلفتًا حوله في حذر.. ثم أشار إلى الشخصِ الجالس جواره ليتبعه.. أسرعا في السير حتى وصلا إلى بوابة بناية ذاتِ سبعة طوابق.. نادى أكمل على حارس العقار ليفتح له البوابة العملاقة ثم دسَّ في يده مجموعةً من العملات الورقية.. لم يُحاول حارسُ العقار أن يتبيَّن ملامح الشخص المرافق لأكمل كعادته.. فلم يعتد أن يكترث بما يحدث في محل عمله.

سار أكمل حتى وصل إلى المصعد ففتح بابه وتنحى ليُدخل مرافقه قبله.. ثم ضغط على الزر المؤدي إلى الدور السادس..

نظر إلى انعكاسِ صورته في مرآة المصعد فرأى شابًّا بعمر الكهول.. أبيض اللون حليق الوجه.. لم يفقد الكثير من شَعره وإن كان الشيب قد غزا فوديْه فزاده وقارًا.. جسمُه رياضي مشدود.. لديه هوسٌ شديدٌ بأناقته، فهو لا يتقبل فكرة أن يبدو بمظهر سيىء أمام أحد.. حتى وإن كان وحيدًا في بيته!

خرج من المصعد وتوجَّه نحو ثالث شقة على يمينه ففتح بابها وأدخل مرافقه وقال بعد أن أغلق الباب بلهجةٍ مرحةٍ:

- منورة يا نيللي.. ليلتك زي وشك.

ضحكت نيللي ضحكةً طويلةً مجلجلةً وقالت وهي تخلع الرداء الأسود الذي كان يُغطي أغلب ملامح وجهها وجسدها:

- ده نورك يا باشا.

- وطّي صوتك هتفضحينا.

- فضيحة إيه يا باشا.. ده إحنا بعد الضـُّهر والعمارة هُس هُس.. بيني وبينك مبحبش أنا شغل النهار ده.

أجابها أكمل معاتبًا إياها:

- إنتي المفروض اتعودتي على كده.. ما ينفعش أبات برة البيت.

ثم جذبها من يدها حتى وصلا إلى غرفة النوم.. فأشار بسبابته لها لتخلع باقي ملابسها وجلس على الفراش بملابسه متأملًا إياها ثم حادثها قائلًا:

- أنا هقولك موضوع العمارة الهُس هُس دي بس حسك عينك تطلعيه برة.. بصي يا ست البنات..

قاطعت حديثه حين ضحكت مرةً أخرى ضحكةً أطول من التي سبقتها وأكثر رَقاعة، وقالت:

- بنات؟ إلهي يسترك.

- أنا آسف.. بُصي يا عاهرة يا سليلة العاهرات.. العمارة دي تُعتبر الجمعية الوطنية لممارسة الرذيلة.. كل أصحاب الشقق شخصيات عامة: مسئولين وفنانين وهلم جرا.

- يا ولاد الأبالسة.. بس إفرض حد من اللي شغالين هنا اتكلم أو عرَّف الموضوع ده لأي صحفي؟

ما فيش حد شغال هنا غير البوَّاب اللي شوفتيه.. بندفعله مبلغ قد كده كل شهر عشان ينضف الشقق كل جمعة وما يفتحش بوءه.. بعدين هو عارف الناس هنا يقدروا يعملوا فيه إيه لو نطق بحرف.. فعمره ما هايعملها، بعدين هو هايعوز شغلانة مرتاحة أكتر من كده في إيه؟.. لا فيه عيال صغيرة تلعب حواليه وتدوشه، ولا أهاليهم يخلوه يوديهم ويجيبهم من المدرسة، ولا فيه ستات بيوت يبعتوه يفاصل في كام كيلو خيار وطماطم عشان الكام جنيه الباقي من الفلوس، ولا بيشيل هم الناس الشمال اللي ممكن تطلع العمارة.. عشان العمارة كلها شمال.

ضحكتْ للمرةِ الثالثةِ ضحكةً أعلى من سابقتيْها، وقالت:

- يعني مش مشغلين حد تاني غير البواب ده؟

قال أكمل:

- جايبين عيل تاني شغال في شركة تأمين خاصة.. بييجي كل أسبوعين معاه جهاز كده بيكشف بيه على الشقق.. الجهاز ده بيعرف بيه لو فيه كاميرات أو ميكروفونات مزروعة.. على أساس حرَّس ولا تخوِّن.. أنا اللي اقترحت الفكرة دي.

انتهت نيللي من خلع ملابسها لتكشف عن شعرٍ أسود منسدلٍ ينتهي عند منتصف الظَّهر، ورداء نوم أحمر يُظهر جسدًا قمِحي اللون كثير المنحنيات..

سارت نحوه ببطءٍ راسمة على وجهها ملامح خجل ودلال مصطنعيْن.. وقد كان جالسًا على حافة الفراش فاقتربت منه على مهل وحدثته بصوتٍ خفيضٍ:

- تحب نبدأ دلوقتي؟

أبعدها عنه وقال لها في حزمٍ وهو يقبض على ذراعيها ليمنعها من لمسه:

- قوليلي الأول: التحليل بتاعك اتأخر ليه الشهر ده؟

- الواد اللي شغال في المعمل قال هايجيبه آخر الأسبوع.. ماهه تحليل الإيدز مش سهل برضه.

ردَّ عليها:

- طب لو ما جبتيهوش المرة الجاية ما تجيش.

- أنت موسوس أوي.

قال أكمل بعد أن تخلّى عن هدوئه:

- أنا بشوفك مرة كل أسبوع تقريبًا.. مأضمنش إنتي بتعملي إيه ومع مين في الوقت ده.. والحاجات دي لازم نعمل لها مليون احتياط.. والمرض ده ضربته بفورة وعلاجه الوحيد الموت بفضيحة!

أجابته على الفور بلهجةٍ لم تخلُ من دلالٍ:

- المرة الجاية هايكون عندك يا أكمل.

- ميت مرة أقولك متناديش ليا باسمي.

- إحنا لوحدنا.. هاتفرق معاك يعني؟

صاح فيها بغضبٍ:

- ما إحنا على طول لوحدنا.. فكرك أنا ماعرفش إن نيللي ده مش اسمك الحقيقي؟.. وإني لما باوصّلك بتنزلي في مكان بعيد جدًّا عن بيتك الحقيقي؟

إنتي عيبك إنك شيفاني أهبل زي زباينك اللي بيريلوا أول ما يشوفوكي بتغمزيلهم.. لو فاكرة نفسك هتقدري تشتغلي أكمل العطار تبقي حمارة!

- آسفة يا باشا.. روّق كده.

أنهى النقاش قائلًا:

- اتنيلت.

- طب هاتقضل بهدومك كده؟

-إطفي النور ونزلّـي الستاير الأول.

كانت تتعجب حين يقول الناس عن عملها إنه "ممارسة الحب".. فقد كانت تُمارس وظيفتها بشكلٍ عملي بعيدًا عن أي عواطف غير مهنية.. لذلك وجدت راحتها مع أكمل الذي عاملها بنفس الأسلوب، فوضع لها خطة في أول لقاء بينهما ولم يُخالفها قط.

انتهى الأمرُ بسرعةٍ وبصمتٍ ككل مرة.. قامت من مكانها وتحسَّست طريقها حتى وصلت إلى بنطال أكمل الملقى على الأرض فأخرجت منه سيجارتين وأشعلتهما، ثم وضعت إحداهما في فمها، والأخرى في فم أكمل.. وتمددت جواره على ظهرها دون أن يحتضن أحدهما الآخر كما جرت العادة.. وقالت:

- تعرف يا باشا.. أنت عمرك ما بوستني ولا حضنتني.

ردَّ عليها ببرودٍ اعتادته منه بعد أن يُنجز مهمته:

- قال يعني هتفرحي لو عملت كده؟

- مش هافرح ولا هازعل.. بس مستغربة!

- طب تعرفي ليه أنا بحب الضلمة؟ تعرفي ليه محاولتش أعرف اسمك الحقيقي اللي سهل أعرفه من الواد بتاع المعمل اللي خليتك تروحيله قبل ما تجيلي، واللي بيأكد لي على كل نتايج التحليل قبل ما تجيبيهالي أشوفها بنفسي، تعرفي ليه مش عايزك تناديني باسمي من غير ألقاب؟.. وبنتقابل بالنهار ومش بحب أبات معاكي مع إني ممكن أتحجج لهم في البيت بإن ورايا شغل؟..

أنا مش عايز يربطني بيكي أي علاقة برة الشقة دي، وخصوصًا برة حدود السرير ده.

أجابته نيللي بلهجةٍ من لم تتفاجأ بحديثه قائلةً:

- كل زبايني مش عايزين يربطني بيهم علاقة ودي حاجة مريحاني.. بس مش بيعملوا زيك كده.

- أنا بحب مراتي أوي.. يـُمنى دي أحلى حاجة في دنيتي.. دي اللي شمس يومي مش بتشرق غير لما أشوف ضحكتها.

- ربنا يخليهالك يا باشا.. هي مش بتخلّف ولا إيه؟

- عندنا أحمد ومنة.

قالت نيللي مستنكرةً:

- يعني متجوز عن حب.. وعندك عيلين.. وسايب كل ده وجاي تنام مع واحدة من الشارع؟

- أنا مش مرتبط بيكي بقلبي.. أنا علاقتي بيكي علاقة شهوة وبس.. ولو كنت قادر أبقى مع مراتي زي ما أنا معاكي كده.. مستحيل كنت هاخونها.

مراتي من عيلة محافظة جدًّا.. عارفة طبعًا المشاكل اللي بتظهر في بداية المراهقة: ختان كامل، على شوية كبت، على عدم توعية.. مش ذنبها إنها مش فاهماني أو فاهمة بس خايفة تكون زيك.

ثم أردف بعد أن سحب نفسًا طويلًا من سيجارته قائلًا:

غير كده أهلها فهموها إن أي حاجة بتتعمل مع الزوج لازم تكون بحساب عشان ما يقولش عنها إنها – لا مؤاخذة يا نيللي - واحدة من الشارع.

ضحكت نيللي ضحكةً طفيفةً، وحاولت تغيير الموضوع.. فقالت لأكمل:

- ليه كل مرة قبل ما نطفي النور بتطلع طبنجتين الأول وتعينهم في الدُّرج؟

- طبيعي يكون معايا سلاح أنا ظابط.. وباحطهم في الدرج عشان ما تخافيش من منظرهم.

- مش بسألك ليه شايل سلاح.. بس مش شايف إن مسدسين كتير خصوصًا إنك ظابط كبير ودورك مش كبير في المداهمات؟

ردَّ عليها ضاحكًا:

- ما شاء الله فاهمة بنشغتل إزاي.

ردت عليه بلهجة متحدية:

- لعلمك أنا وأنت عارفين كويس إن دي مش شغلتي وإني متنيلة مجبورة عليها.. أنا كان فاضل لي سنة وأتخرج من تجارة، وليا زميلتي في الشغلانة السودة دي طالعة من تانية هندسة عشان تصرف على عيلتها.. حياتي مش كنبة أنتريه ناعمة وطرية ولونها أحمر!

كاد أن يسخر أكمل من تشبيهها، ولكنه غيَّر الموضوع حتى لا يعكر صفو الليلة، وقرَّر الإجابة عن سؤالها فقال وهو يشير إلى أحد المسدسين:

- واحد منهم ميري، والسلاح الكبير اللي شكله قديم ده فاضي.. ذكرى محتفظ بيها عشان بتفكرني بأكبر عملية عملتها في حياتي وخدت بسببها ترقية استثنائية.. عملية عزبة الخواجة.. تسمعي عن عزت حنفي بتاع الصعيد؟

قالت نيللي بفخرٍ طفولي:

- ده اللي اتعملت قصة حياته في فيلم الجزيرة.. صح يا باشا؟

- هو بعينه.. بس الفيلم مطلعه ملاك وبيحب ويتحب ودمه خفيف وبيهزر.. عزبة الخواجة دي كانت عاملة زي الجزيرة اللي كانت في أسيوط بس أخطر.. تخيلي مكان غرقان في السلاح والمخدرات وحرب بين عيلتين.. كل ده على بُعد نص ساعة بس من القاهرة.. بعد قليوب بعشر دقايق.. يعني لو ناس كتير عرفت واتأكدت من وجود مكان زي ده ممكن يموتوا من الرعب!

وشرع أكمل يحكي لها عن فترة عمله في هذا المكان منذ سبع سنوات.. كان نقيبًا متوسط الخبرة آنذاك.. أما عن عزبة الخواجة فعمرها قد جاوز الستين سنة.. كانت العزبة مملوكة لثري أرمني هجرها وعاد إلى وطنه الأم.

انتقل الكثيرُ من سكانِ القُرى المجاورة إلى تلك العزبة وسكنوا فيها بوضع اليد حتى أصبحت عزبة الخواجة قريةً صغيرةً مماثلةً لمسقط رؤوس أهلها.. فتحول الخفر سكانًا، وتحولت الفدادين المزروعة بيوتـًا.. كانت العزبة محاطة بالمياه من ثلاث جهات، وبأشجار الموز الكثيفة من الجهة الرابعة حتى أصبحت شِبه جزيرة.

كان أهلُ الجزيرة محصورين في عائلتين: عائلة الغجر وعائلة السلاّفية.. ولكن زعامة الجزيرة كانت من نصيب راشد الغجري كبير الغجر.. وقد كانت لراشد الريادة في إدخال كل ما هو غير مشروعٍ إلى الجزيرة.. ففي ظرف سنواتٍ قليلةٍ كوَّن ثروةً لا بأس بها من تجارة السلاح والمخدرات بكافة أنواعها..

بدأت العداوة بين العائلتين حين بلـّغ إمام مسجد القرية الشيخ عبد الرحيم السلَّاف الشرطة عن نشاط راشد غير القانوني.. حاولت الشرطةُ دخول العزبة ولكن موقعها بين المياه والأشجار أبطأ من عملية الاقتحام مما أعطى للغجر الأفضلية في معركةٍ قصيرةٍ انسحبت منها الداخلية بعد أن أدركت متأخرةً أن عملية اقتحام الجزيرة ستكون أصعب ما يكون.. خاصة بعد أن اتحد معهم السلافين في محاولة لتصحيح خطأ ابنهم عبد الرحيم.

لم يمنع ذلك التحالف المؤقت راشد عن نسيان ثأره عند السلافين.. خاصة بعد وقوع الكثير من القتلى الغجر في معركة الداخلية.. فقتل من أعدائه من قتل، وروَّع منهم من روَّع.. ولم يكن لدى السلافين آنذاك القوة الكافية التي تؤهلهم لردع راشد.. فاقترح أحد كبار السلافين أن يتم تسليم الشيخ عبد الرحيم تسليم الأهالي إلى الغجري ليفعل به ما يشاء.. فوافق عبد الرحيم مضطرًا لإيقاف سريان نهر الدم السلّافي.

وفي مشهدٍ مهيبٍ كئيبٍ ذهب عبد الرحيم خافض الوجه كسير العين إلى راشد.. حاملًا كفنه فوق ذراعيْه.. وقف متصدع الكرامة والنظرات أمام راشد الذي كان طوله يبلغ المترين..

كان من المتوقع أن يعفو راشد عن الشيخ بعد انكساره ومن ثم يقبل الصلح كما يجري العُرف.. ولكن راشد لم ينس قط أنهم برغم أسلوبِ حياتهم المنعزل والمشابه لأهل الصعيد إلا أنهم مجرد فلاحين في وجه بحري لا تربطهم أي التزامات تجاه أعراف الصعيد.. ففي الصعيد يتم قبول الصلح والاكتفاء بانكسار العدو وذلّه في معظم حالات الثأر.

لم يستوعب أهل العزبة ما رأوه.. فقد أخرج راشد مسدسه فقتل الشيخ بطلقةٍ واحدةٍ في الرأسِ.. الأمرُ الذي لم يتحمله السلّافين مما جعلهم ينفّذون الكثيرَ من عمليات الاغتيال لكبار الغجر.. ليعودَ نزيفُ الدماء من جديدٍ وتذهب تضحية الشيخ عبد الرحيم سدى.

تحوَّل الأمرُ إلى حربٍ أهليةٍ متكاملة الأركان.. حاول حمزة الغجري شقيق راشد عمل أكثر من جلسة للصلح بين العائلتين.. كان حمزة مستدير الوجه أبيضه.. وكان أقصر وأعرض قليلًا من أخيه راشد.. وقد كان على قدرٍ كبيرٍ من التديُّن والهدوء والتسامح.. كما كان يرفضُ تجارة راشد رفضًا قاطعًا وحاول نصحه أكثر من مرةٍ دون جدوى.

وبعد أن هدأت الحربُ.. استيقظ حمزة يومًا على خبرٍ لم يتوقع سماعه طيلة حياته.. فقد تم قتلُ أخيه بواسطة سلاح رشاش آتية رصاصته من على أحد أسطح السلّافين.. لم يخطر يومًا على بال حمزة أن يموت راشد قبله.. فكل التوقعات كانت تُشير إلى أن أخاه سيكون من المعمِّرين في الأرض.

وكما ورث حمزة عن أخيه ماله النجس ومسئوليته وسلاحه الذي قتل به عبد الرحيم، ورث ثأرًا حاول إطفاءه فيما مضى، وورث زوجة أخيه.. إيناس المحلاوي.

تزوَّج حمزة إيناس بعد انتهاء عِدتها بيومين.. كانت فائقةَ الجمال والخبث، فقد علم فيما بعد أن أخاه راشد كان على وشك التصالح مع الشيخ عبد الرحيم يوم أن قتله.. لولا إيناس التي أشعلت النار في قلبهِ قبل أن يخرجَ من بيته، وجعلته يُسيل المزيدَ من الدماء الغجرية والسلّافية.

بالتدريج وعلى غير درايةٍ تحوَّل حمزة بفضل حزنه على أخيه، ووسوسة إيناس في أذنه إلى شخصٍ آخر.. بل إلى كيانٍ آخر.

كيانٍ لا يعرف الرحمة.. صار أكثر بطشًا بالناس من أخيه.. ضاعف ثروة الغجر من التجارة التي كان يراها فيما مضى ضربًا من ضروب الحرام.. وعلى الرغم من قتله للكثيرين من السلافين ثأرًا لأخيه.. إلا أنه لم ينسَ حلمه القديم في بلدٍ بلا دم ولا نزاع.. فقاد صلحًا مع كبير السلافين آنذاك.. وقد كان عجوزًا كبيرًا في السن لا يهوى الحرب.. فوجد ضالته في عرضِ حمزة واتفقا على إيقاف سلسال الدم.. وعاشت العزبة بفضلهما ثلاث سنوات آمنات.

التزم الغجرُ فيها بالصلح المنعقد وانصاعوا لكبيرهم.. أما عن السلافين فقد التزموا به ظاهريًّا فقط.. حيث إن سالم ابن كبيرهم الهرم قد قاد نشاطًا في الخفاء لتكوينِ جيشٍ سلّافي يكون أداةً ضاغطةً في حالة التفاوضِ مرةً أخرى مع الغجر، وليدافع عنهم في حال نُقض العهد بين العائلتين.. فحمزة ورجاله أقوى وأكثر بطشًا بكثيرٍ من أندادهم.. إذ قتلوا من السلافين أكثر مما قـُتل منهم بكثيرٍ.

وعليه.. فقد جمع سالم شباب السلافين في ساحةِ منزله الواسعة فدرَّبهم على حمل السلاح.. وبعد فترةٍ قصيرةٍ وصل هذا الخبرُ إلى إيناس من جواسيسها السّلافة فنقلته إلى حمزة الذي دافع عن حق

السلافين في أن يشعروا بالأمان.. ولكن على صعيدٍ آخر قد فرض ضريبة كبيرةً على أهل البلد واستمر في بطشه المستمر بكل من يُعارضه أو يعصيه حتى وإن كان غجريًّا..

فوجئ الناس يومًا بحمزة يدعو عزت حنفي خـُط الصعيد بذات نفسه، وأخيه حمدان لزيارةٍ إلى عزبة الخواجة في محاولةٍ منه لاستعراض القوةِ أمام أنداده.. وقد قوبلت دعوته بالإيجاب فلم تنقطع الولائم ولا الاحتفالات الغجريةُ عن القرية طيلة فترة الزيارة..

وبعد الزيارةِ بثلاثة أسابيع لاقى حمزة نفس مصير أخيه.. فقد قُتل أثناء خروجه من المسجدِ بعد صلاة الفجر.. فعلى الرغم من شدة بطشه وظلمه إلا أنه لم يكف عن الصلاة، فرغم أنه قد تيقـَّن من أن قلبه حلت به الظلمة وأن الصلاة لم تعُد تُغير فيه من شيء.. إلا أنه كان يُقيمها على سبيل الاعتياد.. وما لم يُخبر به أحدًا أنه كان متعشمـًا لا متيقنـًا في أن يغفر له ربه وأن يقدّر له ما حل بقلبه من سواد جرَّاء وفاة شقيقه الوحيد..

انقضَّ عليه وعلى رجاله ستة مسلحين يقودون ثلاث دراجات نارية فأمطروهم بوابلٍ من الرصاص ولم يُخلّفوا وراءهم غجريًّا إلا وكان في جسده عشر رصاصات على الأقل.

لم تُضِع إيناس وقتـًا فأعلنت ولدها محمد من زوجها السابق راشد كبيرًا للعزبة حتى لا تخرج الزَّعامة عن الغجر.. وأحضرت شهودًا من أهل العزبةِ والذين أجمعوا بعد ضغطٍ منها على أن سالم السلاف هو قاتل زوجها.. أنكر فعلته ووصفَ اغتيالَ حمزة بالعمل الجبان.. ولكنها حثّت محمد على إصدار الأمر بقتله.

دارت معركةٌ لم تدر من قبل بين العائلتين.. أشعلتها إيناس ومعها رجالُ سالم الذين رفضوا تسليمه للغجر.

اندمجت نيللي في حديثِ أكمل ولم تشعر بالوقت.. ولكن سؤالًا ظل عالقًا في رأسِها ولم يتوقف عن الإلحاح.. فقالت:

- معلش يا باشا هقاطعك.. بس هي الداخلية فين من ده كله؟

ردَّ عليها أكمل متحسرًا:

- الناس دول كانوا عايشين في قلعةٍ متحصنةٍ بستين طريقة.. وأول ما بنقرب منهم بينسوا العداوة اللي بينهم وبيتجمعوا علينا.. وما كانش ينفع نهاجم بقوةٍ كبيرةٍ عشان الإعلام ما يخدش خبر.. ما كانش ينفع الرأي العام يعرف حرفًا واحدًا عن عزبة الخواجة ولحد دلوقتي ما حدش يعرف يوصل لها لوحده أصلًا.

استمرَّ أكمل في حكايته.. فأخبرها أن تلك الحرب – مثل أي حرب – قد خرجت بخاسرين ولم يفز أحد.. ولكن الأعداد القليلة المتبقية من الغجر قد نجحوا في قتل سالم وطرد السلافين من العزبة ولاحقوهم وسط أشجار الموز حتى فرُّوا إلى القرى المجاورة بعد أن صار عددُهم لا يتجاوز الثلاثين فردًا.

ثم بدأ أكمل يوضح الدور الذي قام به في تلك الروايةِ سارحًا بنظره في السقف وتكلم بصيغة الجمع وبمنتهى الفخر كأنه إنجازه الوحيد، كان يتحدث كأنه يقرأ كتابًا بلغةٍ جديدةٍ على مسامع نيللي..

في هذا الوقت داهمنا الجزيرةَ بعد أن صارت خاويةً على عروشها.. لا يوجد فيها إلا بعضُ الأُسر الغجريةِ التي تسكن بيوتـًا تهدَّم معظمها.. اقترحتُ على قادتي أن نقتلع أشجارَ الموز كلها تحسبـًا لعودة الجزيرةِ إلى نشاطها السابق وقد تم لي ما أردت.. لن أنسى السعادةَ التي كانت على وجوه العساكر وهم ينالون مكافأتهم الاستثنائية من الموز الذي كانوا يُعبئون ثمراته في أكياسٍ كبيرةِ الحجم.

عاش السلّافة في هذا الوقتِ على البلطجة واكتساب رزقهم من قطع الطرق.. بدا كأنهم قد نسوا سُلطة الشرطة خارج حدود القلعة فلقَّناهم دروسـًا عدة.. ضاقت عليهم السُّبل فحنُّوا إلى موطنهم الأم في حين لم يغب عن بالهم الثأر، ولا حلمهم الأبدي في حُكم العزبة وإهانة ما تبقى من نسل الغجر..

حاولت إيناس في تلك الفترة توطيدَ حُكم ولدها.. فقدموا إلينا وعدًا ببدايةٍ لعهدٍ جديدٍ تُصبح فيه العزبةُ مجرد قريةٍ صغيرةٍ هادئةٍ.

قبلت الداخلية الوعد مضطرةً لأن الغجر قد تخلّصوا من السلاح وأحرقوا المخدرات.. حتى المذابح التي دارت بين الغجرِ والسلافة اعترف بفعلها رجلٌ واحدٌ من الغجر.. فضحَّى بحريته من أجل أمان عائلته.

لم تنخدع إيناس بهدوءِ العزبة المؤقت.. فقد تعلمت من التاريخ أن السلافة سيعودون أقوى من ذي قبل.. خاصة حين انتشرت الأخبار عن نشاطهم في قطع الطرق وتفوقهم على الشرطة في معركةٍ أخيرةٍ أعادت إليهم الحماسَ والأمل في العودة..

وعلى الفور قامت أرملةُ الزعيمَين السابقين، وأم الزعيم الحالي بإرسال رجالها في عملياتٍ فرديةٍ لقتل كبار السلافة المتبقين على قيد الحياة.. الأمر الذي حقق شعور الأمان بشكلٍ كبيرٍ لأهل القرية.. فخرج محمد الغجري عليهم يدعوهم إلى الإنجاب وزيادة نسل الغجر.

واستمر الحالُ على ما هو عليه حتى مرَّت عدة أعوام من الألفية الجديدة..

فقد هجم على الجزيرة غنيم ابن الشيخ عبد الرحيم السلّاف وحيدًا منفردًا.. وقد كان عكس أبيه تمامـًا.. فقد كان ضخمَ الجثة عريض الكتفين، وكان مهيب الخلقة ذا شاربٍ عريضٍ، كما كان دميمًا أجش الصوت شديد العصبية.

لم تستهزئ إيناس بقوةِ غنيم ولا بوحدانيته.. وكأنها تُبصر المستقبل ففرَّت إلى بيتِ عائلتها الأصلية في المحلة الكبرى تاركةً فلذة كبدها وحيدًا في مواجهة هذا الوحش العتيِّ لا يحميه سوى مجموعةٍ قليلةٍ من الخفر.

دخل غُنيم القرية في مشهدٍ لا يقل هيبة عن المشهد يوم قَتل أبيه ففزع جميع الغجر.. كان المشهد مَهيبًا ولكن على الرغم ذلك فإنه لو عـُرض في الأفلام لمات المشاهدون ضحكًا.. فقد حمل غنيم في يده اليمنى سلاحًا رشاشًا يحتاج إلى شخصين لحمله.. وفي يسراه قائمة ورقية تحتوي أسماء جميع أعدائه الأحياء من الغجر..

مرَّ عليهم في بيوتهم وأراضيهم واحدًا تلو الآخر.. وكلما قتل غجريًّا شطب اسمه من القائمة.. مات الكثيرُ من الأطفال والنساء وسط هذه المعمعة دون قصدٍ من غنيم الذي – بمعجزةٍ ما - لم تنفد طلقاتُ سلاحه، وأحيانـًا برصاص الغجر الخائف المشوَّش.. كان يتمنى أن يقتل إيناس ولكن هروبها منعه، كما أن رجولته حتَّمت عليه ألا يمسَّـها أو يفكر في ملاحقتها دون ولدها.. في حقيقة الأمر فقد ارتاح حين سمع صدفة عن خبر هروبها.. ولكنه حين وصل إلى آخر اسم في قائمته المشئومة أدرك أنه سيقتلها في قلبها بشكلٍ غير مباشرٍ.. فقد كـُتب في آخر سطر: محمد راشد الغجري.

أخذ محمد حذره وأعد الخفر لحمايته.. ولكن أحدًا منهم لم يصمد أمام سلاح غنيم الفتّاك.. لجأ محمد إلى الحيلة فألبس خادمه الشخصي نفس لبسه ليخدع غنيم وقد وُفق في خطته.. فعندما صعد غنيم إلى غرفة نوم محمد وسط صراخ الخادمات ودماء الخدم والخفر المسفوك دمهم.. وجد الخادم يلبس جلبابًا حريريًّا فخمـًا.. فخمَّن أنه قد وجد محمد الذي لم يعرف شكله قط.. فقتله.

ولم يلحظ اختباء محمد أسفل فراشه مرتديًا جلباب خادمه.. وعندما همَّ بالخروج معتقدًا في انتصاره باغته كبيرُ القرية حفيد الغجر.. وقد استطاع قتل غنيم بنفس السلاح الذي قُتل به والده الشيخ عبد الرحيم.. سلاح راشد الغجري.

قالت نيللي متنهدة:

- كمِّل يا باشا.

- ما فيش تكملة.. استنينا لحد ماخلصوا على بعض وخدت قوة ورحت قبضت على محمد الغجري بتهمةِ قتل غُنيم السلاف.

قالت نيللي بلهجةٍ متحديةٍ:

- أنا موميس آه بس مش غبية.. أنت قولتلي في الأول إنها كانت أكبر عملية في تاريخك وخدت بسببها ترقية كبيرة.. إزاي بقى خدت الترقية دي لمجرد إنك قبضت على محمد في قضيةٍ تافهةٍ.. أقل محامي هايطلّعه منها دفاع عن النفس؟

- بصي أنا هاكمّل مش عشان واثق فيكي.. بس عشان حتى لو اتكلمتي ما حدش هايصدقك..

أنا روحت لقيت الجثث أكتر من الزرع اللي في البلد.. دخلت عالواد محمد لقيته منهار وبيهذي وعمال يشتم في أمه اللي سابته وطفشت ويندب حاله زي الولايا ويكلم ناس مش موجودين.. هديته وجبتله لمون.. وفكرت نفس تفكيرك دلوقتي: هاستفيد إيه يعني لما أقبض عالواد ده؟.. كده كده اللي

حصل حصل واللي مات ده كان ابن كلب سفّاح موَّت فوق العشرين بني آدم في ساعتين بدم تعابين بارد..

وبصيت لأول مرة في حياتي لمصلحتي وللمصلحة العامة، قولت لنفسي طب هاخسر إيه لو طبقت روح القانون وطلعته من القضية، وفي نفس الوقت أستفيد أنا كمان؟

ثم أشعل سيجارةً أخرى وأردف قائلًا:

- أمرت العساكر يجيبوه في الأوضة اللي اتقتل فيها غنيم والخدام بتاع محمد.. وقفلت الباب بالمفتاح والواد كان بيفرفر من الرعب وكان خايف من جثة غنيم أكتر ما كان خايف منه وهو حيّ.. روحت مطلع سلاحي الميري وضربت نار على غنيم لحد ما فرَّغت الخزنة في جثته..

العساكر سمعوا صوت الرصاص دخلوا علينا جري، وكسروا الباب زي ما اتوقعت.. قولتلهم غنيم كان لسه فيه الروح وكان هيقتلنا أنا ومحمد.. بس أنا كمّلت عليه.. بعد كده قعدت مع محمد في مكتبي..

عرفت منه إن أمه قبل ما تطفش اعترفت له إن هي اللي أجَّرت واحد من الغفر يقتل أبوه لما لقت الحرب هديت عشان تشعللها.. وإنها أجَّرت نفس الشخص عشان يقتل عمه حمزة لما اتصالح مع أبو سالم.. منها لله كانت بتكره السلّافين كُره العمى.. عمى خلاها تقتل من الغجر قبل السلّافة.

قالت نيللي:

- وطبعًا ساعدت الواد ده يا باشا؟

غيَّر أكمل من موضع نومه وتنهد قائلًا:

- وعدته أطلعه منها زي الشعرة من العجينة بشرط يقول في التحقيق إن النقيب أكمل العطار هو اللي قتل غنيم.. وبشرط كمان يعرَّفني أمه عايشة فين بالظبط في المحلة..

وخدت الترقية عشان قتلت غنيم، وكمان عشان عرفت أضغط على إيناس وأخليها تعترف بالبلاوي اللي عملتها بعد ما هددتها أجيب لابنها إعدام.. وهي كانت حاسة بالذنب بعد ما هربت وسابته فمرضيتش تبيعه تاني.

قالت نيللي بخبثٍ:

- نسيت الشرط التالت يا باشا.

- شرط إيه يا بت؟

- سلاح راشد الغجري اللي ورثه حمزة.. واللي محمد قتل بيه غنيم.. السلاح اللي مش بيفارقك، وبتحطه مع سلاح الداخلية زي ما يكونوا زمايل زنزانة واحدة.

ضحك أكمل، وقال:

- كنت سايبك تخمنيها لوحدك.. شاطرة يا بت.

- كان سهل أخمنها على فكرة.. أنت كنت مكشوف أوي يا باشا.

قال أكمل وقد عاودته حالةُ التجلي التي أتته حين تحدث عن دوره في فض معمعة عزبة الخواجة:

- بس تعرفي يا نيللي من ساعة ما السلاح ده لمس إيدي ده وأنا حالف ما هو مفارقني لدرجة إني خبيته عن زمايلي وقتها عشان ما يتحرزش.. ماظنش من غيره كان ممكن عيل زي محمد يقتل وحش زي غنيم.. حسيت إنه له طاقة مش ملموسة.

- مش فاهمة يا باشا.

- هي بصراحة حاجة ما تتفهمش بس بتتحس لأي واحد متعود يضرب نار.. حاجة بتخليني شجاع أكتر وواثق في نفسي أكتر عارفة بأحس إنــ...

قطع جملته صوتُ هاتفه الذي كان مضبوطـًا على الوضع الصامت لكثرة المكالمات التي يتلقاها.. ولكنه لاحظ أن المتصل وقتئذ كان مدير أمن القاهرة شخصيـًّا.. فردَّ سريعـًا متوقعـًا كارثة:

- أيوه يا أفندم.. مقدم أكمل العطار مع سيادتك.

على الناحية الأخرى جاء صوتُ مدير الأمن متوترًا محاطًا بالكثير من الضوضاء قائلًا:

- عايزك تروح أرض المعارض حالًا يا أكمل.. جالنا بلاغ عن محاولة اغتيال فؤاد الغرباوي في حفلة توقيع روايته الجديدة!

5 - مَعْرِضُ الكِتَابِ

لم يتمكن آدم من النوم مرةً أخرى بعد المكالمةِ التي تلقاها.. قام من فراشه وجلس أمام حاسبهِ الشخصي وحاول كتابة أيِّ شيءٍ ولكن بلا فائدة.. .. فأغلقه وسرح في أفكارهِ وماضيه القريب.. فكَّر في أن يقرأ قليلًا علّه يجد إلهامًا منسيًّا هنا أو هناك ولكنه عدل عن هذه الفكرة.. تعجَّب من مخاصمةِ الإلهام له في الفترة الأخيرة، كما لعن كُره الأضواء له.. فكيف لشخصٍ– في رأيه - لا

يمتلك إلا حضورًا جيدًا وظلّا خفيفًا، وموهبة ضحلة مثل مالك سعد الدين أن يكون معروفًا عنه.. هو لا يريد سوى أن يقرأ الناسُ أعماله ثم يُقررون مصيره.. لا يُريد سوى فرصةٍ.

قام ليرتدي ملابسه واستعار كِريم بشرة من والدته ليضعه أسفل عينيْه بهدف إخفاء آثار الليلة المنصرمة وهالات الإرهاق تحت عينيه، بعدها بقليلٍ غسل وجهه وارتدى ملابسه التي حضَّرتها له أمه منذ أمس كما اعتادت أن تفعل.. همَّ بالنزول للحاق بموعده الذي ظهر فجأة وكان قد اتفق مع محدثه على الهاتف على لقائه في تمام الواحدة ظهرًا رغم محاولاته المستميتة للتنصل من هذا اللقاء.

وقف في المكان المُتفق عليه منتظرًا والقلق يعتصره.. سأل نفسه ماذا يريد محمود؟.. هل سيقبض عليه بسبب ما حدث الليلة الماضية أم أنه سيعرض عليه صفقةً ما.. كان قد اعتزم الاعتراف على مالك وليحدث ما يحدث.. لقد سانده بما فيه الكفاية ولن يقبل بحبس يومٍ واحدٍ من أجله.

وصل محمود إلى مكان اللقاء ونزل من سيارته متوجهًا نحو آدم وعلى وجهه ابتسامةٌ ساخرةٌ.. عندما رأى آدم السيارة تأكد أن محمود كان هو مطاردَه العنيدَ ليلة أمس، وأنه هو من أصاب مالك برصاصةٍ.. فارتعشت قدماه وازداد نبضُ قلبه وقد كسا العرقُ جسده.. وصل محمود إليه وقال له:

- إيه الشياكة دي يا عم آدم.. أول مرة أعرف إن معرض الكتاب بيتلبس له بدل نضيفة كده!

ضحك آدم، وقال بخجلٍ:

- حاجة من نفسي كده يا باشا.. واحد صاحبي مصوِّر قالي هاخدك صورتين وأنت بتمضي على الرواية لزوم الدعايا وكده، فلبست الحتة النضيفة.

- بس أنت تخنت جامد عن السنة اللي فاتت؟

ضحك آدم ضحكةً مصطنعةً، وقال له وهو يُعانقه:

- هنعمل إيه بقى.. مش بانزل الكلية وقاعد في البيت.

- لعلّه جه بفايدة.. قول لي بقى نازل ليك إيه في المعرض السنادي؟

قال آدم بحسرةٍ:

- ولا أي حاجة.. حلفت مش هاشتغل تاني مع دار "الناشر" دي تاني.

رفع محمود حاجبيْه، وقال بدهشةٍ:

- ليه كده؟

- عارف لو شغَّال مع ناس مبتدئين بس معاملتهم ليك كويسة هاتستحمل.. ولو شغال مع ناس عمليين ومعلمين في شغلهم هتستحملهم بغض النظر عن المعاملة.. بس الناس بتاعت دار "الناشر"

دول لا شغلهم كويس ولا معاملتهم حلوة.. فارضين عليا شروط تعجيزية ونسبة ربح معدومة ويقولوا لي إحنا بنصنعك.. شايفين نفسهم أهم دار في مصر وهي أصلًا أوضة ومكنة طباعة.

ضحك محمود، وقال له:

- ما تقلقش الرزق ده بتاع ربنا.

- أنا مش قلقان الحمد لله الواحد واثق في نفسه وعارف إنه مش عويل وهايقدر يشتغل تاني بس الظروف والضغط هما اللي أخروني المعرض ده.. المهم قول لي: كنت عايزني في إيه يا محمود باشا؟

- أنت شوفتني بقولك يا بشمهندس آدم عشان تقولي يا باشا؟.. عامة أنا كنت عايز أستغلك.

عاود القلقُ يُساور آدم مرةً أخرى وشعر أن محمود عرف كل شيء وقال له في لهجةٍ متوجسةٍ:

- تستغلني إزاي يعني؟

- بسمة خطيبتي شافت الروايتين بتوعك عندي بالصدفة وما صدقتش إننا أصحاب من المعرض اللي فات.. فقولت آجي أشتري ليها نسختين جُداد وتوقعهم ليها.. أظن ما فيش هدية خطوبة أحسن من كده.

فرح آدم لتقدير محمود لموهبته ولكن فرحته العظمى كانت لأن محمود لم يُميزه من الليلة الماضية، فطار سرورًا لفراره من براثنه، وعدم معرفته بما حدث.. وافق على الفور وسط اندهاش محمود بسعادته المبالغ فيه.

منذ صغره آدم يعشق الذهاب إلى المعرض.. طالما اعتبره أصدقاؤه دليلهم هناك فهو يحفظ المكان عن ظهر قلب.. لا يراه كبيرًا كما يراه معظم زوَّارِه حديثي العهد..

كان يدخله دائمًا من خلال البوابة المطلة على طريق "صلاح سالم" لقربها من مكان سكنه.. طيلة حياته لم يقترب من الخيم التي تحتوي على دور ووكالات النشر الحكومية فلم يشعر بالألفة تجاهها ولا تجاه زوَّارها، ولا حتى تجاه الكتب المعروضة والتي تُباع بأسعارٍ أقل من سعر الورق الذي طبعت به..

لديه نصيحتان ذهبيتان يُعطيهما لأي زائرٍ مستجدٍّ: الأولى هي ألا تأكل في المعرض سوى الكُشري، بسبب رداءة الأطعمة الأخرى وغلو ثمنها.

والثانية هي عدم ارتداء ملابس سوداء لسهولة تلوثها بالأتربة المنتشرة في جميع أنحاء المعرض.. سواء كانت على الأرضيات أو– في بعض الأحيان - على الكتب نفسها.

أما عن النصيحة الثالثة فقد استخسرها في المستجدين واحتفظ بها لنفسه.. وهي الذهابُ إلى أجنحة الدول العربية في المعرضِ كالسعودية والإمارات للحصولِ على الراحة، واستنشاق الهواء

النظيف.. حيث القاعات المكيفة والكتب التي يتعدى ثمنها أحيانًا مئات الجنيهات والتي لم يبتعها قط.

كان يعشقُ القسم الخاص بسور الأزبكية ويفضله على أي قاعةٍ أخرى مهما بلغت فخامتها.. حيث المائة جنيه تكفل لك خروجـًا آمنًا تحمل فيه طنًا من الكتب عظيمة القيمة والمحتوى.

كان ينفر أشد النفور من الندوات الثقافية حيث (شباب الكُتّاب) الذين قد تخطوا الستين سنة.. كما كان ينفر من معظم الحفلات الشعرية وكان في فن الشعر يتحمس لكبار السن عكس طبعه المتعصب لجيل الشباب.. كان يرى معظمَ شباب الشعراء مُدَّعين يعتمدون على أدائهم المسرحي، وعلى إعجاب الفتيات بهم.

كما كان يجد راحةً نفسيةً غير مبررةٍ في جناح دور النشر المسيحية.. فهناك كان يتبع المقولة الشهيرة "دعني أخدعك.. دعني أنخدع".. فالعاملون في هذا الجناح يعلمون أنه نادرًا ما يبتاع أحدٌ من غير المسيحيين كتبهم.. وآدم كان يعلم أنهم يعلمون هذا فكان يـُمثل البحثَ عن كتبٍ ليست موجودةً وعن كتّاب وقساوسة لم يسمع بهم أحدٌ سواه.. كانوا كل مرة يُقابلونه بابتسامةٍ صادقةٍ ويُعطونه أشياء بالمجان قائلين بصوتٍ خفيضٍ: "الرب بيحبك".

أما عن زوَّار المعرض فقد يحتاج كتابـًا كاملًا لوصفهم.. يتنوعون بين كبار السن والشباب، وبين المثقفين والمصطنعين والمـُحدثين، وبين المنظمين المتحضرين القادمين لشراء الكتب والتزوُّد من نهر الثقافة المتاح في المعرض بأثمانٍ معقولةٍ، وآخرين يرون المعرض مكانـًا واسعـًا مزينًا بجنائن تصلح لافتراشها والتمتع بمنظر حسن.. وهذا النوعُ الأخيرُ يُعتبر المسئول عن الكثير من مخلفات الطعام الملقاة على أرضية المعرض.. وهو نفس النوع الذي يتزاحم إذا رأى كاميرا تصوير لإحدى القنوات الفضائية التي تُغطي هذا الحدث السنوي.

مؤخرًا أصبح نصف المعرض قرّاء والنصف الآخر مؤلفين.. وقد ألّف آدم مقولةً ساخرةً عن الزيادة الكبيرة التي حدثت في عدد الكتّاب المصريين مؤخرًا تقول: "إذا مررت بخمسة أجنحة ولم تجد حفل توقيع.. فاعلم أنك انتقلت آنيـًا خارج معرض الكتاب!".. ولكنه يعتبر هذا الشيء مفيدًا وصحيًّا للحركة الثقافية في مصر.. فهناك بلدانٌ كاملةٌ لا يوجد فيها إلا أديبٌ أو اثنان على الأكثر.

ومن بين كل هؤلاء يحتار آدم في نفسه.. هل سيكون مشهورًا يومـًا ما؟.. هل سيعرفه الناس ويصرخون باسمه كما يفعلون مع فؤاد الغرباوي وخالد العبد وغيرهما.. هل ستركض نحوه البناتُ ممن لا يحببن القراءة كما يحدث مع جلال عبد الراضي، الذي كوَّن جمهورًا من الفتيات الآتيات إلى المعرض لالتقاط الصور مع مشاهير الكتّاب ولا مانع من الحصول على عريس؟.. هل سيلتقط معه الشباب صورًا كما يفعلون مع مالك؟

ولكن لم يشعر بالحيرة في أمره بالقدر الذي شعر به تجاه زوَّار المعرض.. فثمة رابطٌ خفي غير مفهومٍ يجمع بينهم جميعًا.. هناك خصلةٌ مشتركةٌ يراها في عيونهم ولا يستطيع وصفها!

دخل آدم لأول مرة في حياته من البوابة الأخرى.. وعلى غير العادة فلم يتعرض للتفتيش لوجود محمود معه.. سار متوجهـًا نحو الخيمة الرابعة حيث تقبع الروايتان الحاملتان اسمه دون أن

يمسسهما أحدٌ.. توجه نحو جناح دار "الناشر" التي كان يعمل معها.. وخلفه محمود وبسمة التي كانت منبهرةً بأجواء المعرض، وكان خطيبُها سعيدًا في قرارة نفسه لنجاحه في تعويضها عما حدث لها بالأمس..

دخل آدم الجناح تاركـًا وراءه الخطيبيْن.. فصافح موظف الدار وصافح رئيس الدار الذي قال له دون أن ينظر إليه:

- سمعت إنك نويت تشتغل مع لطفي أبو الخير.

- لسه ما فيش حاجة رسمي.. بس ما تحسسنيش إنك زعلان.

- هازعل ليه أنا بتمنالك الخير يا آدم.. دار بصيص دار كبيرة.. ده فؤاد الغرباوي بنفسه منزِّل معاهم روايته الجديدة.. بس تفتكر دار كبيرة زي دي هاتوافق تشتغل مع واحد صغير زيك من غير شروط في العقد تتعبك؟

- لما أنت شايفني صغير أوي كده دفعت فيا فلوس ونشرت لي روايتين ليه؟.. ما تتكرش إن ما حدش بيشكر في شغل من عندك زي ما بيشكر في شغلي.

قال مدير الدار متهكمًا:

- بس مبيعاتك في المركز الأخير تقريبًا.. ده أنت بتخلص الطبعة في سنتين.. ده لو خلصت أصلًا.

- بس معظم اللي بيقرا بيدوَّر عليا.. عندك الاتنين اللي معايا دول نازلين المعرض مخصوص علشاني.. يمكن جمهوري قليل جدًّا بس عالأقل مؤمن بيا.. حد من عندك وصل للمرحلة دي عند الناس؟.. ولا كل همه التسويق حتى لو بيسوق لحاجة مش قد كده وما تتقريش إلا مرة واحدة بالعافية؟

استدار معطيًا آدم ظهره، وقال له:

- أنت مصدق نفسك أوي.

رد آدم متحديًا:

- أنت اللي مكدبني.

كان موظف الدار قد جهَّز النسختين فأخذهما آدم ودفع ثمنهما ورحل دون وداع، ودون أدنى اعتراض من صاحب الدار.

اقترحت بسمة الخروج من الخيمة لالتقاط الصور التذكارية مع خطيبها.. وقَّـع آدم لها الروايتين والتقط لهما محمود صورة معـًا.. سألته بسمة بدافع الفضول عن سبب رحيله عن دار "الناشر"، فقال لها:

- جت لي فرصة محترمة مع دار كبيرة زي دار بصيص.. ادعي لي بس تتم على خير.

قال له محمود:

- بس هي مش دار النجاح دي أكبر دار نشر في مصر؟

- لأ طبعًا كل أسامي الدور اللي سمعتها دي جديدة جدًّا على المجال.. دار النجاح بالنسبة للباقين قديمة عشان بقالها كام سنة.. بس من ساعة يعقوب حنّا ما مسكها وهي مبيعاتها بتزيد، بس بتقع فنيًّا.. واللي زاد وغطى الخلاف اللي حصل بين يعقوب وبين الكاتب فؤاد الغرباوي.

- وحصل ليه الخلاف ده؟

- عشان يعقوب ممكن يبوظ الشغل كله عشان عشقه للستات.. وكمان راح مضى مع خالد العبد.

قالت بسمة:

- آه.. خالد أسلوبه سهل وبيوصل بسهولة.. قريت مرة للغرباوي ده ما فهمتش حاجة حسيته مكلكع بس عنده مضمون كويس.

رد عليها آدم قائلًا:

- وده كان دايمًا سبب الخلاف بين الغرباوي وبين العبد.. الغرباوي عمل مقالات كاملة يهاجم فيها أسلوب العبد وعاميته الفجَّة.. والعبد هاجم تعقيد الأسلوب بتاع فؤاد الغرباوي وإن أسلوبه بيبوظ متعة الحدوتة.

قال له محمود:

- ما تخدش كلامي نفاق أو مبالغة.. بس أنت أسلوبك يا آدم واخد خليط بين الاتنين.. صحيح أنت أقرب للغرباوي بس أسلوبك أسهل بكتير، وكمان المحتوى بتاعك مُسلي.

- ربنا يخليك ده من ذوقك.

استمروا في السير وطلبت بسمة من محمود أن يبتاع لهم ما يأكلونه فنصحهم آدم ألا يأكلوا من المعرض وأحضر لهم بعد المقرمشات.. عاودت بسمة طرح أسئلتها على آدم بفم مليء بالمقرمشات:

- طب دار بصيص دي في نفس عمر دار النجاح؟

- بالعكس.. دار بصيص بقالها أربع سنين بس تقريبًا في المجال.. بس معظم اللي شغالين هناك شباب نشيط جدًّا وأستاذ لطفي أبو الخير عملي جدًّا.. مش فاضي حتى يتجوز مع إنه داخل على الخمسين.

- بس فؤاد الغرباوي مش بيقل من نفسه لما يمضي مع بصيص؟

- الغرباوي مش محتاج دار تعلّي اسمه، وأصلا هو عمره الأدبي نفس عمر دار النجاح تقريبًا هو اللي شالها على كتافه وعمل لها اسم من قبل يعقوب ما يمسكها أصلًا.. الغرباوي بعيد عن الكتابة مليونير لو عايز يفتح دار لنفسه هايعمل كده من الصبح.. بس هو مركز في الكتابة وكان له تصريح بيقول إن الإبداع محتاج تفرغ تام.

- طب أنت في رأيك: الغرباوي أحسن ولا العبد؟

رد عليها آدم بدبلوماسية:

- ما فيش وجه مقارنة أصلًا.. بس أنا رأيي إن العبد واصل حلو للشباب وهو من ضمن ناس كتير جت رجَّعت الناس تمسك روايات، واحد من وسط جيل الشباب اللي صحّى سوق الكتاب بعد نومة ولا نومة أهل الكهف بكتابة جديدة ولون ما اتعودناش عليه.. بس فؤاد الغرباوي عالمي بكل المقاييس.. شغله بيتّرجم وفيه دور نشر برة عارضة عليه تحاسبة بعدد الكلمات!..

الريّس بيكتب خمس مقالات أسبوعية لخمس مجلات مختلفة في مصر وبرة مصر.. عن نفسي شايف الغرباوي في مكان لوحده وباقي كتّاب مصر في مكان تاني تحته بكتير.

- مش مقتنعة برأيك يا آدم بصراحة.

فكر آدم قليلًا، ثم قال لها:

- ده رأيي الشخصي.. فيه ناس كتير بتشوف فؤاد مجرد واحد بيعرف يسوَّق شغله كويس..

ثم نظر حوله، وأردف قائلًا:

- بس مش ملاحظة إن المعرض النهاردة زحمة، صح؟

- آه.. بس كنت فاكرة ده العادي.

قال له محمود وقد ملّ متابعة الحديث صامتًا:

- أنا سمعت إن النهاردة آخر يوم في المعرض.

رد عليه آدم قائلًا:

- ضيف على كده إن فؤاد الغرباوي النهاردة حفلة توقيعه.. دار بصيص حجزت له خيمة كاملة عشان تستوعب الحضور وتشرَّفنا قدام الصحفيين الأجانب اللي هايغطوا الحدث.

- هي روايته الجديدة اسمها إيه؟

ردَّ آدم على الفور:

- اسمها "المملكة الظافرية".. مصوَّرها في عهد قديم من خياله، ملخصها عبارة عن حاكم إسلامي شاب اسمه "ناصر الدين الظافري" بيواجه مشاكل في بداية حكمه.. وصراع على السلطة مع عمّه ونوابه.. كل ده والمملكة في حالة حرب من ممالك حواليها.. وبيقول النهاية مش متوقعة، واحتمال يكون لها أجزاء جديدة.. ده غير إن الأسلوب بتاعها جديد عن اللي منتظر منه.

- واضح إنك متابعه أوي.

قالت بسمة مقاطعة حديثهما:

- بس يا آدم أنا سمعت إن النهاردة برضه حفلة توقيع خالد العبد.

- دي حقيقة.. بس واضح أوي إنه بيستغل الهوجة اللي معمولة عشان فؤاد.. الحركة دي أكيد بتدبير من يعقوب حتّا.. العبد في حاله ومركّز في شغله.

قال له محمود:

- في حاله إزاي بس ده أكيد مش طايق فؤاد الغرباوي.. ده فؤاد كان عامل سلسلة مقالات بيهاجم فيها روايات العبد.. مع إن معظم الشباب بيكتبوا زي العبد ومنهم اللي فؤاد بيشجعه!

- ده عبد الرحمن شكري والمازني اتخانقوا، مش عايز الغرباوي والعبد يهاجموا بعض ولو حتى على الورق؟!.. مع العلم إنهم برغم مبيعاتهم مش هما أكبر كاتبين في مصر وفيه الأحسن منهم!

أنا شخصيًّا ما أعرفش يا محمود إيه طبيعة العلاقة بينهم بالظبط.. بس الغرباوي أكبر من إنه يبقى له عداوة شخصية مع حد.

- نفسك تبقى زيه؟

- وليه مش أحسن منه كمان.. بس مؤقتـًا أعتبر إن نفسي أبقى زيه.

قالت بسمة وقد أمسكت رأسها وأغمضت عينيْها:

- أنا مصدَّعة أوي يا محمود من اللي حصل إمبارح ممكن تروحني.

قال آدم بسرعة بديهة وذكاء حسد نفسه عليه فيما بعد:

- خير؟.. إيه حصل إمبارح؟

رد عليها محمود متعمدًا تجاهل الإجابة عن سؤال آدم:

- مش عايزة تاخدي توقيع خالد العبد واللا إيه؟

قالت بسمة بدلال اعتادت تمثيله حين تريد من محمود طلبًا ما:

- ممكن توصلني وترجع أنت وتجيبهولي؟

- ممكن طبعـًا.. بس أنا عايز توقيع الغرباوي.. والاتنين حفلتهم في نفس الوقت.

تدخل آدم في الحديث قائلًا:

- ما تقلقش هاجيبلك أنا توقيع الغرباوي منه.. روّح خطيبتك وتعالى بسرعة عشان تلحق مكان في حفلة العبد.. صحيح هي أصغر من حفلة الغرباوي وفي جناح مكتبة "النجاح".. يعني مش محجوز لها خيمة مخصوص.. بس جمهور العبد كتير برضه.. بعد إذنكم هارد على التليفون ده رقم غريب وشكله حد عايز توقيعي.. هاشوفه وبعد كده أحضر حفلة فؤاد.. سلام!.

***

ظلّت يارا تميم تحاول إيجاد طريقة لمصالحة جلال.. فقد كانت خدعتها قاسية عليه جعلته لم ينطق بحرفٍ منذ ليلة أمس.. أقلّها بسيارته ولم يبتسم حتى على محاولاتها المستميتة لإضحاكه.. أجبرته على أن يأكل معها الكشري ولكنه ظل يقلب محتويات الطبق دون أن يمس الطعام شفتيه، ولم ينظر لها سوى نظراتٍ خاويةٍ..

كانت تتوقع منه الغضب أو الحزن.. توقعت ثورته هو الرجل الشرقي المتعصب الذي يُعدِّل على ملابسها وتصرفاتها طيلة الوقت.. والذي لا يكف عن مراقبتها والحكم عليها.. ملّت صمته فأمسكت يده وقالت:

- ما هو أنت لو ما كلمتنيش أنا هاصالحك في وسط حفلة توقيع الغرباوي اللي هتبدأ كمان شوية دي، وفي المايك كمان!

تكلَّم معها جلال لأول مرةٍ من الأمس معاتبًا:

- بتسميني يا يارا؟! مفكراني روميو وهاموت عشان أمك؟

- ما أنا كنت هاموت معاك أنا كمان.. بعدين سم إزاي وأنت عايش أهه؟

- أنا حسيت إني كنت هموت وحتى بعد ما سيبتك معرفتش أنام.. جسمي كان غرقان عرق وقعدت أحلم بكوابيس .

- ده طبيعي.. أنت خدت مادة اسمها *Furosemide* بتعالج الضغط.. مدرة للبول وللعرق ومالهاش أعراض جانبية تانية.. حبيت أهزر معاك بس.

حاولت يارا تغيير الموضوع فقالت:

- مش ملاحظ إن المعرض زحمة النهاردة؟

- نادر لما أكبر اتنين كتّاب في مصر يعملوا حفلتهم في نفس اليوم.. ربنا يوعدنا.

- بس برضه الأعداد كبيرة.. بعدين فيه ناس لا تعرف العبد ولا الغرباوي.. مش شايف اللي فارشين ملايات في الجناين وقاعدين ياكلوا؟

- أنا سمعت إن كريم الريان هو كمان جاي النهاردة.

قالت يارا وهي تضع اللماسات الأخيرة على طبقها:

- آه.. كريم هو كمان منزّل كتاب.. ومتسألنيش عن علاقته بمجال الكتابة لأني ما أعرفش.. شكله شايف الكتابة سبوبة وهيسوّق ألبوم العزف بتاعه لو عمل كتاب بيحكي فيه ذكريات طفولته.

- بس عمل رواج حلو والله.. خصوصًا مع البنات.. الواد شكله حلو وبيعزف كمان وبيظهر مع شعراء رومانسيين يعزف وراهم ساعات.

- أنت بتغير علشان سحب منك جمهورك الحريمي.. ماتقلقش يا جلجل .

أدرك محاولتها لإعادة ثقته بنفسه إليه، وحاول كتمان ضحكته وأردف في لهجةٍ خبيثةٍ:

- أو أي واحدة قالت على نفسها بتدافع عن حقوق المرأة وكتبت كام بيت تقول على نفسها شاعرة عامية .

نظرت إليه نظرةً غاضبةً وقد أدركت أن مضايقته لها أول بوادر الصلح.. ولكن كرامتها لم تسمح لها بالسكوت، فقالت بعِند:

- أو أي واحد شم بُخار المجاذيب واتدروش معاهم يروح يقعد في مقام الشيخ الفلاني يكتب كلمتين حب.. مفكر نفسك يوسف السباعي.

- وليه ما أبقاش زيه؟

- بذمتك فيه كاتب محترم ما بينزلش عليه الوحي إلا في المقام؟!

- خيري شلبي بذات نفسه كان بيكتب في التُّرب اللي هي مليانة ميتين بجد.

قالت يارا:

- وهو المقام ده مش ميت بجد؟

- شوفتي آخرة الجهل؟.. المقام مش شرط يكون مكان دفن الوَلي.. ممكن مكان عاش فيه أو درس فيه.

- يعني الحسين مش مدفون في مصر؟!

- لأ طبعًا.. جسم الحسين مدفون في كربلاء في العراق في حتة اسمها الروضة الحسينية.. بس مكان دفن الراس اختلفوا عليه.. أيًّا كان يعني بس الحقيقة الأكيدة إن المقام في مصر شرفي مش حقيقي.

- مش هاتفرق معايا كتير..

طرأ على عقلها موضوع مفاجئ من المواضيع التي تستفزها للنقاش مع جلال لتتأكد من التباين بينهما، هذا التباين الذي تعشقه.. فقالت:

- بس قول لي يا جلال: إيه رأيك في القانون اللي صدر في أمريكا اللي بيسمح بجواز المثليين؟

ضحك جلال حين أدرك ما تفعل، وقال:

- يعني هي أمريكا كانت مستنية قانون للموضوع ده؟

- طب إيه رأيك في الموضوع بشكل عام يعني؟

أدرك أنه لا مفر من النقاش معها فقال:

- بصي يا ستي.. أدام كل واحد في حاله وما حدش طلب مني أعمل معاه حاجة.. يبقى هما أحرار بس في مجتمعهم.

- طب لو الموضوع زاد في مصر؟

- ما تضحكيش على نفسك يا يارا.. أنتي آهه عمالة تنادي بالحرية في كل حاجة.. بس لو قدام بقيتي أم ودخلتي على ابنك أوضته لقيتيه نايم مع صاحبه.. هاتكوني مبسوطة؟!

حركت يارا كتفيها إلى أعلى كعلامة على عدم المعرفة، ثم قالت:

- ما أعرفش ساعتها هاكون بفكر إزاي.. بس أنت يعني لو معاك مسدس فيه رصاصة واحدة، وقدامك واحد شيعي وواحد ملحد وواحد مسيحي وواحد يهودي وواحد مسلم سُني بس شاذ.. هاتقتل مين فيهم؟

- أنا لو مؤمن بديني وعندي عقيدة قوية مش هاقتل حد فيهم.. أقتل ليه أصلًا؟

- طب ما الجماعات إياها بتقتل بحجة خدمة الدين.

- طب أنا لو مسلم.. هابقى متأكد إن أي حد هايموت فيهم هايخش النار؟

- تقريبًا آه.

- طب وفي عقيدتي المسلمة.. الشيطان عايزهم يخشوا النار برضه.. كده أنا شغال معاه!

- بس الكل مش بيفكر زيك يا جلال.

- مش شرط أكون أنا الصح.. كل واحد بيفكر بفطرته.

- عارفة هاتقول إيه.. ما تلوميش الدين لومي اللي بيفسروه.. أنا كده كده مش مقتنعة بالفكرة من أساسها عشان أقتنع بتفسيرها.. ياللا نروح حفلة الغرباوي عشان نحجز مكان.

***

لأول مرة منذ عرفه الشباب يكره مالك شهرته.. كان في حالة يُرثى لها وقد نجحت ملابسه الشتوية في إخفاء الرباط الضاغط الذي وضعه على يده.. كان ينوي خياطة الجرح بعد حفل توقيع فؤاد الغرباوي إن عاود النزيف مرة أخرى، الأمر الذي لم يحدث إلى الآن.

دخل الخيمة المنشودة والتي تم تجهيزها بنظامٍ مسرحي حيث توجد في مقدمتها منصةٌ عليها مائدةٌ سيجلس خلفها فؤاد وتحت المنصة حـُشرت المَقاعد حشرًا لكي تكفي الحضور.. وقد حُجز أول ثلاثة صفوف من أجل الزوار الأجانب والمنظمين..

راح يخترق الجموع باحثًا عن أي وجهٍ مألوفٍ له.. بحث عن جلال عبد الراضي ويارا تميم، ولم يبحث عن آدم أو يرغب حتى في رؤيته.. فحالته لا تسمح له بتلقي اللوم أو المعاتبة من آدم.. كما أنه لا يريد أن يتذكر أحداث الليلة المنصرمة وفكر كثيرًا في ترك العمل الممنوع مع المعلّم، ولكن هل سيدعه الأخير يذهب إلى حال سبيله؟!

كان يظن أن آخر وجه يريد أن يراه هو وجه آدم.. حتى رأى سلمى حجازي..

سلمى هي المعجبة المهووسة بفؤاد الغرباوي.. ذائعة الصيت المستمد ملاحقتها المستمرة لفؤاد.. شهرتُها تفوقُ الكثيرَ من الكتّاب الكبار..

تم تدشينُ صفحةٍ خاصة للمعجبين بها تحت مسمى "البنت اللي بتحب فؤاد الغرباوي"..

لا تحتاج إلى خبير شَعر حتى يُخبرك أنها تصبغ شعرها بالأصفر فجذوره السوداء تفضح لونه الحقيقي.. حسناء الوجه.. قصيرة القامة، وعلى قدرٍ بسيطٍ من البدانة السفلية، أو كما يقولون (مدملكة)..

في العَقدِ الثالث من عمرها.. تزوَّجت لمدة شهرين عن عدم اقتناع حتى اقترح زوجها الطلاق فوافقت على الفور.. لم يتحمل هوسها الملموس والمحسوس بفؤاد الغرباوي، ومطاردتها المستمرة له في كل مكانٍ تطأه قدماه.. شعر أن له درة وهمية يرى اسمها في كل مكان تقريبًا في منزله على الكتب، ويرى صورها معلقة في غرفة نومه.

ذهبت لتصافح مالك وخبطته على ذراعه الأيسر مازحةً فقال لها وهو يتأوه من الألم:

- بالراحة يا سلمى.

- ألف سلامة.. مالك؟

- وقعت عليها.. كنت بألعب كورة.

- مش ناوي تقول لي فؤاد الغرباوي بيعمل إيه؟

- مش فاهم.

- ما تكدبش يا مالك.. فؤاد مش بيغيب عن عيني لحظة.. شوفتك معاه كذا مرة.. وعارف إنكوا بتتقابلوا كتير.. ومش كل مرة أسألك فيها هاقولك كده.

- ما تسيبي الراجل في حاله.. ده عيّن حارس شخصي مخصوص عشانك!

- هو خايف مني ليه.. ده أنا ممكن أشتغل عنده وأحرسه من أي حد مزعله.

- بأمارة الشتايم اللي شتمتيها في فاروق نصّار عشان خاطره.

ضحكت ضحكة أسمعت كل من حولهما ولفتت نظر البعض الذين شبّهوا على مالك، وقالت بفخرٍ:

- فاروق ده قليل الأدب وبيغلط في الغرباوي، والغرباوي ما بيردش.

- الغرباوي ما بيردش عشان صوت نصَّار ما بقاش مسموع زي الأول، ولو رد عليه هايعمله أهمية.. نصَّار بقى آخره يكتب على النت.. بس حاسه مسنود، ما أعرفش من مين.

- ولو عايزة أخليه يبطل النت كمان هخليه يبطل.. بس تفتكر فؤاد فرح من اللي عملته مع فاروق ده؟

- بصراحة حاسس إن دي أول مرة يحب حاجة إنتي بتعمليها.. بس هو كسب معركته مع فاروق نصَّار من زمان، مش مستنيكي تكسبيها له يعني.. الضرب في الميت حرام يا مؤذية.

- طب ما تنساش تقوله إني سألت عليه.

- هو أكيد عارف من غير ما أقول له.. لاحظي إنك بتحرجيه مع مراته.

بدا على وجهها الاشمئزاز، وقالت:

- الست مي أبو المجد؟ مش عارف عاجبه فيها إيه السمرة دي.

- مي سمرة بس حلوة يا مفترية.. وبعدين هو بيحبها وهي بتحبه.

- صحيح أنا سمعت إنها اللي طلبت إيده.. كانت لسه واخدة دور بطولة في فيلم مهم بعد سنين من الأدوارالثانوية، واعتزلت علشان خاطره.

- أنا باسمع زيك.. بس إيه يخلي واحدة زي مي - الرجالة بتشوفها حلوة، وكمان سنها صغير - تطلب إيد راجل أكبر منها بعشرين سنة وشكله عادي يعني.

- فؤاد له جاذبية عمرك ما هاتفهمها..

قال مالك في غيظ:

- جاذبية إيه؟ ده معدِّي الخمسين، وأبيض ومكلبظ شبه الأطفال، وشعره خشن وعنده حسنة فوق عينه واكلة نص وشه..

- تسمع عن آرثر ميللر؟

- مين ده؟

- ده كاتب ومناضل سياسي قديم.. الأهم من كده إنه كان واحد من اللي اتجوزوا مارلين مونرو.. كان دايمًا بيطلب منها تقرا وتكتب وهي كانت متفهمة كده وبتقول هو من حقه يتجوزني

لسبب تاني غير إني شقرا وحلوة وغبية!

- على كده فؤاد الغرباوي وآدم يكنْ دول دونجوانات؟

- مش بالنسبة لكل البنات.. ما تقلقش يا مالك أنت واللي زيك هتفضلوا عاجبين البنات لحد يوم الدين.

- طب عن إذنك هاروح ألحق مكان.

- أكيد هتلاقي مكان.. أنت بقيت دلوقتي VIP وفؤاد بقى حبيبك..

بس تفتكر آدم يكنْ عارفني، ولا أروح أتكلم معاه؟

- آه يعرفك.. ولو شوفتك بتكلميه وبتحاولي تعرفي منه فؤاد كلَّمه ليه هو كمان هاجيبلك رفيق يطردك.

- رفيق ده الحارس بتاع فؤاد؟

رد عليها باقتضاب:

- آه هو.

تركها وذهب ليكون في أوائل صفوف الحاضرين فلحقته.. اجتاز الزحام هاربـًا منها بصعوبة بسبب ذراعه المجروح.. عثر على جلال ويارا فصافحهما وتبادلوا عبارات الترحيب التي قـُطعت حين صعد لطفي أبو الخير على المنصة ليتلقى تحية روتينية من الحضور.. وقام بتقديم الضيف الأجنبي، وتلاه فؤاد الغرباوي وراح يصفق مع الحضور حين صعد فؤاد على المنصة..

قوبل الغرباوي بعاصفة من التصفيق والتي انحنى أمامها انحناءة بسيطة.. حاول الابتسام ولكن ابتسامته جاءت خافتة عكس المعتاد.. بدا مرتبكـًا، كما بدا الإنهاك عليه كأنه كان يركض مسافة أميال للتو.

جلس على مائدةٍ فخمةٍ فوق المنصة أمامه العشرات من مكبرات الصوت المرسوم عليها شعارات قنوات تلفزيونية وإذاعية كثيرة.. على يمينه لطفي أبو الخير وعلى يساره الضيف الأجنبي والذي كان رئيس فرع القاهرة لقناة أوروبية عالمية.

أنزل له أحد الفرَّاشين كوبـًا من القهوة أمامه.. ثم أنزل زجاجتين بلاستيكيتين من العصير أمام لطفي أبو الخير والضيف الأجنبي.

تنحنح فؤاد وطرق على مكبّر الصوت بإصبعه طرقة خفيفة ليتأكد أنه يعمل وقال وهو يُشير إلى الصفوف الثلاثة الأولى:

- يُسعدني ويُشرفني هذا الحضور الكريم.. أريد قبل الحديث عن الرواية أن أرحب بضيوفنا، وخصوصًا غير المصريين..

ترك الحضور ليصفقوا صفقةً روتينيةً، وشرب نصف كوب القهوة دفعةً واحدةً وأردف قائلًا:

- الرواية كما يعلم معظمكم هي أول تعاون بيني وبين دار "بصيص".. وقد صدرت تحت عنوان "المملكة الظافرية"..

قد يشعر البعضُ بتغير في موضوع الرواية عن المواضيع التي قد اعتدتموها مني، وقد يشعر البعضُ الآخر بتغيُّرٍ طفيفٍ في الأسلوب ولكن هذا التغير يرجع إلى...

لم يكمل فؤاد جملته بسبب فقدانه للوعي.. دوَّى صوتُ ارتطام رأسه بالمائدة حتى بلغ صداه نهاية الخيمة.

وعلى الفور ركضت سلمى نحو رجلٍ شديد النحافة منكوش الشعر أشيبه، وصاحب رأس كبير.. ثم أمسكت في لياقة قميصه وصرخت قائلة:

- هو ده اللي قتله.. الكلب فاروق نصَّار قتل سيده!

6 - كيف ولماذا.. ومنْ؟!

انطلق أكمل بسيارته متخطيًا كل حدود السرعة الآمنة في نفس الوقت الذي تحرك فيه معظم زملائه بالمديرية نحو أرض المعارض.. حاول الاتصال بمحمود للحاق بفرصة عمره التي قد ترفع من أسهمه مهنيًّا، ولكن هاتفه كان غير متاح آنذاك.

توقف أمام البوابة الرئيسية ونزل من سيارته.. فبادره عساكر الأمن بتحية عسكرية لم يكترث لها أكمل.. رأى أحد الضباط الشباب وكان مألوفَ الوجه بالنسبة له فعلم أنه مكلّف بانتظاره فنظر الأخير في الأرض وقال له قبل أن يسأل بلهجةٍ حاول أن تبدو حزينة:

- للأسف يا أكمل بيه.. وصلنا متأخر.

لم يبدُ على أكمل أي تأثر أو اندهاش بما حدث، وأخرج سيجارته قائلًا:

- طب قدامي على مكان الحفلة أنا أول مرة أدخل المكان ده وكنت متخيله أصغر من كده.

سارا سريعًا نحو الخيمة المنشودة والتي كانت في وسط المعرض بجوار أحد السلالم الكثيرة المنتشرة هناك.. دون محاولةٍ من أحدهما لتبادل أطراف الحديث.. رنَّ هاتف أكمل فتوقع أن يكون محمود هو المتصل، ولكنه كان اتصالًا من مدير الأمن ثانية.. الذي ردَّ عليه أكمل وقال دون أن يسمعه أو يبدأ بالتحية:

- أنا وصلت خلاص معاليك.. فيه تعليمات معينة؟

- بلّغ كل زمايلك إن القضية دي بتاعتك.. كوّن فريق البحث الجنائي زي ما تحب بس بأقل عددٍ ممكنٍ وخـُد بالك إن المكان مليان أجانب.. إحنا ما اتعرضناش لموقف بالحساسية دي قبل كده.. شوف إيه الأصلح للشغل ويكون في حدود القانون واعمله، بس استنى وكيل النيابة اللي هايوصل لك.. هما عارفين أبعاد الموضوع وهايدولك كل الصلاحيات بس التعامل مع الطب الشرعي هايكون من خلالهم طبعًا زي المعتاد بس هايكون أسرع.. عايز شغل ليل نهار من غير نوم يا أكمل.. فؤاد الغرباوي مش مجرد شخصية عامة على المستوى المحلي.

- أوامر معاليك.. أنا هادخل الخيمة دلوقتي.

- طب اتفضل.. في رعاية الله.

دخل أكمل وفوجئ بوجود محمود رغم عدم استقباله أي مكالمات من المديرية.. ولكن الأخير شرح له سبب وجوده وأنه لم يتلقَ البلاغ باكرًا لحضوره حفل خالد العبد بجوار هذه الخيمة، حيث كانت شبكة الهاتف ضعيفة داخل جناح مكتبة النجاح.

قال محمود بصوتٍ خفيضٍ وهو يتوجه مع أكمل نحو المنصة وسط الزحام حيث سقط فؤاد:

- واضح إن الاتصال ده من القاتل نفسه.. بيعرَّفنا إن الموضوع مش قضاء وقدر.. فيه كاتب شاب صاحبي اسمه آدم قالي إن فؤاد وقع من طوله أول ما شرب القهوة بتاعته.. سألت ناس بشكل عشوائي قالولي نفس الكلام.. أظن حالة الإصرار والترصد واضحة زي الشمس.. خصوصًا إن فؤاد قطع النفس بعد المكالمة بخمس دقايق بالظبط.

- سيبك من شوية القانون اللي درستهم في الكلية.. ركز في القضية.

- فيه واحدة مسكت راجل كبير في السن وقعدت تصرخ وتقول إن هو اللي قتل فؤاد.. الراجل مستحملش وأغمى عليه، اتحفظنا عليه وبنحاول نفوقه عشان نحقق معاه ونشوف قالت له كده ليه.

هز أكمل رأسه ثم قال بلهجةٍ ذات معنى:

- اشتغلت في جريمة قتل قبل كده يا محمود؟

- ما أنت عارف يا باشا إن شغلي كله كان مكافحة.. بعدين تقصد إيه بكلامك ده؟

غمز له أكمل دون أن يلاحظ أحدُ الموجودين وقال بصوتٍ خفيضٍ لم يخلُ من السعادة:

- أقصد إن مدير الأمن إداني الصلاحية أختار الفريق بتاعي.. هاتقدر تشرفني يا ابن عبد المجيد الأنصاري ولا هاتفضل عايش على حس أبوك كتير؟

ضحك محمود وقال له:

- السؤال ده لو اتكرر أختك هاتطلق.

نظر له أكمل نظرةً ساخرةً وعلى الفور تحوَّل إلى شخصٍ آخر مثيرٍ لدهشة محمود وإعجابه.. فصعد المنصة متجاهلًا جثة فؤاد الغرباوي المغطاة بقطعةٍ كبيرةٍ من القماش، وقال بصوتٍ عالٍ محدثًا زملاءه من عساكر وضباط أقل منه رتبة:

- الناس كلها تتاخد بياناتهم كاملة في دفتر.. واللي في أول سبع صفوف ييجوا ورانا على القسم نحقق معاهم النهاردة.. واللي مش هايحضر هاقبض عليه بتهمة القتل العمدْ.. والباقيين يروّحوا ولما نحتاجلهم هانجيبهم.. وميغادروش القاهرة لمدة أسبوعين!..

ولحد النيابة والطب الشرعي ما يوصلوا هانحقق مع أقرب الناس لمسرح الجريمة بشكلٍ عشوائي.. ثم نظر إلى عساكر الأمن وقال لهم:

- ماحدش يدخل الخيمة ولا يخرج منها.. واللي يقرب من الجثة بأكتر من تلاتة متر افتحوا عليه النار.

سأله أحد الصحفيين الأجانب بلهجةٍ عربيةٍ ركيكةٍ:

- وهل هذا الكلام سينطبق على غير المصريين؟

رد عليه أكمل بطريقةٍ ساخرةٍ:

- (هذا الكلام) للجميع.. أنا معايا كل الصلاحيات ودي قضية رأي عام عالمي.. هانخاطب سفاراتكوا ولو عايزين يبعتوا مناديب يحضروا معاكوا التحقيق مفيش مانع.

ثم مال على محمود وقال له:

- فين مكان البوفيه اللي اتعملت فيه القهوة.

وكطالب نجيب متوقع السؤال أجاب محمود:

- البوفيه عبارة عن حتة صغيرة جنب المنصة متجهزة مخصوص للحفلة، متحاوطة بستاير وشغال فيها ساعي واحد هو اللي عمل القهوة وهو اللي قدمها.. ما فيهاش غير غلاية المية وبرطمان البـُن المخصوص بتاع فؤاد وبرطمان سكر وإزازتين عصير فاضيين نزلوا للطفي أبو الخير صاحب دار بصيص، وللضيف الأجنبي.

- طب ناديلي عسكري ناشف يقف قدام البوفيه ما يدخلوش دبَّانة لحد بتوع الطب الشرعي ما يوصلوا.. وناديلي على الساعي.

وقف أكمل على المنصة منتظرًا رجوع محمود ومعه الساعي.. راح يراقب ردود أفعال الجميع: فهؤلاء العساكر يُحيطون المنصة ويمنعون المدنيين من الاقتراب منها، وهناك زملاؤه يستعرون

من الغيظ لأنه اختار محمود من وسطهم ليساعده في هذه القضية، وهذه فتاة شعرها مصبوغ باللون الأشقر تبكي وتولول كأنها فقدت زوجها..

لمح بطرف عينه ثلاثة شباب وفتاة يعزفون عكس التيار السائد فلا يُسيطر عليهم الحزن والصدمة، بل يتجادلون كأنهم يتحدثون في أمرٍ مصيري.. كان أحدهم على قدرٍ من البدانة والآخر شديد السمرة، وثالثهما كان على قدرٍ من الوسامة وطول القامة ويجمع شعره للخلف على هيئة ذيل حصان..

أما عن الأنثى الوحيدة وسطهم فقد كانت تتمتع بشَعرٍ مضفَّرٍ وجمالٍ مثيرٍ وجارحٍ للنظر.. ليس الجمال الرقيق الذي ترتاح حين تنظر إليه كما.. سرح معهم قليلًا وحاول قراءة شفاههم عازمًا على التحري عنهم بشيء من التركيز وقت الاستجواب في المديرية..

قاطع محمود قطيع أفكاره المنساب حين أتاه بالساعي الذي بدا عليه الرعب والخوف الشديد.. فأشار أكمل إلى محمود ليتبعه إلى آخر المنصة لكي يتمكن من استغلال فزع الساعي في معزلٍ عن الضوضاء وعن الآذان التي قد تطلع على تفاصيل لا يُريد إفشاءها في الوقت الحالي أملًا في معرفة حقيقة ما حدث.. مال محمود على أكمل قائلًا:

- تحب نلعبها معاه شِدْ ورخّي؟.. اللي هي ظابط طيب والتاني مفتري.

رد أكمل متهكمًا:

- محمود يا حبيبي أنت في مصر.. وأنا ظابط مرتبي ما بيعديش العشرتلاف جنيه بالحوافز والأوفرتايم والذي منه، ويا ريته مكفي.. مش شيرلوك هولميز يعني وهنجيب سبراي يورينا مكان الدم المتجفف ونعمل شريطة صفرا حوالين مسرح الجريمة.. اشتغل شغل مصري.

- شغل مصري إزاي يعني؟

- يعني شِدْ وشِدْ برضه.. يعني ظابط مفتري والتاني ألعن منه ومن اللي خلّفوه!

كان الساعي كهلًا في أواخر الأربعين من عمره.. أصلع الرأس أشيب الشعر.. كان نحيلًا ذا قوام شديد الضعف والانحناء.. ربَّت أكمل على كتفه بيده القوية.. وحين بدا عليه الألم قال له ضاحكًا:

- مالك يا راجل يا طيب.. أنا طبطبت عليك جامد ولا إيه؟.. ده أنا حتى أخف إيد في المباحث.. قولي بقى اسمك إيه وشغال فين غير هنا؟

رد عليه الساعي بعد أن انهار في البكاء قائلًا:

- والله يا باشا ما عملت حاجة.. أنا عندي عيال عايز أربيهم.

تذكر محمود نصيحة أكمل بالضغط على المتهم فصاح في الساعي:

- سألك اسمك إيه ترد على قد السؤال.. دي مش جريمة سرقة غسيل!

ازداد بكاءُ الساعي فربَّت أكمل على كتفه ولكن هذه المرة كان رفيقًا به وأبدى تعاطفه معه وقال بصوتٍ خفيضٍ:

- ما تقلقش يا حاج.. دول شويتين بيعملهم معاك عشان لسه جديد.. خليك معايا أنا.

ثم نظر أكمل إلى محمود نفس النظرة الساخرة التي حدجه بها قبل قليل.. فقد أدرك محمود أن أكمل قد نفَّذ اقتراحه في استعمال نظرية الضابط الطيب والآخر القاسي ولكنه أجبر محمود على تأدية دور الضابط القاسي دون أن يشعر الأخير.

أردف أكمل موجهًا حديثه إلى الساعي:

- رُد على قد السؤال ولو كدبت هاسيّب محمود بيه عليك..

رد الساعي بصوتٍ متهدجٍ وبكثيرٍ من التلعثم:

- اسمي غريب يا باشا.. غريب عبد ربه سعيد القـُط.. وبشتغل ساعي في مكتب لطفي باشا أبو الخير وهو اللي جابني هنا من إمبارح عشان أجهز البوفيه، بعتلي السكرتيرة بتاعته سلمتني البُن بتاع المرحوم وباقي عدة الشغل.

- قول لي بقى يا غريب.. غيبت عن البوفيه قد إيه؟

- ما غيبتش غير خمس دقايق.. وصلت الحمَّام ورجعت.

نظر له أكمل نظرةً محذرةً وقال بلهجة من يُحاول السيطرة على أعصابه:

- عايز تفهّمني إنك روحت الحمَّام اللي عند البوابات قضيت حاجتك ورجعت تاني.. كل ده في خمس دقايق؟

- يا باشا ماهه أصل..

أمسك أكمل في لياقة قميصه وقال بعصبيةٍ:

- مخبي إيه يا غريب.. كده كده هناخدك في القسم ومش هنروَّحك غير لما تقول كل حاجة.. بس أنا حبيت أشوف نظامك.. ورحمة أمي ياله لو ما جاوبتش عدل هطلّع عليك سمعة إنك إنت اللي سمّيت الراجل.. وشوف مين بقى هايشغّلك بعد كده!

قاطع حديثه الضابط الصغير الذي اقتاده إلى الخيمة مُنذ قليل قائلًا:

- يا باشا مرات المرحوم وصلت وعاملة قلق برة وعايزة تخش الخيمة.

نظر أكمل إلى محمود قائلًا:

- روح هاتها وسيطر على انفعالاتها بس من غير قلة ذوق.. دي واحدة جوزها لسه ميت برضه.

كان محمود قد سمع من آدم عن جمال زوجة فؤاد الغرباوي.. السيدة مي أبو المجد، واستغراب الكثير من زواجهما خصوصـًا حين علموا بأنها هي من سعت لإتمام هذه الزيجة.. حتى ظن البعض أنها تزوجته طمعـًا منها في الثروة الصغيرة التي حققها.

لم تبدُ في قمة تألقها حين رآها.. فقد كانت ملابسُها وسطًا ما بين ملابس المنزل وملابسِ الخروج، وزينة وجهها غير كاملة.. كان يعلم بأنها قد جاءت مسرعةً كالصاروخ ولكنها لم تخلُ من تلك الحلاوة الهادئة الراقية المغلفة بالحزن والتي تبدو على وجه الأرامل.

قالت لمحمود:

- أنا مش فاهمة حاجة.. الناس كلموني قالولي إلحقي جوزك.. هو ليه مافيش إسعاف تنقله أقرب مستشفى؟

- اهدي يا مدام.. الإسعاف جاية بس هتنقله على المشرحة عشان نعرف سبب الوفاة.. البقاء لله.

أطلقت صرخةً مدويةً تردد صداها في الخيمة كلها اقشعر لها جسد محمود الذي كان جوارها.. وما زاد ارتباكه أنه لم يستطع السيطرة عليها وخذل أكمل في أول مهمةٍ يكلّفه بها.

- خلاص يا مدام بلاش فضايح.. أستاذ فؤاد كان شخصيةً عامةً وله معجبون في كل الدنيا.. هو لو بيننا دلوقتي مش هيحب يشوفك كده قدام الناس.

وكان لكلمات محمود مفعولٌ عليها فتظاهرت بالصمود وقالت بصوتٍ متهدج:

- مش وقت الكلام ده أنا عايزة أشوفه.

أمر أكمل محمود باصطحاب غريب القـُط بعيدًا عن الزاوية المنعزلة من المنصة التي كان يُحقق معه فيها على ألا يغيب عن نظره وانفرد بمي قائلًا:

- البقاء لله يا مدام.. ده حال الدنيا.

- أنا مش هاخد عزا جوزي غير لما أعرف اللي قتله.

- هو غالبـًا مات مسموم لأن أغلب شهود العيان قالوا إنه مات بعد ما شرب القهوة بتاعته.. المهم عندنا الدافع، وبالنسبة للقاتل فده آخر سؤال بنسأله لأن مش شرط يكون القاتل هو المنفذ.

- بمعنى؟

- بمعنى إن مؤخرًا طلع في مصر موضة الـ Hitman .

- مش فاهمة!.

- يعني واحد خد فلوس عشان يحط للمرحوم السم بأوامر من شخص تاني.. الأولاني بنقول عليه المنفذ والتاني القاتل الحقيقي.. بس إحنا بنعتبر الاتنين متشاركين في الجريمة.

- وحضرتك شاكك في حد معين؟

- أظن أنا لسه قايل إن مش شرط القاتل يكون هو المنفذ.. يعني ما أقدرش أعرض عليكي تفاصيل القضية.

ردَّت عليه بصوتٍ مرتفعٍ وصل إلى مسامع المحيطين بهما:

- أنت تقصد إن أنا اللي قتلته؟

- ماعرفش.. بس كل شيء وارد.. جايز أنا اللي قتلته.

- أنا مش هاسكت وهاكلّم معارفي في الداخلية أشوف إزاي واحد زيك يمسك قضية بالحجم ده.

هز أكمل رأسه لمحمود لكي يأتيه وأشار إليه مُحدثـًا مي:

- اللي قدامك ده ابن خالتي وابن اللوا عبد المجيد الأنصاري يعني ببساطة أقدر أقولك اعملي اللي تعمليه.. ولحد آخر لحظة ليا في القضية هاشوف شغلي.. عايزة تتعاوني معايا براحتك، مش عايزة هعتبرك متواطئة وهاحقق معاكي كمتهم!

هدأت حدتها قليلًا وقالت بكبرياء:

- قول لي عايز تعرف إيه؟

- ليه جوزك اتقتل؟ إيه الدافع اللي ممكن يخلي أي حد يقتله.

- جوزي عداواته معروفة.. ناس كان بيهاجمهم وبيهاجموه.. فؤاد كان عصبي أوي بقاله سنة وكان بياخد كل هجوم على صدره وده زوّد أعداءه.. بس ما أظنش فيهم حاجة ممكن توصَّل للقتل.

- تفتكري مين يعني؟

- فاروق نصَّار.. أو يعقوب حنّا صاحب دار نشر النجاح.

- دي الدار اللي فؤاد شغال معاها؟

- قصدك اللي كان.. فؤاد كان شغال معاه بقاله عشر سنين بس انفصل عنه في آخر رواية وراح اشتغل مع دار بصيص.

- وطبعـًا فؤاد الله يرحمه كان بيضة بتنزِّل دهب.

- بالظبط كده.. لما يعقوب عرف إن فؤاد مضى مع لطفي أبو الخير جه الفيلا عندنا واتخانق مع فؤاد ولولا رفيق كان ممكن يعقوب يتهور .

- رفيق مين؟

- ده الحارس الشخصي والسواق بتاع فؤاد.. عيِّنه من بعد المعرض اللي فات عشان الست سلمى.

أخرج أكمل دفتر ملاحظات صغيرًا من جيبه الخلفي ودوَّن فيه اسم يعقوب حنّا واسم سلمى.. وقال لمي:

- اسمها سلمى إيه؟

- ما أعرفش!.

- كانت مراته قبل ما يتجوزك؟

- فؤاد ما اتجوزش غيري.. سلمى دي معجبة مهووسة بفؤاد وأنا كنت متعودة على معجباته وإنه شخصية عامة وكنت أنا اللي بطلب من الناس آخد الكاميرا عشان أصورهم معاه.. بس سلمى دي زوّدتها أوي.

بقت بتمشي وراه على طول.. بتطارده في كل حتة.. لدرجة إنها كانت بتيجي البيت.

- طب وهي ماجتش ليه النهاردة؟

- ما هي تحت المنصة أهيه.. اللي شعرها أصفر وقاعدة تلطم زي ما تكون هي اللي اترملت مش أنا.

خطر على باله سؤال بديهي، فقال:

- طب ورفيق أنهي واحد في الناس دي كلها؟

نظرت مي حولها باحثة عنه، ثم قالت:

- مش واخدة بالي منه دلوقتي .

أشار أكمل إلى أحد الكراسي الخالية في الصف الأول قائلًا:

- طب حضرتك ممكن تروحي ترتاحي وإحنا هانخلص ليكي كل الإجراءات والورق المطلوبين لإعلام الوراثة وهانحاول ننجز في التشريح.

خبطت مي صدرها بكفي يدها وقالت بصرخةٍ عاليةٍ:

- تشريح؟!

رد عليه أكمل بلهجةٍ آسفةٍ، وقال:

- لازم نعرف سبب الوفاة بالظبط عشان نعرف نحدد القاتل.. دي جريمة قتل ومتبلّغ عنها.

قالت مي:

- طب أنا ينفع أروَّح دلوقتي.. أعتقد وجودي مالوش لزمة.

- طبعًا تقدري، إحنا مراعيين ظروفك.. بس للأسف هتشرفينا بكرة الصبح عشان نكمل التحقيق.

بعد انصرافها بلحظاتٍ أمر أكمل محمود أن يتحدث في مكبر الصوت الذي كان يتحدث فيه فؤاد قبل وفاته، وأن ينادي على شخصٍ يُدعى رفيق الحلواني - الحارس الشخصي لفؤاد.

وعلى الفور تقدَّم رفيق وصعد المنصة ببرود أعصاب.. كان عكس ما توقعه أكمل تمامًا: فقد كان شابًّا متوسط القامة ضئيل الحجم لا تستقر عيناه في موضعٍ واحدٍ، فوق رأسه يستقر شعرٌ كثيفٌ منكوش.

سأله أكمل:

- أنت رفيق؟

أجاب بنفس البرود:

- آه يا باشا.. فيه حاجة ولا إيه؟

لم يكن أكمل في موضعٍ يسمح له هذه المرة بلعب دور الضابط الطيب.. فصاح في رفيق قائلًا:

- لأ مفيش.. ده حياالله الراجل اللي أنت بتحرسه اتقتل قدامك.. إحنا آسفين إننا قلقنا منامك تقدر تروح تكمِّل نوم ولما تصحى هنجيبلك الفطار في السرير.

رد رفيق بنفس الهدوء المستفز:

- أنا حاسس إنك بتهزر يا باشا!

كوّر أكمل قبضته أمام رفيق محذرًا إياه، وقال هو يجزُّ على أسنانه:

- أنت لو ما ردتش عدل هانفخك.. قول لي ياله: أنت شغال تبع شركة أمن ولا كنت ظابط واتسرحت؟

- لأ حضرتك أنا مستقل.. freelance يعني.

- إزاي مستقل وبجسمك ده بشتغل مع شخصية زي فؤاد.

- فؤاد باشا الله يرحمه مكانش عايز جارد بعضلات يبعده عن الناس.. مكانش بيتضايق منهم أصلا .. هو كل اللي كان طالبه واحد بيعرف يسوق ويقدر يبعد عنه سلمى حجازي اللي أكيد المدام حكيت لك عنها.

قال أكمل وقد هدأت أعصابُه قليلًا:

- بس واضح إنك تعرف عنها أكتر من المدام.

- مافيش حاجة مدام مي مش عارفها أكتر مني.. ده هي اللي اقترحت على فؤاد باشا يعينني أصلًا وهي اللي قدمت لي تحريات مبدئية عنها..

قال أكمل مستنكرًا:

- وهي مي عرفتك إزاي؟

ردَّ عليه رفيق مصححًا:

- مي (هانم) عرفتني أيام ما كانت بتشتغل مع أبوها في الصاغة.. عرفت معلومة عن تاجر بينافس أبو المجد باشا روحت بيعتها لهم، ومن ساعتها وهي مخلياني عينيها وودانها في سوق الدهب كله.. ولما سابت الشغل مع أبوها كانت بتبعت لي مبلغ بسيط يعيشني لحد ما جابت لي الشغلانة مع فؤاد باشا.

قال أكمل:

- طب وتعرف إيه عن سلمى حجازي؟.

أجاب رفيق بنفس اللامبالاة قائلًا:

- بنت تافهة أمها كانت غنية وماتت وهي بتولدها وأبوها كان عطّار كبير في وسط البلد، وكان شيخًا كبيرًا من شيوخ الجماعات إياها اللي في سينا، وعندها أخ واحد عايش برة مصر.

- تصدق إن مي أبو المجد قالتلي إنها ما تعرفش اسم أبو سلمى دي أصلًا.

وضع رفيق يديْه على فمه كأنه تكلَّم أكثر مما ينبغي، وقال:

- يا باشا ما تقطعش عيشي وتوقَّعني مع مي هانم.. دي شديدة.

قال أكمل ضاحكًا:

- أنت غبي يا رفيق؟ أنت عيشك اتقطع خلاص.. ومي مش هاتطيق تبص في خلقتك بعد ما سيبت جوزها يموت وأنت واقف تتفرج.

غير كده ما حدش هايعين حارس بجسمك ده.. لأ وكمان الشخص الوحيد اللي إنت مكلف تحرسه مات قدام عينيك.. أنت ما تعرفش إن كل حاجة بتتكتب في الـ CV بتاع الجارد!

قال رفيق وقد تخلّى عن هدوئه قليلًا:

- أنا ما ليش إني أحمي فؤاد باشا من حد غير سلمى دي.

- طب قول لي يا عم المصحصح.. سلمى عملت إيه النهاردة في الحفلة؟

بدا الاهتمام على رفيق، وكأنه لا يعرف في العالم كله إلا إجابة هذا السؤال:

- كانت غريبة يا باشا.. في العادي بتقعد تصور المرحوم من بعيد بتليفونها، وساعات بتجري عليه وتقوله كلام حب بصوت عالي قدام الناس.. بس النهاردة كانت ساكتة وهادية.. وأول مرة أشوفها بتضحك ضحكة عادية مش ضحكة المجانين إياها.. زي ما تكون واثقة إن فيه حاجة جديدة هتحصل.

تركه أكمل ثم وجَّه حديثه إلى محمود الذي كان يبعد عنه قليلًا وقال له همسًا، وهو يُعطيه هاتفه المحمول:

- خد اتصل بالرقم ده، قول لوكيل النيابة يستعجل لنا بتوع الطب الشرعي اللي جايين معاه لحد ما أشوف حد تاني أسأله.

قال محمود:

- ما ينفعش نكلم الطب الشرعي على طول؟

- قانونًا الطب الشرعي تابع لوزارة العدل، وما ينفعش نتعامل معاهم بشكلٍ مباشرٍ.. حتى التقرير أنا هاخد ملخصه بالحب من وكيل النيابة لما أروح له يستجوبني كشاهد.

تركه أكمل ولف لفة في الخيمة متفحصًا معظم الموجودين، ولكن العدد كان كبيرًا.. كان يفكر في كيفية تقليص هذا العدد للوصول إلى القاتل الحقيقي.. وبعد عشر دقائق عاد إلى حيث ترك محمود، فسلّمه الأخير الهاتف قائلًا:

- كان فيه حادثة في الطريق معطلاهم، وخلاص رجعوا يتحركوا تاني وبيقولوا إنهم على وصول.

لخّص أكمل لمحمود كل ما عرفه عن سلمى، وقال:

- روح اتكلم معاها وشوف هاتقدر تطلع منها بإيه!

عزم أكمل على استكمال مراقبة الحضور علّه يرصد رد فعل يميز صاحبه. وفي نفس الوقت الذي كان محمود يقرأ فيه الفاتحة سرًّا مستعينًا بالله على أول تحقيق رسمي له في جريمة قتل.. حتى

وإن كان التحقيق بصورةٍ مؤقتةٍ غير رسميةٍ.. قال لنفسه إن سلمى يجب أن تكون فريسته التي يجب أن يتمكن منها هنا أولًا تمهيدًا لامتصاص دمها والتهامها في المديرية.

اقترب منها على مهلٍ وقرر أن يبدأ معها باللين.. ربَّت على كتفها فلم تمانع أو تلاحظ وجوده أصلًا.. حاول تهدئتها ببعض العبارات المُعزية.. وبعد وهلة مرَّت عليه دهرًا جفت دموعها فقال لها بصوتٍ خفيضٍ:

- واضح إنك كنتي بتحبيه يا سلمى.

رفعت سلمى حاجبيْها، وقالت له:

- أنت تعرفني؟

- وهل يخفى القمر.. حد يعرف فؤاد الغرباوي وما يعرفش سلمى حجازي؟!

- عرفتوا مين قتله ولا لسه؟

- لسه بنحقق.. بس تعرفي إن ما فيش حد اتحقق معاه إلا وجاب سيرتك.. كلهم بيقولوا عنك مجنونة!

- وأنت شايف إيه.

نظر حوله ليتأكد من أن أحدًا لا يسمعه، وقال لها بصوتٍ خفيضٍ:

- أنا شايف بنت زي القمر مضيعة حياتها كلها عشان تراقب واحد قد أبوها.

قالت سلمى بحدةٍ:

- أنت زيك زيهم.. ما حدش فاهم فؤاد كان بالنسبالي إيه.

وانهارت مرةً أخرى في نحيبها.. ركّز محمود مع نظرات سلمى للأشخاص حولها، وفكر قليلًا ثم أشار إلى غريب القط الذي جعله على مقربة منه - بتعليمات من أكمل بعدم تركه ليبتعد - وقال له:

- تعالى اعمل للأستاذة كوباية لمون عشان تهدى.

قال غريب بلا مبالاة:

- يا باشا البوفيه كل اتحرّز.

- مالكش دعوة أنت.. قولهم إنك جاي بأوامر من محمود الأنصاري.. ولا أقولك قولهم دي أوامر أكمل باشا وخلّي حد يعترض.

أومأ غريب برأسه وقبل أن يتحرك، قال له محمود محذرًا:

- بس إياك تلعب في أي حاجة جوة، دي بقت أحراز.. تعمل اللمون من غير ما تسببلي مشاكل.

قالت سلمى مقاطعةً محمود:

- مالوش لزوم حضرتك.. أنا كويسة.

رد عليها محمود وقد أخرج منديلًا ورقيًّا من جيبه وأعطاه لها:

- امسحي دموعك بس.. وقوليله سكرك إيه؟

نظرت سلمى إلى غريب الذي لم يكن واضحـًا في عينيها بسبب غزارة دموعها وقالت له وهي تمسح دموع خديها أولًا قبل عينيها:

- معلقتين بعد إذنك.

رد عليها غريب بلهجةٍ آليةٍ وهو متوجه نحو البوفيه قائلًا:

- تحت أمرك يا سلمى هانم.

فوجئ غريب وارتعد حين أمسك محمود بلياقة قميصه قائلًا:

- عرفت منين يا ناصح إنها سلمى هانم؟!

- يا باشا أصل الموضوع..

صرخ محمود بحزم:

- انطق يا بغل!

كاد أكمل أن يتدخل ولكنه ظل يتابع الموقف وقد بدت عليه علامات الفخر بابن خالته.

انهار غريب في البكاء، وقال:

- منها لله استغلت حوجتي للفلوس.. إدتني عشرين ألف جنيه وكيس صغير فيه مسحوق لونه غامق، وقالتلي أفضيه في القهوة بتاعة فؤاد باشا!

لم تعترض سلمى على حرفٍ مما قاله غريب.. وبمنتهى العملية أخرجت هاتفها المحمول واستأذنت من محمود أن تهاتف محاميها فلم يعترض وطلبت منه ألا يعلن القبض عليها علنًا فوافق.. ليس من أجلها ولكن لصالح سير التحقيقات.. ثم اقترب من شقيق خطيبته وتحدَّث بصوتٍ منخفضٍ لم يسمعه سوى أكمل والعساكر المحيطين بالمنصة قائلًا بلهجةٍ لم تخلُ من الفخرِ وشيء من الغرور الطفولي:

- القضية خلصت يا أكمل باشا!

7 - مدد يا سيدي عبد النور مدد!

"يجب أن تتزوج مريم"..

هكذا قالت أم مريم لنفسها وهي تـجِدُّ السير بجوار ابنتها الوحيدة ونور عينها.. فهذه ثالث مرة تحدُث لفلذة كبدها نفس الحادثة..

منذ لحظة خروج مريم من رحم أمها وهي تحلم بيوم زفافها.. يوم أن تسلّمها إلى من يستحق هذه الهدية التي كلّفتها حمل تسعة أشهر وإفساد جمال جسدها، وكلّفتها أيضًا تحولها من الفاتنة "آية" إلى "الست أم مريم"..

رحل والد مريم قبل ولادتها.. هاجر الحياة دون أن يرى حصاد بذرته.. ومنذ ذلك اليوم وآية لا همَّ لها سوى أن تجعل هذه الزرعة صالحةً ولا يُقال إنها قد أتت من بذرةٍ فاسدةٍ مزروعةٍ في أرضٍ غير قوية.

أعانها معاشُ الزوج على الحياة بشكلٍ فوق الجيدِ.. لم تدخر جهدًا ولا مالًا لإسعاد مريم.. كانت تُعاملها كالأميرة حتى نقلت هذا الإحساس إلى كلّ من يقبعون في دائرة معارف مريم.

كانت مريم شديدة البياض كأبيها، ملامحُها مُريحةٌ وشعرُها شديدُ النعومة وبلون الفحم كأمها، كانت ذات جمال هادئ وصوتٍ رقيقٍ.. مما جعل الكثيرَ من أهل منطقتها السكنية يتقدم لخطبتها، كان معظمهم من التجار أصحاب الأموال الكثيرة والعقليات القديمة والزوجات السابقات.. قوبلوا جميعًا بالرفض قبل دخول المنزل.. فلن تقتلع آية نباتها الطيب من أجل أي شخصٍ لمجرد أنه من ذوي المال و الجاه.. كانت تشترط في حاصد أرضها صغر السن، وأن تكون أميرتها هي زوجته الأولى والوحيدة.. والأهم من هذا أن يُلاقي قبول مريم، ويحظى برضاها.

وبعد فترةٍ ليست بالقصيرةِ حدث ما توقعته آية وفكرت فيه لسنوات.. فقد صارحتها مريم بحبها الشديد لزميلها في كلية الآداب: عمرو.

كان طيبًا من بيتٍ طيبٍ.. على قدرٍ بسيطٍ من الوسامة.. تقدّم لمريم قبل أن تنتهي دراستهما في موقفٍ احترمته أمها كثيرًا وقدَّرت له رجولته مع ابنتها.. وعليه فقد وافقت عليه وساعدته حين أخبر أهله، كما وعدته بتسهيل كافة تكاليف الزواج عليه.. حيث إنها كانت تدخر المال من أجل هذا اليوم.

ازدادت يد مريم بريقًا حين ارتدت خاتمًا ذهبيًّا يحمل اسم عمرو.. تخرَّج الاثنان بتقديرٍ كبيرٍ وعمل عمرو في تجارة والده بصورةٍ مؤقتةٍ إلى حين وصول التعيين الحكومي.. وقد تم تحديدُ موعد كتب الكتاب..

ولكن أتت الرياح بما لا تشتهي سفن العائلتين.. فقد توفي عمرو في حادث سيارة أليم..

عزفت مريم عن التفكير في الرجال لمدةٍ زادت على السنتين حتى أقنعتها أمها بمقابلة عريسٍ جديدٍ بعد فقرةٍ طويلةٍ من البكاء وندب الحظ و"نفسي أفرح بيكِ قبل ما أموت".. فوافقت مريم على مقابلته عاقدة العزم على رفضه بحجةٍ أو بأخرى.

لم تُفارق صورة عمرو مخيلتها حتى جاءت اللحظةُ التي قابلت فيها رضا.. كان صاحب طموح وواعدًا، حيث يعمل مدربًا لكرة القدم في أحد أندية الدرجة الثانية براتبٍ يكفيهما لحياةٍ جيدةٍ.. كان مفتول العضلات شديد الأدب والحياء.. ارتاحت له منذ اللحظة الأولى وقررت أن تجعل منه لعبة الأطفال التي تلهيها عن الجوع الذي تشعر به تجاه عمرو.

وافقت عليه وتعلّمت أمها من أول خِطبة فعجّلت من موعد الزفاف حتى كاد رضا أن يشك في سُمعة مريم، ولكنه حين سأل عنها لم يجد ما يعيب فساير آية فيما أرادت.

وكأن القدر يُخرج لسانه ساخرًا من آية متحديًا إياها في مصير ابنتها.. مات رضا إثر حادثة سير أثناء الليل مشابهة لتلك التي حدثت لنظيره عمرو.

لم تكن الصدمةُ قويةً على مريم هذه المرة.. فقد توقع الجزء المتشائم من عقلها تكرار نفس الصدفة القاسية.. ولكن على العكس كانت آية تبكي كما لم تبكِ من قبل.. حتى إن مريم ظنت أن والدها قد مات ثانية!

ومع الوقت أنزلت الأم ابنتها من فوق عرش الأميرة - على الأقل في نظر الناس.. فلا وجود لأميرةٍ يموت عرسانها ليلة الزفاف.. قلّ مجيء المتقدمين طمعًا في خطبة الأميرة – سابقًا – مريم.

فإذا جاء أحدُهم طمعًا في جمالها.. رحل بعد مدةٍ قصيرةٍ حين يسأل عن مريم، ومن ثمَّ يخمّن مصيره بناءً على ما حدث لأمثاله من الخاطبين.

لم تعترض مريم وأسلمت نفسها إلى محاولات أمها اليائسة في جلب الزوج الصالح لها.. كانت تعلم أنها ستوافق على أي متقدمٍ، أيقنت أن فرصتها القادمة ستكون الأخيرة.. وقد حدث..

"التشاؤم حرام يا إخواننا.. الرسول نهانا عن (الطِّيَرَةُ) يا جماعة"

هكذا قالها الشيخ بلال إمام المنطقة التي تعيشان فيها.. كان أرمل لزوجةٍ طيبةٍ كانت تعشقها جميع الجارات.. تحدَّى الجميع ليثبتَ وجهة نظره القائمة على أساسٍ من عقيدته، وتقدَّم لخطبة مريم.

أدركت آية أن رجلًا مثل الشيخ بلال سيُرجع ابنتها أميرة مرةً أخرى، بل سيحيلها ملكةً متوجةً، ولكن سيتغير شكل العرش قليلًا.. سيكون مزدانًا ببعض النقوش الإسلامية مفروشًا مكان الجلوس فيه بسجادة الصلاة.. ولكن هل ستكره لابنتها الالتزام الديني الذي عجزت عنه طيلة حياتها؟!

تمت قراءةُ الفاتحة سريعًا دون أدنى اعتراضٍ من مريم.. على العكس فقد انتقلت عدوى القبول من أمها إليها.. أقنعتها أن اقترابها من خالقها سيزيد من قوة إيمانها ويجعلها تتغلب على فقدانها لعمرو ورضا.. علاوة على بدء صفحةٍ جديدةٍ مع الشيخ بلال.

أبدى بلال تفهُّمًا لرغبة آية في الإسراع بعملية الزواج.. فقرر كتب كتابه على مريم نهاية الأسبوع.. واضعًا يده داخل حلق كل من يتكلم ويصف أميرته الجديدة بالبومة كناية عن النحس.

وبالطبع لن تحتاج إلى مزيدٍ من الفطنة لتدركَ مصير الشيخ بلال.. فها أنت ذا ترى مريم وأمها متشحتين بالسواد هائمتين على وجهيهما تطلبان لقاء الشيخ سليمان عبد النور.

كانت هذه أول مرةٍ تلجأ فيها آية إلى مثل الحلول السحرية التي تبدو بعيدةً عن الدين.. ولكن جارتها التي تقرأ لها الفنجان- على سبيل التسلية - أكدّت أن الشيخ عبد النور له كرامات لا يُنكرها إلا جاحدٌ، وحكت لها عن الكثير من الحوادث التي تُظهر قدراتِه على حلِّ مشاكل البشر.. فاطمأنت آية، وخاصة حين علمت أنه لا يطلب مبلغًا محددًا من المال.. بل يترك كل شخصٍ يدفع ما يقدر على الإتيان به بكامل إرادته وعن طيب خاطر.

حجزت لها موعدًا لمقابلة الشيخ سليمان في صومعته الموجودة في كفر يُدعى "المعبد" يبعد عن القاهرة حوالي ربع الساعة، وأخبرتها ألا تطيل عليه في كلامها، وأن تكون مباشِرةً في حكاية مشكلتها وإملاء طلباتها عليه.. فالمكان دائمًا مزدحمٌ بالسائلين، واليوم الذي ستذهب فيه سيكون يومًا مشهودًا في تاريخ تلك القرية.

انبهرت الأم وابنتها من حفاوة استقبال الشيخ لهما.. فقد جعل ولده الصغير طه ينتظرهما عند موقف السيارات.. ليُرشدهما إلى الصومعة.. سارا قليلًا برفقة الغلام في طريقٍ متربٍ كثير العقبات، ونفّذت آية تعليمات ابنتها بعدم الحديث عن أي تفاصيل شخصية إلا في حضرة سليمان نفسه.. فقد سمعت مريم أن الدجالين يزرعون أعوانًا لهم خارج الصومعة ليُمثلوا دور المريدين.. فيتكلمون مع الزائرين ويعرفون عنهم معلوماتٍ شخصيةً.. وقبل دخول الزوَّار الحقيقيين يكون الدجَّال قد عرف كل ما يريد عنهم من أعوانه ليُبهرهم، ومن ثم يُجبرهم على تصديقه.

أدركتا أنهما قد اقتربتا من الصومعة حين زاد عدد الناس، وحين سماعهما لهتافٍ آتٍ من بعيدٍ يُردد عبارةً واحدةً: "مدد يا شيخ عبد النور مدد".

كان يبدو على طه الفخر من سماع اسم عائلته يتردد على جميع الألسن بمنتهى الهيبة.. ولكن بدا عليه فجأة كأنه نسى أمرًا مهمًّا، وقال لهما بفزع:

- ما شوفتوش موبايلي وإحنا ماشيين؟

ردت عليه آية مستنكرة:

- هانشوفه إزاي يعني؟

قال طه وقد أوشكت الدموعُ على أن تخرج من عينيه:

- قصدي ما شوفتوش حاجة وقعت مني.. ده كان جديد، واتحايلت على أبويا سنة عشان يجيبهولي، وممكن يموِّتني لو عرف إنه ضاع.

بدا على وجه آية الحزن على حال الصبي، حزن تصارع مع الرغبة في الوصول إلى الصومعة لحل مشكلة ابنتها في أسرع وقت.. فانتصرت الرغبةُ على الحزن حين تمتمت له بكلماتٍ معناها أنها ستخبر والده ألا يضربه وأنها كانت السبب حين جعلت طه يسير مسرعًا حتى فقد هاتفه.

وعلى عكس أمها.. فكرت مريم بعمليةٍ فأخرجت هاتفها وسألته عن رقمه فطلبته.. فإذا بها تسمع رنين جرس دون رد.

حاولت مرةً أخرى ولكن الهاتف كان قد أُغلق.. فأخبرته أنه بالتأكيد قد سُرق، وأن من وجده قد أغلقه وتخلص من شريحة الهاتف.. كان طه على وشك البكاء ولكن الدموع ظلت حبيسة عينيه.. فقالت له مريم بلهجةٍ خبيثةٍ إن والده شيخٌ كبيرٌ يعرف كل شيء، وبالتأكيد سيعرف مكان الهاتف وسارقه.

شعرت مريم بحركةٍ غير طبيعية في الكفر.. كانت قد علمت فيما سبق أن أهل هذا الكفر يؤمنون أشد الإيمان بالحظ.. وقد مكثوا لفترةٍ طويلةٍ مبتعدين عن عملهم في الزراعة.. عاكفين على التنقيب عن الآثار تحت أراضيهم اعتقادًا منهم في وجود آثار فرعونية.. حتى أسمتهم الكفور المجاورةُ بكفر المعبد.. ولكن الحركة هذا اليوم كانت مختلفةً.

أخبرها طه أن الشيخ عبد النور سيستقبلهما حين يأتي دورهما، ولكن يجب أن يسرعا في طلباتهما لأنه ينتظر وصول زائرٍ مهم.. انتظرتا مدةً قاربت الثلاث ساعات سمعتا فيها الكثير والكثير من كرامات ومعجزات الشيخ سليمان عبد النور.

"مريم يا غرس خير كرم من أسرة كلها كرام

ويا فتاة حكت مهاة بكل حسن لها اتسام

جمالها في الظلام نور وفي محيا الدنى ابتسام

لو الغرام اصطفى مثالا لما اصطفى غيرك الغرام"

هكذا افتتح سليمان حديثه معهما، لم تفهم آية حرفًا مما قيل.. عكس مريم التي قالت له بشيء من التعجب:

- أنت بتقرا لجبران خليل جبران؟

قال لها بهدوءٍ كأن لم يسمعها:

- تعالي يا مريم أنتي وأمك سلموا على ابني الشيخ نجيب.

لم يُفاجئها فقط في أنه قد علم اسمها، بل فاجأها بمنظر صومعته من الداخل.. فقد كانت مجرد غرفةٍ بأثاثٍ عادي، بل أقل من العادي.. توجد في أحد جوانبها مكتبةٌ عملاقةٌ تحتوي على الكثير من كتب

السحر وأكثر من نسخةٍ من المصاحف توجد بينها نسختان مذهبتان.. كما لاحظت وجود كتابٍ مكتوبٍ على غِلافه: توارة العهد القديم.

ولفتت نظرها كتبٌ أخرى يبدو عليها القدم، وتفوح منها رائحةُ الأصالة وقوامها من الورق القديم المهترئ.. ولكن وقعت عينها على كتابٍ لطالما سمعت وقرأت عنه: شمس المعارف الذهبية.

وكأن الشيخ عبد النور يقرأ أفكارها فقال لها وهو يضحك:

- أكيد سمعتي عنه بلاوي.. على فكرة ده النسخة الأصلية من أصل خمس نسخ موجودين في العالم كله.. هو مش مؤذي زي ما بيتقال عنه بس محتاج إيمان قوي وعزيمة جامدة.. والكتاب اللي جنبه ده "مخطوطات الأنبا شمعون الإسرائيلي".. دي النسخة الوحيدة الأصلية في مصر.

سرحت مريم في الخط الكوفي المكتوب به عنوان الكتاب، وقالت:

- عرفت اسمي إزاي؟

ضحك سليمان ضحكةً وقورةً خافتةً ثم غيَّر ملامح وجهه على الفور واتسعت عيناه بطريقةٍ مفاجئةٍ وصاح فيهما بصوتٍ أجش كأنه خارج من حنجرةٍ أخرى قائلًا:

- مش قولتلك تيجي تسلمي على ابني الشيخ نجيب؟!

لم تستطع مريم سوى أن تجرَّ أمها من يدها عجلًا لكي تصافحا الشاب الذي كان واقفًا خلف كرسي أبيه الكبير.. كان نجيب مفتول العضلات، صاحب لحيةٍ خفيفةٍ، حلو الملامح، خاصة بعد أن أكسبته الشمس سمرةً لامعةً.. كان عكس أخيه طه الذي كان قصيرًا، كما كان حقير المظهر تزدريه العينث لاتساخ ملابسه وهيئته.

أما عن الشيخ سليمان عبد النور فقد كان رجلًا في منتصف الأربعين من عمره.. على قدرٍ طفيفٍ من السمرة التي أورثها لأولاده، تُزين وجهه لحيةٌ متوسطةُ الطول مهندمة بنية اللون كأنها مصبوغة بالحنة.. كان يرتدي جلبابًا نوبيًّا فضفاضًا يكشف عن جسدٍ متوسط الشحم وكرش خفيف.. كان الجلباب مفتوحًا حتى منتصف صدره كاشفًا عن صدرٍ مشدودٍ ذي شعر خفيف.. كان مصدر قوته وحضوره يكمن في عينيه.. إذا ضيقهما وابتسم بسماحة ارتاح الزائر.. وإذا جحظت عيناه واخشوشنت نبرةُ صوته ارتعب كل من حوله.. حتى ولده نجيب كان يرتجف أحيانًا، وهو الذي يعرفُ كل أسرار أبيه تمهيدًا لوراثة مهنة العائلة.

لم تعلم مريم من أين تأتيها رائحةُ بخور نفّاذة على الرغم من عدم وجود مبخرةٍ واحدةٍ في المكان.. ولكن كانت الرائحةُ زكيةً وطيبةً لدرجةٍ جعلتها تشعرُ بالجوع وتعيش في مزاجٍ حسنٍ أنساها وجعها بصورةٍ مؤقتةٍ.. وانتظرت آية أن يتحدث الشيخ فلم يفعل.. فقالت على سبيل فتح باب الحوار، وكسر الحاجز الجليدي في الجلسة:

- بس مش شايفين جو الشيوخ بتوع التلفزيون يا مولانا ليه؟

- ما تصدقوش أي حاجة بتسمعوها.. كل اللي بيعملوا كده بيكونوا دجّالين.. واللي منهم بيشتغل بجد بيكون كفر بربه..

ثم داعب مسبحته بأنامله، وأردف قائلًا:

- عارفة الساحر اللي بيشتغل بالسحر الأسود ده عامل زي اللي اتوضى وفرش سجادة الصلاة في الحمَّام والعياذ بالله!

فزعت آية من التشبيه واستعاذت كثيرًا، وقالت:

- أنت عرفت اسم بنتي.. يا ترى عرفت مشكلتها؟

قال سليمان ببشاشةٍ:

- بنتك ما عندهاش أي مشاكل.. ولو على موضوع العرسان اللي بتموت.. فده ابتلاء وامتحان من ربنا.. ربك خلق مريم حلوة بس خلق مع حلاوتها لعنة.

قالت مريم بلهجةٍ ساخرةٍ:

- طبعًا هاتقول لي كلام عن الجاثوم اللي عينه مني، وإنه بييجي يعاشرني بالليل وعايز يخليني جنية زيه عشان كده بيقتل أي حد يفكر بس إنه يتجوزني صح؟

ضحك سليمان كثيرًا حتى دمعت عيناه وقال:

- الله يخرب بيت الأفلام.. بس إنتي فعلًا راكبك جاثوم.. بس من الإنس.

- مش فاهمة!

- تعرفي إيه عن واحد اسمه أحمد كمال وشهرته "كمال هاند"؟

سألته آية قائلةً:

- مين ده يا مولانا؟

فقالت مريم دون أن تنظر إلى والدتها:

- ده زميلي في الكلية، ساكن بعدينا بشارعين وحاول يوصلني بعربيته كذا مرة.. شغَّال جنب الدراسة في السينما بيعمل مطاردات ومعارك عشان بيعرف يعمل حركات بالعربية.

قالت آية بشيءٍ من التعجب:

- وأنت عرفته إزاي ده يا مولانا؟

ندمتْ كثيرًا على جملتها الأخيرة بعد أن نظر إليها سليمان نظرةً جعلتها تشعر بحرارةٍ شديدةٍ تلفح وجهها.. حرارة لم تشعر بها في أشد الأيام حرًّا.

ولكنه قال موجهًا حديثه إلى مريم دون أن يُعلِّق على ما قالت أمها:

- الواد ده هو لعنتك يا مريم.. هو اللي قتل عرسانك وهيفضل يقتلهم لحد ما تبوري ومتلاقيش غيره.. مش هاتعرفي تبلغي عنه عشان ما فيش دليل..

ثم أردف محذرًا:

- ولو البوليس سألك وقولتيلهم عليا مش هايصدقوكي، ولو صدقوكي وعرفوا طريق الصومعة مش هاعتقك وأظن إنتي عرفتي دلوقتي أنا أقدر أعمل إيه.

قالت له مريم وهي تومئ رأسها علامةً على الفهم:

- طب تقترح عليا أعمل إيه؟

- أكيد مش هاقولك اقتليه.. بس تقدري تهربي شوية عند خالتك اللي عايشة في مطروح.. عارف إن ظروفك صعبة بس إنتي في رقبة إزازة لازم تضغطي نفسك لحد ما تصغري وتقدري تعدي منها..

اعتبريها إجازةً مفتوحةً ووعد مني هتلاقي نصيبك مستنيكي هناك.

قالت مريم متسائلة:

- هاتفرق في إيه يعني؟.. ما نصيبي ده هايموت زيه زي اللي قبله .

قال الشيخ سليمان:

أحمد كمال هايدوّر عليكي كتير.. بس مش هايوصل لك غير بعد ما تكوني اتجوزتي من سعيد الحظ اللي عايش في بلد خالتك.. ساعتها يا إما يرضى بعدل ربنا يا إما تجيلي وأنا أخليه يرضى غصب عنه.

قالت آية وهي في غاية الحزن:

- منه لله ابن الكلاب.. ضيّع مستقبل بنتي.

قال لها سليمان مبتسمًا ابتسامةً خفيفةً:

- بنتك مستقبلها لسه في إيدها.. النجس ده قتل تلاتة من غير ذنب.. أول واحد كانت بنتك عاشقاه بقلبها، والتاني عشقته بعقلها، والتالت عشقته بروحها.. سيبيه لربه وهو هياخد لكم بالتار بحكمته وعدله.

خلعت آية الأساور الذهبية التي تزين ذراعها وألقتها في حجره، وهمّت أن تقبل يده.. ولكنه أعاد إليها حليتها وأبعدها عنه زاجرًا إياها وقال:

- اتفضلوا بقى وقتكوا خلص.. النهاردة يوم استثنائي بالنسبة لي ومش هاخد منكم مليم.. تكفيني دعوة حلوة.. وتعرَّفوا الناس إني حليت ليكم المشكلة.. ومش لازم تفاصيلها طبعًا.

قالت له آية:

- ربنا يفتح كل الطرق في وشك.. وديني لأولع لك شمع عند كل الأوليا قبل ما أسافر.

قال لها:

- وفَّري فلوس الشمع لجهاز بنتك بإذن الله..

ثم نظر إلى مريم قائلًا:

- هاستنى دعوة الفرح يا ست البنات.

خرجت آية وهي تزغرد وتدعو للشيخ عبد النور، أما مريم فكانت تفكر: لماذا يفعل أحمد كمال هذا؟ هل صحيح أنه من الحب ما قتل، و كيف عرف سليمان عبد النور كل هذه المعلومات؟!

أخبرت آية جميع المنتظرين خارج الصومعة عما حدث وهي في قمة تعجبها وسعادتها.. فلم يبدُ على أحدهم الدهشة، وأخبروها أن الشيخ سليمان قد فعل ما هو أكثر من هذا.. كما حدثوها عن سبب تجمعهم عند الصومعة هذا اليوم بالذات..

فمنذ فترةٍ حدثت مشاجرةٌ عنيفةٌ بين الشيخ سليمان عبد النور وإمام مسجد الكفر: عبد السلام داوود.. الذي يعمل مقرئًا في إذاعة القرآن الكريم، والذي يتلو القرآن في المناسبات المختلفة في كفر المعبد والبلدان المجاورة .

بدأ الشجار حين قاد الشيخ عبد السلام حربًا ضد ما أسماه دجلًا، والذي يُمارسه سليمان.. وقال إنه مجرد نصَّاب يستنزف أموال المحتاجين مستغلًا ظروفهم.. في بداية الأمر حاربه الناس ودافعوا عن سليمان لأنه لا يطلب منهم مبلغًا بعينه بل يترك الأمر لتقدير السائل حتى وإن لم يعطِه أي مقابل.

وفي أحد أيام الجمعة أعلن الشيخ سليمان عبد النور بعد انقضاء صلاة الجمعة أنه يتحدى الشيخ عبد السلام.. وأنه سيُظهر كرامة تجعله يعتزل تلاوة القرآن.. وأنه منذ تلك اللحظة لن يتذكر الشيخ عبد السلام معظم الآيات التي يتلوها وسط الناس.. وأنه سيتذكرها فقط حينما يكون وحيدًا لتزداد حسرته حسراتٍ.

قبِل عبد السلام داوود التحدي مرحبًا ساخرًا من خَصْمه الدجَّال.. ولم يتذكر أمر تلك اللعنة التي لعنه بها سليمان إلى أن جاءت أول مناسبة عزاء.. فقد توفي شيخ البلد في الكفر وكان عزاؤه مَهيبًا

مُكلفًا تمت إقامته على نفقة عُمدة الكفر.. وقد أحضروا الشيخ عبد السلام كواحدٍ من ضمن مجموعةٍ من المقرئين المشهورين محليًّا في محافظات الوجه البحري..

بدأ الشيخ ببسملته الرائعة وسط الكثير من "الله" التي تصدر من المعجبين الذين يتابعونه ويسيرون خلفه من مناسبةٍ إلى الأخرى.. والذين كان يؤجرهم في الماضي ليحققوا له شهرةً جعلته فيما بعد يتخلى عن دفع المال لهم.. فقد صار له محبون ومريدون حقيقيون.

وبعد البسملة قال : "الحمد لله.."

توقَّع حافظو القرآن في العزاء تلاوته لسورة من أصل أربعة احتمالات لسورٍ تبدأ بالحمد: إما سورة الأنعام، أو الكهف، أو سبأ، أو فاطر.. واستبعدوا الفاتحة لأنها تُقرأ عادةً في ختام التلاوة.

ولكن عبد السلام خيَّب كل توقعاتهم.. فلم ينطق بحرفٍ واحدٍ بعد "الحمد لله" التي افتتح بها.. ظل عاجزًا كالطفل الذي يتعلم الكلام.. حتى خرج من الموقف وهو يُحاول أن يُحافظ على القطرات القليلة المتبقية من ماء وجهه.. فكَّر في قراءة سورة الكهف التي يحفظها بحكم قراءته لهذه السورة كل جمعة.. ولكنه خاف أن يرتبك عند قراءتها فقرأ الفاتحة وبعضًا من السور الصغيرة المحفوظة عن ظهر قلب، وختم التلاوة بدعاء تلعثم فيه أيضًا ولم يتذكر نصفه وخرج من السرادق عجلًا وسط استهجان الحضور، ودهشة مريديه، وعدم اكتراث من أهل الميت.

تكررت تلك الحادثةُ خمس مرات في خمسة أماكن مختلفة.. حتى انقطع رزقه ولم يعُد هناك من يطلبه في أي مناسبةٍ من أجل التلاوة، حتى من يطلبه يشترط عليه أن يأتي بمصحف ليقرأ منه.. الأمر الذي يُعتبر علامةً على الانتقاص من قدرته وسط المقرئين.. ولكنه وافق في النهاية خاصة بعد أن قلَّ أجره إلى نصف ما كان يتقاضاه في السابق تحت مسمى "وهبة القراءة".

انتهى به الأمرُ إلى الإعلان عن أنه سيقابل الشيخ سليمان ليطلب العفو والسماح.. وليقضِ الله أمرًا كان مفعولًا..

لم يُكذب سليمان خبرًا وأعلن أن الشيخ عبد السلام سيخرج من صومعته على خير حالٍ.. وأنه سيجعله يتلو القرآن بعدها على مرأى ومسمع من الجميع دون خطأ واحدٍ.

دخل الشيخ عبد السلام وظلَّ مع سليمان فترةً طويلةً وسط قلقٍ من الجالسين خارجها.. خاصة بعد خروج نجيب من الصومعة فور حضور عبد السلام بناءً على أمرٍ من والده عكس المعتاد..

وبعد نحو ساعة ونصف الساعة خرج الشيخ عبد السلام ووجهه غارق في مسحوق أبيض اللون، وكذا كانت ملابسه.. كأنه كان رغيفًا من الخبز البلدي الذي استحم في بحرٍ من الدقيق الأبيض تمهيدًا لتسويته.

فزع أهل القرية من مظهره.. حتى ظهر وراءه الشيخ سليمان فنظر إليه مُشفقًا وربَّت على كتفه بحنانٍ أبوي وداعب شعره كأنه طفلٌ لم يخط الشنب في وجهه.. وقال له بصوته الجَهْوَرِيِّ:

- يلا يا شيخ داوود.. الناس وحشهم صوتك.

وبحركةٍ آليةٍ بسط عبد السلام كف يده اليُمنى على وجنته علامةً على الدخول في مِزاج التلاوة.. وقال بصوته المليح:

- الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ

وظل يتلو حتى ختم سورة سبأ وسط انبهار الجميع، وقد راودهم شعورٌ غريبٌ.. فصوتُ الشيخ عبد السلام قد أعجبهم، ولكن كان سليمان هو من يحصد الإعجاب.. حتى من المسيحيين المتواجدين ليشهدوا هذا الحديث.

كانت الخيلاء تغتال ملامح سليمان عبد النور حين أوشك الحضور على العودة إلى بيوتهم بعد هذا اليوم الطويل الشاق، وقد وجدوا موضوعًا يصلح لمناقشته في مجالسهم لمدة شهرين.

فوجئ الجميع بإحدى نساء الكفر تأتي ركضًا نحو الشيخ سليمان حتى وصلت إليه فركعت أمامه، وراحت تترجاه وتُقبل قدميْه وتبكي أشد البكاء وهي تقول كلامًا متقطعًا غير مفهوم مغزاه.. حاول البعضُ أن يستفهم منها عن سبب انهيارها الشديد ولكنها لم تستطع إعطاء أحدهم جملة مفيدة.. فقال سليمان وهو يهز رأسه بحكمة:

- الأخت سماح بتاعت الطعمية جاية تقول لي إن موسى ابنها مختفي ومش لاقياه..

ثم نظر إليها وقد جحظت عيناه كالعادة لدرجة أنهما اخترقتا عينيها وقال:

- انطقي يا سماح.. أنا فكيت عقدة لسانك خلاص!

فقالت وهي تتلعثم وتجاهد في تجميع الحروف:

- أبوس رجليك يا مولانا تغيتني.. أنا كنت باقطّع البطاطس وباجهّز عجينة الطعمية زي كل يوم.. الواد قال لي هروح ألعب مع العيال عند دار مولانا عبد النور وأشوفه هايعمل إيه مع الشيخ داوود.. سيبته يروح ويا ريتني ما سيبته.. العيال بيقولوا إنه ما راحش ليهم أصلًا.

قال سليمان بلهجة الزعيم التي اكتسبها مستحقًا إياها بعد كل أحداث اليوم.. والتي ستجعل له سلطةً تفوق سلطة العمدة وغيره من الأعيان:

- أنا عارف إن الليلة كانت طويلة عليكوا.. بس موسى ابن سماح ده يتيم، وفي مقام ابننا كلنا ولازم نرجعه..

ثم تحدث بلهجة الآمر الذي لن يقبل أي نقاش فيما يقول:

- شباب الكفر يلفوا على كل عواميد الكهربا يطفّوها.. ما تسيبوش غير العمود اللي قدام الصومعة بتاعتي.. بعد كده هاتقفوا كلكم صفوف كل صف فيه سبع أنفار زي ما تكونوا بتصلوا الجنازة:

الرجالة قدام والنسوان ورا.. وإخواتنا المسيحيين اللي حاضرين هايحاوطوا الصفوف من الجناب وهما ماسكين إيد بعض.. الشيخ عبد السلام هايقف قدامكوا وهايقول سورة "الجن" وإنتوا ترددوا وراه بصوت واطي زي ما تكونوا تعابين بتهمس.

ثم أردف قائلًا:

- بعد كل ده تستنوا لحد ما أطلع من الصومعة وحذاري حد يدخل عليا إنشالله أقعد جوة سنة.. وكل ما السورة تخلص تلاوتها تقولوها تاني.. ركّزوا عشان لو ماعملتوش كده عمركوا ما هتشموا ريحة موسى ابن سماح تاني!.. وهايبقى ذنبه في رقابيكوا.

تم له ما أراد حرفيًّا.. فظلوا يصرددون آيات سورة الجن خلف الشيخ عبد السلام وسط ظلام الكفر.. كانوا يسمعون أصوات صراخ وعويل داخل الصومعة وكلما سمعوا الصوت علت تلاوة عبد السلام في محاولة للتغطية عليه، كما علت معه تلاوة الناس خلفه دون أن يخرجوا عن نبرة الفحيح التي أمرهم بها مولاهم..

وبعد ساعتين كلّفت أهل الكفر ألمًا شديدًا في أقدامهم التي تجمدت من برودة الجو، وأحبالهم الصوتية التي أعادت تلاوة سورة الجن حوالي خمس عشرة مرة.. خرج عليهم سليمان حاملًا الطفل الصغير على كتفه.. فصاح الجميع قائلين: الله أكبر.. مدد يا شيخ عبد النور مدااااد.

نظر إليهم سليمان نظرةً خاويةً.. وقد لاحظوا شحوب وجهه وظهور هالات شديدة السواد تحت عينيه.. كان يحمل موسى فوق كتفه، فربَّت على شعره ثم وضعه على الأرض أمامهم وركع على ركبتيْه أمام الجميع، ثم خرَّ مغشيًا عليه فشهق الجميع وصاحت أم موسى مستغيثة حزنًا على الشيخ واحتضنت ولدها مقبلة وجنتيْه ورأسه ويديه كأنها تحميه مما أصاب عبد النور.. وظهر من وسط الجموع الشيخ نجيب بصوته الخشن الذي ورثه عن أبيه قائلًا:

- ما حدش يلمس الشيخ عبد النور دلوقتي ولا يقرب له.. هو كان معرَّفني إنه هايحصله كده.. الشيخ كان بيحارب أمير من أمراء الجن في وادي عبقر في اليمن.. مكان موبوء كله جن كافر والعياذ بالله.. الشيخ سليمان كان هايموت عشان ابننا موسى ابن سماح اللي اتخطف من الجن.. الجن بيحاربوا مولانا عشان بيفسد أعمالهم وبيحبط كيدهم في الأرض.. بس الشيخ كان هايموت عشان موسى وعيال الكفر ما يتئذوش بلعنة الجن دول!

كل اللي تقدروا تعملوه دلوقتي إنكوا تدعوا له وتيجوا بكرة بعد صلاة الضُهر تطمنوا عليه.

حمل نجيب وطه والديهما معًا إلى داخل الصومعة ثم أجلساه على كرسيه الذي يُشبه عرش الملوك.. وهزَّه نجيب قائلًا:

- خلاص يابا قوم.. بقينا لوحدنا والتمثيلية خلصت!

فقام سليمان سريعًا كأنه لم يبذل أي مجهود، ولا كأنه كان مغشيًّا عليه، وقال:

- فكرك دخلت عليهم؟

- أنت ما سمعتش المدد اللي كانوا بيطلبوه منك؟

قال سليمان بشيءٍ من الغرور:

- اتعلم يا نجيب كويس.. أنت اللي هاتورث المكانة دي.. واسم عبد النور هيفضل يرن في الكفر وفي الكفور اللي حواليه.. السر في الإيمان يا نجيب.. الناس دي لو آمنت بيك هاتصدقك حتى لو قولتلهم بعد كده إنك كنت بتكدب عليهم.. الإيمان هيخلي الناس دي تحميك من بطش الحكومة اللي ياما حطت على أبوك قبل ما يتعلم الدرس ده.

- إيمان إيه يابا إحنا بننصب.. فين الإيمان في اللي إحنا عملناه مع البت اللي اسمها مريم وأمها.

نهره سليمان قائلًا:

- لولا إن الواد هيثم بتاع الكومبيوترات مؤمن بيا.. ما كانش هايشتغل معايا من غير ما يكشف سرنا.

قال طه بفخرٍ طفولي:

- بس شوفت يابا.. دخلت عليهم حركة إن تليفوني ضاع مني وخليتها تتصل عليه من رقمها.

رد عليه نجيب بلهجةٍ تملؤها الغيرة:

- ما تحسسنيش إنك عملت حاجة عدلة.. إنت يا دوب عيطت زي ما بتعمل عشان أبوك يديك فلوس.. الواد هيثم هو اللي جن.. من رقم التليفون جاب الفيسبوك بتاعها وعرف يخترق الحساب اللي عرفنا منه كل حاجة عنها.

فقال له سليمان:

- بعد الإيمان شغلنا بيتقسم لتلت إتلات: التلت الأول تمثيل وإثبات حضور وكاريزما، وده عندي منه كتير وهاعلمه ليك يا نجيب، أو بمعنى أصح هاقولك الحاجات اللي أخرتني عشان تتجنبها..

سأله طه بفضول قائلًا:

- طب والتاني؟

قال سليمان محدثًا نجيب ليثير ضجر طه، ويُشعر نجيب بمكانته التي سيرثها:

- التلت التاني معلومات، يعني لولا رسايلها مع صاحبتها مكناش عرفنا حكايتها كلها ولا اسم أمها ولا مكان خالتها.. وكل ده في كام ساعة بس.

قال له نجيب:

- اللي محيرني بقى: إزاي عرفت موضوع أحمد كمال اللي بيقتل عرسانها ده؟

- ده بقى التلت التالت والمهم واللي ما حدش هايعلمهولك ولازم تحسه لوحدك مع الزمن: التخمين يا نجيب.. اكدب الكدبة وصدقها، امشي وراها حتى لو ما اتصدقتش.. دافع عن كدبتك لحد ما تتصدق أو لحد ما تموت وأنت بتكدبها.

وأرفد قائلًا:

أنا لقيت الواد بيكلمها في الرسايل بطريقة مش تمام.. خليت هيثم يدخل على صفحته من الأوضة اللي بيشتغل فيها جوة البيت.. لقيت الواد غاوي عربيات ومسمي نفسه "هاند"، والتلت عرسان ماتوا في حوادث عربيات.. قولت يبقى هو.

قال له طه سائلًا:

- طب مش يمكن الموضوع كله سوء تفاهم ونكون ظلمنا الواد؟

رد عليه سليمان قائلًا:

- مالناش دعوة بقى.. كده كده هي مش هاتبلغ البوليس.. وكده كده هي مش بتطيقه وعمرها ما كانت هاتتجوزه.. يعني إحنا مأذيناش حد.. غالبًا الموضوع كله قضاء وقدر.. بس هي عمرها ما هاتصدق كده ولا أمها هتصدق ولا الناس هتصدق.. لازم تسمَّعهم اللي هما عايزين يسمعوه.. أدام مرضها مالوش علاج إديها علاج وهمي يمكن تتعالج!

ثم استدار سليمان مخاطبًا نجيب قائلًا:

- بس أنت عجبتني يا نجيب النهاردة.. فعلًا اسم على مسمى.. فكرة إننا نستغل إن الكفر كله ملموم عشان يشوف هاعمل إيه مع الشيخ عبد السلام ونخطف الواد موسى.. فكرة بنت أبالسة.

- مش أنت اللي قولتلنا يا حاج: إن أسهل طريقة لحل مشاكل الناس إننا نكون إحنا اللي عاملين المشكلة..

أنا عرفت من طه إن موسى لعبي وجمَّعت معلومات زي ما علمتني.. عرفت بيمشي منين من بيته لحد صحابه وإمتى بيكون لوحده.. خلعت من وسط الناس وهما مشغولين مع الشيخ عبد السلام وخبطته على دماغه وغميت عنيه وخفيته في عبايتي ودخلت من الباب الوراني للصومعة لحد ما خلصت أنت مع الشيخ عبد السلام.

وقف سليمان أمام ولديه.. ثم نظر إليهما وأمسك كتفيهما قائلًا:

- طب مين شاطر فيكوا هيقول لي أنا إزاي عرفت أذل الشيخ عبد السلام وأجيبه الأرض؟

بدت الحيرة على وجهيهما.. ولكن نجيب بذكائه ودبلوماسيته المعهودة قال:

- ما نقدرش نوصل لعبقريتك يا حاج .. قول لنا يمكن نتعلم منك حاجة!

أما طه فقال:

- أنا عارف أنت إزاي رديت له الذاكرة.. شوفتك إمبارح وأنت بتحضر مشروب أصفر ريحته غريبة.. ولما الشيخ عبد السلام خرج من الصومعة كانت ريحة نَفَسُه هي نفس ريحة المشروب ده.

قال سليمان وقبضته تزداد إحكامًا على كتفيهما:

- زي ما قولت لكوا المعلومات.. اللي عرفته من نجيب بعد ما مشي ورا الشيخ عبد السلام إنه عنده غية ياكل ساندويتشين سمين قبل أي تلاوة في المناسبات من عند ربيع الحاتي..

والإيمان اللي خليت بيه ربيع يشتغل معايا زيه زي هيثم.. وإديته خلطة من أدوية بتضعف الذاكرة وبتضيَّع التركيز يحطهاله في الأكل كل مرة.

ولما عبد السلام جالي الصومعة زاحف زي الكلب الأجرب شرَّبته الخلطة اللي طه شافها.. خلطة مغربي من أدوية وأعشاب بترجع الذاكرة وبتزود التركيز.. بتتباع بفلوس كتير للطلبة الخلايجة اللي عندهم امتحانات.. الخلطة دي ما يعرفهاش غير عطار واحد في مصر كلها بس عشان هو حبيبي وياما خدمته بعت لي الوصفة من غير فلوس.

قال له نجيب:

- طب وحركة الدقيق اللي غرقته فيه كان إيه لزمتها؟

- زيها زي المكياج اللي حطيته عشان أبان هفتان وتحت عيني سواد.. رشة توابل على الأكل كده لزوم حبكة الشغل على الناس..

قال طه وقد بدا على وجهه عدم الفهم:

- طب يابا أنا عندي سؤال محيرني..

كاد أن يأذن له سليمان بالسؤال ولكن قاطعه صوت خبط قوي على الباب.. فتح سليمان وهو يردد دعاءً بالستر.. وجد شخصين تبدو عليهما هيبة ضباط الشرطة ولكنهما كانا يرتديان ملابس مدنية.. تحدَّث أحدهما قائلًا:

- أحمد سليمان السيد عبد النور.. مطلوب القبض عليك بتهمة قتل فؤاد الغرباوي!

8 - مشهوران

جلس أكمل خلف مائدةٍ واقعةٍ في نهاية أحد المطاعم الإيطالية الغالية والخالية في معظم الأوقات.. كان يُحرك قدميْه إلى أعلى وأسفل كأن التوتر يلتهم أعصابه، ثم نظر في ساعة يده للمرة الثالثة على التوالي خلال خمس دقائق.. لم يعتد الانتظار بهذه الصورة.. فدائمًا ما يحضر مواعيده متأخرًا كنجوم الحفلات.. رنَّ هاتفه فأسرع بالنظر إليه لمعرفة المتصل.. ولكنها كانت زوجته يمنى فضغط الزر الأحمر - كالعادة - ليُنهي اتصالها..

لم يعرف تحديدًا متى حدث هذا الكسر في علاقته بها.. بيد أنه بدأ شرخًا صغيرًا ثم راح يتسع ويتسع حتى صار تصدعًا له صوت لم ينكره أحدهما.. فذاك شرخ يوم نعتها بالناشز، وذلك شرخ يوم خرجت مع صديقاتها أثناء سفره في إحدى المأموريات دون إذنه، وهذا شرخ يوم ضبطت بعض رسائل الغرام على هاتفه المحمول.. وشروخ أخرى طفيفة: كالخلاف على مستقبل الأبناء التعليمي، واكتشافه ادخارها جزءًا من مصروف البيت، لم تكن مثل هذه الشروخ ذات تأثيرٍ كبيرٍ ولكنها قصمت ظهر بعير زيجتهما.

الشيء الوحيد الذي اتفقا عليه هو عدم إظهار خلافهما أمام الجميع.. فلا يرى الناسُ إلا أن كليهما يتكلم عن الآخر بمنتهى الحب.. فإذا انصرفوا طار الحب ككحول سريع البخْر.. لم يكونا كاذبيْن في الحديث عن حبهما، فعلى الرغم من البُعد الفاصل بينهما لا يزال يحتفظ كلاهما برصيدٍ من الحب والتقدير للآخر.. يمكنك تشبيه علاقتهما بأخين تصارعا على الميراث ولن يُدرك أحدهما حبه للآخر إلا حين يموت مذكرًا إياه أن الحياة زائلة، وأنها أقصر من أن تكون ميدانًا للصراع والتناطح الثيراني.

نظر شاردًا نحو باب المطعم فلمح الشخصَ الذي كان ينتظر وصوله من خلال زِجاج واجهة المطعم.. كان هذا الشخص يسير بسرعةٍ نحو مائدة أكمل مرتديًا نظاراتٍ شمسيةً تحجب جزءًا كبيرًا من وجهه ذي السمرة الخفيفة، وتخفي الكثير من ملامحه الجميلة والمقسمة بعناية.. قام أكمل ومدَّ يده ليصافح هذا الشخص.. وقال له بلهجةٍ عمليةٍ:

- إيه المواعيد دي يا مي؟

ثم أشار إلى النادل ليطلب الطعام لها ولنفسه.. وطلب منه أن يُسرع في إحضار ما طلب.

قالت مي وهي تخلعُ النظارة وتجلس واضعةً حقيبة يدها فوق المائدة:

- معلش يا أكمل.. أنا طلع عيني عشان أهرب من الناس اللي جاية تعزي.. صحيح فؤاد متوفي من أربعة أيام بس الناس لسه بتيجي.. ده غير أخته الست نشوى.. عمالة تلقح عليا بكلام مالوش لزمة، وكمان..

قاطعها أكمل قائلًا:

- وحشتيني.

- مش وقته يا أكمل.. قول لي هاتحقق معايا إزاي وهتسألني في إيه؟

تحول أكمل مائة وثمانين درجة إلى شخصٍ آخر فور ذكرها التحقيقات، وقال بإيجاز:

- لحد دلوقتي سلمى حجازي شكلها هي اللي قتلته، ومن بعد اعتراف غريب القط إنها إديت له مادة يحطها في البـُن بتاع فؤاد هي ساكتة وما بتردش على أي اتهامات.. أنا اتحفظت عليها وأجلت التحقيق لحد النهاردة بحجة انتظار تقرير الطب الشرعي اللي هاستلمه من النيابة، بس الحقيقة إني عملت كده عشان كنت بافكر هاعمل إيه معاكي..

- وهو التقرير ده هاييجي إمتى؟

- هو في العادي بعد الإجراءات والروتين بيقعد أسبوع أو أكتر.. بس إخواتنا في وزارة العدل عارفين إن الموضوع مش مستحمل أي برود أو بيروقراطية.. بعتوا البُن والسكر وأزايز المية لبتوع الصحة عشان يعملوا كشف سموم.. وهايحللوا باقي البصمات والآثار اللي كانت في المكان.. وهاروح أقول أقوالي قدام النيابة وأستلم التقرير النهاردة العصر قبل ما أروح المديرية.

- طب هاتعمل إيه معايا.. هاتخلّي محمود ابن خالتك هو اللي يحقق معايا؟

- لأ.. محمود ذكي وممكن ياخد باله من حاجة.. هاخلّي مدحت يحقق معاكي بكرة، هو جزء من فريق البحث الجنائي اللي شكلناه وخلينا مقره في المديرية.. مدحت ده زي ما تقولي كده تفكيره تفكير موظفين مش هايضغط عليكي في الأسئلة، وممكن أقولك هايسألك في إيه دلوقتي بس عايز ردود أفعالك تكون طبيعية.. وكده كده أنتي ما عملتيش حاجة غلط.. صح ولا إيه؟

ارتشفت رشفة كبيرة من كوب الماء أمامها وصمتت قليلًا، ثم قالت:

- أوعى تكون بتشك فيا!

أمسك كلتا يديه وضمهما في كفوفه، وقال:

- ما أقدرش أشك فيكي.. بتأكد بس إن ما عندكيش حاجة تخبيها غير علاقتنا.

- ربنا يستر.. أنا بالعافية مثلت إني مش عارفاك في المعرض.. كويس إنك بعت لي رسالة قبل ما أوصل وفهمتني اللي حصل.

- ما كانش فيه حل تاني.. أولًا ما كانش ينفع أقول إني عارف فؤاد وأستشعر الحرج عشان التحقيق ده مهم جدًّا بالنسبة لي وممكن يكون سبب في ترقية كبيرة لو عرفت أسوق نجاحي ده إعلاميًّا.. ثانيًا ممكن جدًّا يحطونا إحنا الاتنين في خانة المتهمين ومش بعيد يلبسولنا الليلة كلها.. ثالثًا وده الأهم لو أعلننا إننا بنحب بعض وهانرتبط دلوقتي لا أهل يُمنى ولا أهل جوزك هايسيبونا في حالنا.

- إحنا مش محتاجين حاجة من حد.. أوعى تكون مصدق زيهم إني اتجوزت فؤاد عشان فلوسه!

قاطع حديثهما النادل وهو يضع الأطباق ويتمنى لهما وجبة شهية بابتسامته السمجة التي اعتادها أكمل ومي.. قابله أكمل بابتسامة أكثر سماجة حتى ابتعد عنهما وأردف موجهًا حديثه إلى مي:

- أنا لو شايفك كده ما كنتش حبيتك، وما كنتش صبرت لحد ما تطلّقي من فؤاد.. وما كنتش عذرتك لما طلبتي تأجلي الطلاق عشان ظروفه الأخيرة.. بعدين أنا عارف كويس إنتي مين وبنت مين وإنك أغنى مني أصلًا.

سألته مي وهي تقلب محتويات طبقها دون أن تأكل منه:

- إحنا مش هنتقابل قريب.. صح؟

- مش أقل من ست سبع شهور من لحظة الحكم على القاتل.. أكون أنا ظبطت إجراءات طلاقي من يُمنى وقولت لأحمد ومنة على كل حاجة عشان ما يتعقدوش ويكرهوني.. وبالمرة تكوني أنتي وفقتي علاقتك مع أهل جوزك..

حين بدا الضيق على وجه مي حين ذكَّرها بأهل زوجها، فقال لها محذرًا:

- ما تعمليش معاهم أي مشاكل!

أومأت برأسها إيجابًا، وقالت:

- هانتكلم من الخط اللي أنت جبتهولي؟

- آه.. ومش في أي وقت.. في الطوارئ بس يا مي.. بس مش عايزة تقولي ليا حاجة؟

- حاجة زي إيه؟

- زي إن فؤاد كان كاتب ليكي كل أملاكه قبل ما يموت؟

***

في هذه الأثناء كان محمود يُنفذ تعليمات ابن خالته، ورئيس فريق البحث الجنائي في قضية مقتل الكاتب فؤاد الغرباوي.. فكان يأخذ حصته من الأشخاص الذين سيتم التحقيق معهم.. وراعى في اختياراته طلب أكمل بالابتعاد عن الأجانب لأنهم يحتاجون شخصًا دبلوماسيًّا على قدرس كبيرس من برودة الأعصاب وسلّمهم إلى زميلهما المقدم مدحت لإلهائه.

قرر أكمل تأجيل حديثه مع معظم المشتبه فيهم ليوم استلامه تقرير الطب الشرعي.. على أن يتم التحقيق في أول يوم للتحقيقات، مع الشباب الأربعة الذين كانوا يتجادلون في المعرض بمنتهى

الدقة.. لذلك فقد قسّمهم بينه وبين محمود الأنصاري.. فكان مالك سعد الدين وجلال عبد الراضي من نصيب محمود، أما عن آدم يكنْ ويارا تميم فكانا من نصيب أكمل.

ولكي ينقل قابسًا من خبرته إلى ابن خالته.. اتفق أكمل معه على أن يحققا مع سلمى حجازي معًا، ولكنهما سيفعلان هذا بعد ظهور تقرير الطب الشرعي ليكون معهما دليل إدانة قوي.

"دخـّل لي اللي اسمه جلال ده.. واتصل بأكمل باشا من تليفون المديرية استعجله.. قوله ينجز مع النيابة عشان يارا وآدم بقالهم نص ساعة هنا، ده غير البلوة اللي اسمها سلمى دي.. وكده الشغل هايكركب"..

هكذا أمر محمود العسكري الريفي الواقف على باب مكتبه، والذي لا يلبي أوامر أحد سواه.. وإذا تكلم مع شخصٍ مدني قال له: "أنا ما ليش دعوة.. أنا عبد المأمور"..

الجملة التي طالما أعمل عقله فيها بفطرته القروية البسيطة فلم يفهم معناها ومع الوقت سئم من أن يفهمها.. فما معنى أن يكون عبدًا لمأمور الشرطة، أو لأي شخصٍ آخر غير خالقه؟

وما معنى "المأمور" من الأساس.. يتذكر أنه سمع مدرس اللغة العربية يقول ذات مرة إن المأمور في اللغة العربية هو اسم المفعول الواقع عليه فعل الأمر، وأن الفاعل منها "آمر".. فكيف يكون عبدًا لشخصٍ مأمور؟!

دخل جلال على محمود هادئـًا عكس المتوقع، يحمل سبحة بيضاء في يده اليمنى، ويتمتم ببعض الكلمات التي استبعد محمود أن تكون تسبيحًا من الأساس.. جلس فاردًا ظهره على المقعد الجلدي المقابل لمحمود الذي نظر إلى ملامحه السمراء محاولًا قراءته بغرض الوصول إلى نقطة ضعف تُعينه على فك شفرات هذا الكاتب.. لم يستطع التفكير في استراتيجية معينة للهجوم.. فقرر الارتجال قائلًا:

- إنت مصدق موضوع إن كل الظباط جايبين 50% في الثانوية العامة؟

رد جلال مازحًا:

- أكيد فيه جايبين 60% يا باشا.

ابتسم محمود ابتسامةً تُنذر بهبوب عاصفة غضبه، وقال:

- أنا جايب فوق التسعين يا جلال.. يعني من صغري اتعودت أذاكر.. وفي التلت أيام اللي فاتوا دول استغليت تأجيل التحقيق لحين جمع الأدلة وذاكرت كل اللي هاحقق معاهم.

- طب تحب أمتحنك فيّا يا باشا؟

- آه.. بس أنا عايز امتحان من بره المنهج اللي قدامي.

- ومكتوب إيه في المنهج اللي قدامك.

قال محمود دون أن ينظر إلى أي ورق أمامه:

- مكتوب إنك درويش وعامل نفسك عايشها بالطول وبالعرض.. وإنك ماشي مع يارا تميم وواخد راحتك على الآخر.. وعارف إنك من خمس سنين بعدت عن تفكيرك الصوفي وكنت مقضيها حريم ومخدرات لحد ما اتجوزت عرفي من موديل اسمها نهلة وخلفت منها عيل رافض تعترف بيه لحد دلوقتي أو حتى تسمع اسمه اللي أنت أصلًا ما تعرفوش.

حاول جلال أن يُداري دهشته وإحراجه، فضحك قائلًا:

- ياه يا باشا على المذاكرة.. ده أنت كان ممكن تخش طب لو كنت قرصت على نفسك أكتر.

- منا قولت أعوض.. وفعلًا قرصت على نفسي في المذاكرة، وعرفت إنك دخلت مصحة لمدة ست شهور عشان الحبوب لحست دماغك وجابتلك حالة بارانويا وكنت فاكر إنك مستهدف وإن فيه ناس عايزة تموتك.. ومتعالجتش فعلًا غير لما الشيخ خطّاب أبوك الروحي خلّاك ترجع تدروش تاني زي الأول وأكتر.

بدا على جلال الحرجُ وفشل في إخفائه مما جعل محمود يشعر بلذة انتصار مؤقتة شجعّته للقضاء على فريسته ليكون طوعَ بنانه حين السؤال عن القضية التي أتى لأجلها.. لذلك قام باستكمال سرد المعلومات التي عرفها عن جلال قائلًا:

- وطبعًا ضرِّيب كبير زيك دخل مصحة غالية عشان يتعالج بجد بس طلع منها ديونه قد كده.. روحت مطلع إشاعة إنك انتحرت عشان تهرب من ديونك.

فقد جلال حياءه بعد أن صار عاريًا بشكلٍ كاملٍ أمام محمود، وقال:

- بس إيه رأيك يا باشا.. عملتها قبل ما البنت عازفة الناي اللي اتشهرت عالنت دي ما تعملها بكذا سنة أهه.. شوفت الريادة؟

- بس إنت كان حظك حلو وبعد الإشاعة بكام ساعة الحياة ردت فيك.. الدار اللي كنت بعت ليها أول رواياتك وافقت على النشر.. صحيح فلوس مش كتير بس أهي ضمان للديَّانة إنك وقفت على رجليك وبقالك شغل ممكن ترد ليهم فلوسهم من خلاله.

قال جلال مبتسمًا:

- والحمد لله يا باشا سددت كل ديوني ودلوقتي شغال في دار "تواصل" وبقى ليا معجبين وشهرة معقولة.. مش مكسور عيني قدام حد يعني.

- أنت فاكرني بقولك كل المعلومات دي عشان أكسر عينك؟

- مش شايف لها سبب تاني حضرتك.

- أنا بقولك كده عشان تنسى جو العابد الزاهد العاشق والمتأمل في ملكوت ربه ده.. وتجاوبني صح من غير أي لف ودوران.

صفق جلال بصوتٍ منخفضٍ ولم يتوقف إلا حين زجره محمود بنظره، فقال:

- عجبتني يا باشا.. وعد مني هاكون صريح معاك.

- وأنا عشان صراحتك دي هاقول لك إني مابحبش صنف الدراويش ده.. باحسكوا على طول بتمثلوا على نفسكوا.. باحب المتشددين عنكوا، على الأقل كده ليهم آراء ثابتة مش كل حاجة عندهم مطاطة.

- ما فيش حاجة في الدنيا دي مش نسبية.. عامة ده رأيك، وأنا واجبي إني أقنعك لو أنت طلبت بس.

أشار محمود إلى الكاتب الجالس إلى جواره ليبدأ في تدوين المحضر وبعد الأسئلة التقليدية كالسؤال عن الاسم والسن ورقم البطاقة.. سأله محمود سؤالًا متوقعًا.. فقال:

- قول لي يا جلال علاقتك إيه بفؤاد الله يرحمه؟

هزَّ جلال كتفيه بحيرة، وقال:

- بحب أقرا له زي ناس كتير.. واتقابلنا كذا مرة في حفلات توقيع مشتركة، طبعًا بيكون وجودي فيها هامشي جنب وجوده.. بس أكتر مرة فاكرها كانت من كام شهر في دار النجاح.

- بس أنت تقريبًا شغال مع دار اسمها..

ثم نظر إلى ورقة من ضمن ورق كثير موجود أمامه ليحصل على اسم الدارن فقاطعه جلال قائلًا:

- ما أنا لسه قايل لك يا باشا: دار تواصل.

- بالظبط كده.. إيه بقى اللي وداك مقر النجاح؟

- كنت رايح أتخانق مع يعقوب حنّا صاحب الدار.

- ليه؟

اقترب جلال من محمود وقال له هامسًا:

- الموضوع مالوش علاقة بالقضية.. ممكن أقول لك بشكل شخصي بس بعد إذنك بلاش تتكتب في المحضر عشان ما تحصلش مشاكل.

بعد تفكير استمر ثانيتين، قال محمود:

- موافق.. قول!

وأشار إلى الكاتب كي لا يدوِّن ما سيقوله جلال.. مما شجع جلال على النطق فقال:

- اتحرش بواحدة اسمها مروة.. كنت بحبها قبل يارا وانفصلت عنها من زمان.. بس هي استنجدت بيا عشان ما تعرفش حد غيري في المجال ده.. كانت رايحة تقدم لوظيفة سكرتيرة.

- كان حب بريء؟

- لأ يا باشا.. أنا عمري ما كنت بريء.

- طب نرجع لتحقيقنا بقى..

- قابلت فؤاد وقتها، وطالع من عند يعقوب متعصب جدًّا.. سلّم عليا ولما شافني هايج زيه هدي وسألني عن سبب زيارتي ليعقوب.. حكيت له كل حاجة ما أعرفش ليه.. طلب مني يقابل مروة عشان كان بيدوَّر على سكرتيرة وحد يرتب له مواعيده..

قال محمود وقد بدا على ملامحه الفهم:

- أنت تقصد مروة غالي سكرتيرة فؤاد اللي كانت في المعرض؟

- هي دي يا باشا.. غلبانة وطيبة لدرجة إنها سابتني لما عرفت موضوع الواد اللي أنا مش راضي أعترف بيه وإني مش بتاع ارتباطات رسمية.. ولولا حبها للشغل، وقهرتها من موقف يعقوب ما كانتش استنجدت بيا.

- تفتكر ممكن تكون قتلت فؤاد؟

ضحك جلال وقال:

- مروة لو صحيت من النوم لقت ناموسة بتمص دمها هتسيبها لحد ما تشبع وتزهق وتطير.. مروة مستحيل تعمل حاجة زي كده!

- دورها في التحقيق قرَّب، المقدم مدحت هايحقق معاها وهانعرف.. كمِّل!

- أكمِّل إيه يا محمود بيه؟

قال محمود محذرًا:

- عايز تفهمني إنك حكيت لفؤاد الحكاية دي على الواقف وإنت متعصب وجسمك كله نار وداخل تضرب يعقوب؟.. أكيد خدك في مكان هادي وأكيد ما سيبتوش غير لما تعرف إيه سر الخلاف بينه وبين يعقوب هو كمان.

- أنت مش بيفوت عليك حاجة يا باشا.. فؤاد كان متعصب عشان يعقوب مضى مع خالد العبد وخطفه من دار "بصيص" اللي عملته.. ولما يعقوب قال له دي مصلحة الدار اتنرفز أكتر، عشان فؤاد عمره ما اعترف بخالد ككاتب أو روائي.. بيشوفه صنايعي بيحاول يرضي الذوق العام وخلاص.. وقال لي بالنص: "يعقوب عايز يركب العيال الصغيرة فوق كتافي"..

- طب وأنت شايف إيه؟

- شايف إن فؤاد كان عنده عنجهية ونرجسية، وبصراحة أنا لو في مكانته هاعمل كده.. بعدين أنا تقريبًا الجمهور بيصنفني في نفس الفئة اللي فيها خالد العبد.. ومش شايفها حاجة عيب إني أرضي الذوق العام طالما ما أفسدتوش.

وحين رأى نظرة اندهاش على وجه محمود، أردف قائلًا:

- فيها إيه يعني لو كل واحد يقدم اللي بيعرف يعمله ويسيب الناس تحكم.. وبرغم فرق القدرات بين فؤاد وخالد بس خالد عمل اللي فؤاد ماعرفش يعمله طول حياته.. خالد أسلوبه سهل وواصل للناس حتى لو نقّاد كتير شايفينه مش كويس.. بس الكام ساعة اللي الشاب بيقرا فيهم لخالد ويتسلى أحسن وأفيد له من إنه يزهق من رغي فؤاد ويقوم يضيع الكام ساعة دول في حاجة غلط.

- يعني في صراعهم فؤاد كان هو الطرف الشرير؟

- خالد برضه على المستوى الشخصي عنده كبرياء وغرور ما يقلش عن فؤاد.. خصوصًا بعد مبيعاته ما بقت في السما وقرّب يوصل للكُتّاب الكبار اللي بيشتغلوا مع دور كبيرة بجد مش دور صغيرة زي النجاح وبصيص.. صحيح مبيعاته ما عديتش فؤاد بس قربت منه.. وكان شايف إن الطبيعي إنه هو اللي يكون مع يعقوب، وفؤاد يروح ياخد مكانه عند لطفي.

قال محمود مستفهمًا:

- بس اللي أنا أعرفه إن فؤاد يعتبر هو أكبر كاتب في مصر.. وخالد تقدر مثلًا تقول إنه تقريبًا من أكبر عشرين كاتب في مصر.. والاتنين دلوقتي هما أعلى مبيعات، ليه بقى مش بيمضوا مع دور كبيرة ومعروفة للناس؟

- الفلوس يا باشا هي كلمة السر.. الدور القديمة بتدفع المعقول وبتعتمد على تاريخها وعراقتها، بس الدور الجديدة أقدم واحدة فيهم هي النجاح ماكملتش عشرين سنة على بعض.. وما عندهومش حقوق لنشر كتب الأدباء العتاولة بتوع القرن العشرين.. يعني ما فيش قدامهم فرصة يسوقوا لنفسهم غير بالفلوس، وطبعًا من حق الكاتب يقدَّر كلامه بالمبلغ اللي يناسبه.

- بس لو كانت دار النجاح حافظت على فؤاد بعد التعاقد مع خالد كان زمانها ضربت بصيص في مقتل.

- فؤاد حس بكده طبعًا.. وهو مش كلب فلوس بالعكس هو عيلته أصلًا غنية والكتابة بالنسباله تحصيل حاصل وحاجة بيعملها بمزاجه ولمزاجه.. ولما اشتغل مع النجاح كانوا لسه بادئين وهما أول ناس وافقوا ينشروا له ففضل فاكرها لهم..

بس لما حس إن كرامته بتروح منه بعد ما عمل للنجاح اسم.. راح عرض نفسه على لطفي أبو الخير في قلب مكتبه في دار بصيص وبنفس شروط العقد اللي كان عامله لخالد واتفسخ.. حب يعوضه ورفض عروض كتير من دور أكبر بكتير من النجاح ومن بصيص.

- أنا ليا واحد صاحبي شغال كاتب.. حكى لي مرة إن فيه دور نشر عربية ممكن تدفع في الكتّاب المصريين أضعاف اللي بياخدوه هنا.. إيه ما يخليهومش يشتغلوا معاهم مع إنك قولت لي إن الفلوس ليها تأثير، وإن الكتّاب برضه فاتحين بيوت؟

- الدور العربية مهما كانت فلوسها كتير بس إيديهم مش في الشغلانة زي الدور بتاعتنا.. يعني التوزيع المحلي مش هايوصل لكل الفئات، يا دوب على قد المكتبات الكبيرة.

وبرضه الكتب المعروفة بتتسرق وبتنزل منها نسخ مضروبة بربع التمن الأصلي، وساعات بتضرب المبيعات عندهم.. فلو الدار مش مصرية ممكن الموضوع يزيد عن حده.

- طب لو رواية عجبت مخرج وحب يعملها فيلم؟.. هاتفرق مع دار النشر؟

- معظمهم ما بيعملش مشاكل لأنها فلوس جاية ليهم زيادة عن اللي كانوا متوقعينه..

قال محمود:

- طب التعامل نفسه في التعاقد وغيره.. بيفرق من كاتب للتاني؟

-المعاملة مع كبار الكتّاب بتكون مريحة عن الصغيرين أو اللي عايزين يعملوا أي مصلحة زي كريم الريَّان.. عندك مثلًا واحد زي فؤاد عينه مليانة من قبل ما يشتغل في الكتابة وعنده اللي يكفيه هو وعيال عياله.. بس بطبيعته البشرية ما بيحبش يسيب فرصة فيها فلوس زيادة وتحافظ على وضعه الثقافي وما يستغلهاش.

شعر محمود أنه يبتعد عن مسار القضية، فسأل جلال:

- تفتكر يعقوب ممكن يكون قتل فؤاد؟

- ما أستبعدش خصوصًا بعد ما سمعت إنه راح فيلا الغرباوي واتخانق معاه هناك.. وبصراحة لو مكانه هاعمل أكتر من كده.. ما تقنعنيش إنك هايكون معاك كنز زي الغرباوي وتسيبه بسهولة.

- طب قول لي بقى.. بتعمل إيه مع يارا وآدم ومالك في الفيلّا اللي في الصحراوي؟

***

جلس مالك مُضطربًا أمام محمود.. خاصة حين رأى منظر جلال وقت خروجه.. فقد بدا شاحبًا مُجهدًا كأنه كان يركض لساعات دون راحة.. طلب مالك من محمود كوبًا من الماء فأمر محمود العسكري الواقف على الباب بإحضار الماء مع إشارة بيده متفق عليها بينهما فيما سبق بعدم تنفيذ مثل هذا الأمر للإبقاء على مالك في موقف ضعف لا يسمح له بالكذب.

شعر محمود بحرارة الجو فخلع بدلته ووضعها خلف ظهره على كرسي المكتب ذي الثلاث عجلات.. ثم نظر إلى مالك وقال بصوتٍ خفيضٍ بعض الشيء:

- مش هاعمل معاك زي صاحبك.. هادخل معاك في صميم القضية على طول.. قول لي يا مالك يا حبيب قلبي: إيه نوع العلاقة اللي كانت بتجمعك بفؤاد الغرباوي الله يرحمه؟

نزع مالك الحبل المطاطي الذي يربط به شعره ومرر يده بين خصلاته ليدخل الهواء بينها.. وقال وهو يضع الحبل في يده كسوار:

- قابلته مرة في المعرض اللي فات.. كانت أول مرة أروح هناك وبصراحة ما كنتش أعرفه عشان مش بقرأ كتير، ومش بتابع أي حاجة أصلًا بعيدة عن الكوميديا.. لقيته واقف لوحده فسألته عن بوابة الخروج.. استغرب من طريقة كلامي معاه عشان تقريبًا كنت أول واحد أشوفه في اليوم ده وما أطلبش توقيعه أو إني أتصور معاه..

مشي معايا لحد بوابة الخروج، وقال لي إنه بيشبه عليا، قولتله اسمي، فافتكرني وطلع متابع كلامي على الفيسبوك.. بعد ما وصَّلني لحد البوابة سألني إن كنت سمعت اسم فؤاد الغرباوي قبل كده.

- وأنت قولت له إيه؟

- بصراحة ما حبتش أكدب عليه بعد ما استجدع معايا وخوفت يطلع هو فؤاد ده وأحرجه.. فقولت له الاسم مش غريب عليا وتقريبًا سمعته قبل كده بس مش رابطه بشخص معين.. راح ضاحك وركب عربيته وسابني.

- وطبعًا أول ما روَّحت دوَّرت على الاسم؟

- بالعكس ده أنا نسيت الموقف كله.. بس سمعت الاسم تاني من واحد صاحبي على القهوة بعدها بكام شهر.. سألت وعرفت إنه كان هو.. كتبت الموقف على صفحتي واعتذرت له عشان عارف إنه بيقرا لي.. بعدها بفترة مروة غالي السكرتيرة بتاعته كلمتني وقالت لي إنه قبل الاعتذار.. وخدت رقم تليفوني.

- كلمك بعدها؟

- آه كلمني.. كتر خيره يعني جاب لي عرض كويس في مجلة شبابية.. قابلني في مكتب رئيس التحرير وعرّفه عليا وقدمني له حلو أوي.

- كلمك عن سلمى حجازي؟

- لا ما جابش سيرتها قدامي، وما كُناش قريبين للدرجة اللي تخليني أسأل أو تخليه يحكي.. بس هي كانت على طول بتطارده وجت كلمتني أكتر من مرة عشان تعرف بقابله ليه، بس أنا ما كنتش باقول لها رد يريحها.

- لاحظت عليها حاجة غريبة يوم المعرض؟

- آه كانت مبسوطة زي ما يكون فرحها مثلًا.. كانت هادية وساكتة ومش بتتنطط زي كل مرة بتشوف فؤاد من قريب.. بس هو كان طيب وكان بيبعدها عنه بالراحة وكان قايل لرفيق ما يمدش إيده عليها.

- الله يرحمه.. تفتكر واحد في طيبته وجدعنته ممكن يكون له أعداء؟

رد مالك دون تفكير:

- كريم الريان يا باشا.

- اللي بيعزف كمان؟

- هو بعينه.. فؤاد كان بيهاجمه من فترة طويلة.

- بس شخصية زي فؤاد ما ظنش ممكن يبقى ليها عداوة شخصية بالسهولة دي؟

- فؤاد الله يرحمه كان ممكن يتشتم في شخصه وفي أهله وما يزعلش، وما يفكرش حتى يرد أصلًا.. بس كله إلا شغله، كله إلا الكتابة يا باشا.

- أنا عرفت برضه إنه كان عامل مشاكل مع خالد العبد.

هز مالك رأسه نافيًا، وقال:

- حقيقة.. بس خالد مهما كان ما بيحبش فؤاد فهو ابن ناس ومحترم.. إنما كريم جايبها من تحت، نحت في الصخر لحد ما وصل، وكان ثورجي بجد.. وبعد الثورة ركب موضة الـ underground ، بس دلوقتي ما بقاش مؤمن بالفكرة.

- بس تقريبًا هو لسه بيعزف مع فرق أندرجراوند يا مالك.

ضحك مالك قائلًا:

- كلمة underground أصلها بريطاني وكانت بتتقال على الأفراد والفرق اللي بيغنوا في المترو.. اللي هما بالبلدي كده على باب الله وبيسترزقوا من أي حاجة الناس تديهالهم.. المفهوم كبر واتطور

وبقى أوسع لحد ما شمل الأغاني اللي بتعبر عن هموم الناس ومشاكلهم وقضيته الأولى هي الحرية في كل حاجة، حتى مطرب الفرقة ما بقاش لازم يكون صوته حلو أصلًا.

نفخ محمود كعلامة على نفاد صبره قائلًا بلهجةٍ حادةٍ:

- ماهه كريم بيعزف أغاني كلها عن الناس الغلابة والحرية والكلام الحلو اللي بيعجب الشباب ده!

- أديك قولتها.. كلام يا باشا.. أنا هاشهّدك: فيه واحد بيعمل أغاني للغلابة بياخد من المنظمين في أقل حفلة مية ألف جنيه عشان يطلع يعزف كام مقطوعة، ويطلّع معاه أي باند يغني كلماته؟

- هو شاعر ولا عازف ولا بيعمل إيه بالظبط؟

- هو بيعزف وبيكتب أغاني وساعات بيلحن كمان.. مستعد يعمل أي حاجة تبع الموضة وتجيب فلوس.

- هو تذاكر حفلاته غالية كده؟

- بتعدي المتين جنيه وساعات أكتر في السوق السودة.

- طب وفؤاد زعلان عشان كريم منافق.. ولا عشان نزل كتاب وهايسحب منه الجمهور.

- فؤاد مكانش يعرف كريم أصلًا غير لما قال إنه هاينزِّل كتاب، كريم عزفه حلو بس هو مركز مع الرايج مع الشباب.. له قاعدة جماهيرية آه بس مش كتير، وهايروحوا أول ما موضته تروح ومش بعيد هما هما اللي يتريقوا عليه.

- بس أنا شوفت صور لحفلة توقيع كريم اللي كانت في نفس وقت فؤاد وكان حواليه زحمة جامدة وأكيد سحب جزء من جمهور فؤاد.

- دول مش جمهور فؤاد، ولا قرّاء أصلًا.. دول شوية بنات عاجبهم شكل كريم وصوته على شوية ولاد بيحبوه ومصدقين الجو اللي بيعمله.. أنت لو قريت الكتاب هاتعرف إنه عامله سبوبة.

- هو بيتكلم عن إيه؟

- بيحكي فيه عن ذكريات الحب الطفولي بتاعه من أول حضانة لحد ما بقى في تالتة إعدادي، والمُدرسة اللي كانت بتضربه، والبنات اللي كانوا دايبين في سحنته.. أنا اللي مش مثقف ومش بأعرف أكتب ممكن أكتب بأسلوب أحسن منه.. كاتب بقى كلام ساذج والبنت اللي كانت بتشحته ساندويتش المربى عشان بيكتب لها الواجب.. وحاجات زي كده.

ضحك محمود كثيرًا، ثم قال:

- ده أنا سمعت إنه باع كتير.

- أكتر مما تتخيل حضرتك.. لعلمك بعيدًا عني خالص فيه كَتاب شاطرين وموهوبين بجد وما حدش مديهم فرصة، وفيه كُتّاب وباحثين كبار اللي شغالين مع الدور العملاقة مش واخدين حقهم.

قال محمود:

- طب وجمهورك أنت فين يا مالك؟.. ده أنا سامع إنك مشهور وبقيت بتكتب برامج كوميدية دلوقتي.

- جمهوري عايشين معايا.. محبوسين مع بعض في عالم التواصل الاجتماعي.. مستنيين أي حد معاه مفاتيح الزنزانة دي عشان يطلّعنا.

- بس أسمع إن دور النشر شغالة اليومين دول الله ينور.. ده اللي بيكتبوا بقوا أكتر من اللي بيقروا.

- فيه ناس بتراعي ضميرها وقلبهم على الثقافة بجد.. بس فيه ناس برضه قلبهم على القرش والفلوس وواخدين الموضوع تجارة مش أكتر.

- شوف إنت خرجتني عن الموضوع اللي كُنا بنتكلم فيه.. قول لي عرفت منين أصلًا إن فيه عداوة بين كريم وفؤاد.

- فيه صديق مشترك بيني وبين كريم بلّغني رسالة على لسانه بيقول فيها: "قول لفؤاد يبعد عني وإلا هادمره!"

- مين الصديق المشترك ده.

- مهندس كمبيوتر.. مش مهم في القضية.

- مش أنت اللي تحدد مهم ولا لأ.. ولا خايف تقول إنه هاكر؟

- ما هه أصل..

- أصل إيه يا ابني أنا بدور على واحد قتل شخصية عامة.. مش هابص لهاكر تافه.. مش قضيتي!

- آه يا باشا بيشتغل هاكر.. كريم كان بيجيبه عشان يزوّد له جماهير.

- إزاي دي كمان؟

- يعني يشتري مُتابعين لصفحته.. يلعب في أرقام المشاهدة بتاعته على اليوتيوب.. وهكذا.

- هو كريم له في السكة دي؟

- ما فيش حد مالوش فيها.. صاحبي ده شغّال مع نص فنانين مصر والشخصيات السياسية.. تعرف إنه حوِّل واحد من مجرد صحفي على قده في جريدة صفرا لخبير سياسي مهم بيطلع كل يوم في

القنوات يتحفنا بآرائه اللي مالهاش لزمة ونظرياته اللي مبتحصلش.

- مش هسألك مين عشان خلاص السياسة بقت بتجيب لي صداع.. بس بما إنك طلعت عارف كل حاجة لكن عامل نفسك تافه وأهبل.. سمعت عن معلم المخدرات اللي قتل المنافسين بتوعه؟

سقط قلب مالك في قدميْه، وقال بلهجةٍ حاول أن يجعلها طبيعية:

- لأ يا باشا.. مين ده؟

قال محمود بتهكم:

- ده واحد ابن حرام كده شغال في مجال المخدرات بقاله سنتين.. بس دماغه دي أعوذ بالله.. لسه واحد صاحبي في المكافحة حاكيلي حكايته..

ثم اعتدل في جلسته، وقال:

- بيقولك بقى يا سيدي جاب أكبر اتنين معلمين في السوق وعزمهم على الغدا عنده قال يعني بيقدم عربون محبة.. وسبحان الله الاتنين ماتوا ليلتها والمعلم الجديد ده ولا حصل له حاجة.. ورجالة المعلمين دول ما عرفوش يعملوا حاجة معاه لأنهم خافوا، وفيه منهم اللي اشتغل معاه ومنهم اللي هرب بعد ما شاف أي حد بيحاربه وبيتصفى..

الغريب إن المعلم ده اختفى بعدها ولحد دلوقتي ما ظهرش.

- وده إيه علاقته بقضية فؤاد يا باشا؟

- أصل صاحبي اللي كان ماسك القضية دي قال لي إنهم لما شرَّحوا الجثث مالقوش أثر للسم.. وفيه إشاعات إن المعلم ده بيجيب كل حاجته من برة..

يعني لو عملت زيكوا واشتغلت مؤلف.. ممكن أتخيل إنه استورد سم مخصوص من برة مفعوله بطيء.. وممكن أتخيل إن حد شغال معاه أخد شوية من السم دهو إداهم لفؤاد قبل ما يموت بيوم، والسم بان أثره بعدها بفترة زي ما حصل مع المعلمين اللي ماتوا..

ضحك مالك متوترًا وقال:

- تقصد إيه يا باشا.. أنا تُوهت منك ومش فاهم حاجة خالص.

- هي قصة خيالية شوية بس ممكن تتصدق.

- هي مستحيلة يا باشا.

- بس حتى لو مستحيلة.. أنا ظابط صغير وأي إنجاز هاينفعني.. يعني لو ماعرفتش مين قتل فؤاد الغرباوي يبقى على الأقل قبضت على تاجر مخدرات معروف والمكافحة كلها بتجري وراه.

قال مالك بخبث:

- تقصد المعلم ده؟ طب ربنا يعينك عليه وعلى أمثاله من ولاد الحرام.

- تعرف يا مالك إن ورا كل جريمة كاملة مجرم خياله واسع؟

- عارف يا باشا.

- طب تعرف إن ورا كل جريمة مش كاملة صاحب جبان وندل؟

- يعني إيه؟

قام محمود من مكتبه وخبط مالك حول معصمه الأيسر وضحك حين أصدر الأخير صرخة تدل على الألم، وقال له بصوتٍ مرتفعٍ:

- يعني آدم حكى لي كل اللي حصل يا قرد!

9 - بنت – ولد - بنت

ماذا فعلتِ بنفسك يا سلمى؟!.. هل استحق فؤاد الغرباوي كل هذه التضحية؟.. فؤاد لم يشعر بكِ ولا بمكانته عندكِ قط!

وجدتِ نفسكِ في كل بطلات حكاياته.. احتل روحكِ حين طلبتِ توقيعه لأول مرة قابلته فيها منذ سنوات.. ونفث النار في قلبك حين حيَّاكِ بابتسامة روتينية يقابل بها كافة المعجبين لم تبدُ لكِ كذلك وقتها، فقد أعمى هواه عقلكِ.

سَحَر فؤاد فؤادكِ حتى سرقه دون أن يعلم.. كانت بداية معرفتكِ باسمه حين قرأتي أحد كتبه بالصدفة.. كان قلمه حصانًا أبيض سرقكِ هو على متنه فأنساكِ حزنكِ على أبيك الراحل.. هلال الدين حجازي، أو ما كما لقبوه "الأمير حجازي".

استغرقت سلمى في أفكارها عن أبيها فتذكرت كذبه المتكرر عليها في صغرها وقت سفره إلى الحدود لإنجاز مهمة تبع جماعته، فقد كان يقنعها أنه مسافر في عملٍ مؤقتٍ بإحدى الدول العربية.. ولكنها اكتشفت الحقيقة في سن السادسة عشرة حين سمعت دون قصدٍ مكالمةً هاتفيةً دارت بينه وبين أحد أتباعه في الجماعة الجهادية. واجهته بما سمعت فلم يُنكر، بل حاول إقناعها بأهمية ما يفعله من أجل دينه ودعوته.

لم تعتد أن تُجادل أباها حتى وإن كانت ترى نفسها الأصح فراحت تدعو له بالهداية، وانتظمت في الصلاة وممارسة الشعائر بغرض التقرب من ربها ليلاقي دعاؤها قبولًا عنده، ولكن حدث ما لم تدعُ من أجله: فقد ظن والدها أنها قد اعتنقت أفكاره حين شهد منها الامتناع عن مناقشته والتزامها الديني الذي لم يعهده ولم يُجبرها عليه يومًا.. فاستمر فيما يفعل، بل وازداد تعلقًا به.

وحدثت النهاية التي توقعتها منذ أن عرفت حقيقة أبيها.. فقد لاقى مصيره كغيره من المتعصبين حين صدر قرارٌ بالقبض عليه..

تم التبليغ عنه بواسطة أحد أتباعه الذي اتضح أنه كان يعمل مرشدًا للشرطة.. لن تنسى يوم قدوم الحملة الشرطية إلى منزلهم، فكر الأمير حجازي أن يُقاوم ولكنه لم يكن ليعرِّض حياتها أو حياة أخيها الأكبر عمَّار للخطر.. فسلّم نفسه لإنجاز شرطي تحدثت عنه الصحافة كثيرًا وطويلًا أدى به إلى محاكمةٍ عسكريةٍ لم يُنكر فيها ما اقترفه ليصدر ضده حكمٌ بالإعدام، وضد أسرته حكمٌ بسوء السمعة بين الناس.

وكما أخذت منها تلك الجماعة والدها.. سلبتها أباها الأصغر وأخاها الأكبر "عمّار".. كان مُعيدًا في كلية الهندسة، وكان - مثلها - يُعارض تفكير أبيه المتشدد وقد حدثت بينهما أكثر من مشادة كلامية لم تعلم عنها سلمى إلا بعد وفاة الأب..

بدأت مأساة عمار في ثالث أيام عزاء أبيه.. فقد جاءه ثلاثة رجال يرتدون قمصانًا مغلقة كل أزرارها، ويبدو على وجوههم علامات حلاقة لحية حديثة تميل إلى اللون الأخضر الفاتح، وبعض من حبوب حمراء وجروح طفيفة.. خمّن بأنهم من أتباع أبيه ويريدونه خليفةً له وأميرًا عليهم.. وقد حدث ما خمَّنه.

رفض فألحوا، ناقش فتشاجروا، أنهى اللقاء فهددوه.. تكررت زياراتهم وتهديداتهم، ولم يسلم منهم ولا من القوات الأمنية التي كانت تتوقع اتصال الجماعة به، وقد اعتقدوا - مخطئين - أنه قبِل منصب الأمير الجديد.

وجد عمَّار نفسه وأخته بين نارين: نار الجماعة التي تظنه يعمل مع الأمن، ونار الأمن الذي اعتقده خليفة أبيه.. وكلاهما يُهدد أخته قبل أن يهدده كوسيلة من وسائل الضغط.

لم يجد بُدًّا من السفر خارج مصر في رحلةٍ علميةٍ بلا رجعةٍ تاركًا سلمى خلفه وحيدةً، ولكنه آمنة ومعها مبلغ كبير من المال وهو نصيبها من إرث والدتها التي تركتها صغيرة.. هجرها بعد أن فقدت كل من تحب.. قُبضت روحها ثلاث مرات حين فقدت أحباءها، قبضت دون أن يمسَّها ضُر.

ويوم مات فؤاد انقبضت روحها للمرة الرابعة.. صحيح أنها الآن محبوسة احتياطيًّا على ذمة قضية اغتياله.. لكنها تقبع في زنزانتها متحليةً بالصبر والهدوء، تتذكر ماضيها وتاريخ حياتها في انتظار التحقيق معها لتخبرهم بكل ما تعرف.. ستفعل أي شيء في سبيل البراءة والخروج من أجل القصاص لفؤاد بنفسها.

ستبرئ ساحة غريب القط فهي تعرف أنه مسكين يعول أطفالًا.. ولكن ستخبرهم كل ما حدث لها مع ذلك الملعون سليمان عبد النور..

***

على الرغم من تأخر وصول أكمل إلى مكتبه في المديرية.. إلا أنه حين وصل لم يسمح بدخول أول المُحقق معهم في هذا اليوم بعد.. جلس وحيدًا وظل يفكر فيما قالته مي.. هل من الممكن أن تقتل زوجها كي ترتبط به، أو لأي غرضٍ آخر في نفسها لا يعلم به؟!

كيف سيأمن على حياته معها في ظل هذه الهواجس.. حسُّه الأمني يُدينها ولكن قلبه يُبرئ ساحتها تمامًا، ولكن كيف سينام آمنًا في حضنها بعد الآن؟.. هل من المعقول أن تكون هي من غدرت بفؤاد بعد أن أشبعته عناقًا؟.. وهل ستغدر به هو الآخر مستغلةً إياه للحصول على البراءة من تهمة قتل فؤاد؟.. ولكن كيف وهو يعرفها منذ ما يزيد على الخمس سنوات ويثق بها ككف يده؟!

طلب من حارس مكتبه إحضار كوبٍ كبيرٍ من القهوة الخالية من السكر.. وأخبره أن أحد العساكر سيأتي بملخص تقرير الطب الشرعي، وأمره بأن يتم تسليم هذا التقرير إلى محمود شخصيًّا، فقال له الحارس بصوتٍ خفيضٍ:

- يا باشا الواد آدم ده مستنيك برة بقاله كتير وشكلها لسع خلاص.

رد أكمل بدهشة:

- لسع إزاي يعني؟

- قاعد يكلم نفسه ورجليه بتترعش جامد.

- أنت عملت معاه هو والبت يارا اللي طلبته منك؟

- آه يا باشا بس هي شكلها نبيهة وفهمت إني باحكيلها عن شدتك عشان أخوِّفها وهي داخلة عليك.. بس المحروس التاني اللي خاف جدًّا وصدَّقني.

قال أكمل زاجرًا العسكري:

- أنت هاتحكِّي معايا.. دخَّــل لي الواد!

كان وصف العسكري لحالة آدم دقيقًا بطريقة مُفزعة.. قرر أكمل أن يتقمص دور الطبيب حتى لا يفقد آدم الوعي.. فقال له بصوتٍ هادئ:

- آدم.. أنت عايز تروَّح؟

قال آدم وهو يمسك رأسه بيديْه:

- يا ريت معاليك.. تعبان أوي.

- التحريات بتقول إن بقالك فترة كبيرة على اتصال بفؤاد الغرباوي.

- مش اتصال بمعنى اتصال يا باشا.. بس أستاذ فؤاد الله يرحمه كان عاجبه شغلي وحاسس إني ممكن أكون مشروع كاتب كويس.. كان عارف إن ماليش جمهور تقريبًا، وإن اللي يعرف كتاباتي ما يعرفش اسمي واللي يعرف الاتنين ما يعرفش شكلي.

- محمود صاحبك كلمني عنك وقالي إنك موهوب بجد.. وفيك شبه من فؤاد في شكل وطريقة الكتابة.

- ما هو اللي بيتقال ده هو اللي عرَّف فؤاد بيا.. فاروق نصَّار الناقد اللي مش طايق فؤاد سمع إن فيه كاتب شاب أسلوبه شبه فؤاد.. راح عامل مقال نقد لرواية ليا، وتقريبًا ما اتكلمش عنها غير في سطرين والباقي شتيمة في فؤاد.. فؤاد عشان يغيظه راح مستضيفني في بيته.. واتصور معايا وبعت الصورة لفاروق.. كانت دماغه زي الأطفال الله يرحمه.

- ولما هو دماغه زي الأطفال طاوعته ليه في فكرته دي؟

- يا باشا ده فؤاد الغرباوي ما ينفعش يترفض له طلب.

- بتحبه أوي كده؟ واللا خايف منه؟!

- فؤاد مش بيخوِّف.. أنا بقراله من صغري وباعتبره هو اللي مربيني بعد أبويا ما مات بدري، حتى لو كان عمره ما شافني.. غصب عني إن أسلوبي فيه شبه منه وبازعل لما حد يوصفني بإني ممكن أبقى خليفته لأن نفسي أبقى حالة خاصة لوحدي.. بس هاعمل إيه يعني.. الحمد لله إن اسمي واسمه ينفع يتحطوا في جملة واحدة.

- طب ولما هو استضافك وعايز يغيظ فاروق.. مش ساعدك تتشهر زيه ليه؟

- كنت مستتيه يعمل كده بس هو من أول لحظة قال لي إني لازم أعتمد على نفسي وأعمل جمهوري بإيدي ومع الوقت.. عشان أحس بقيمته وما يصيبنيش غرور.. وبصراحة حسيت إن معاه حق.

- واضح إنه كان له تأثير كبير عليك.

- باقولك مربيني يا باشا!

- تعرف محمود صاحبك ما حققش معاك ليه؟

- أكيد استتشعر الحرج، وأنا مستحيل ألومه طبعًا ده شغله.

- طب تعرف الفرق بيني وبين محمود إيه؟

- باحسكوا شبه بعض في الذكاء، وفي عينيكوا لمعة كده.. مش أنتوا ولاد خالة برضه؟

أومأ أكمل برأسه، ثم قال:

- بس أنا باتكلم في الشغل.. محمود عامل زي الطالب اللي بيدح طول السنة عشان يتفوق.. أنا بقى عامل زي الطالب الفهلوي اللي بيعمل برشام وبيغش من صاحبه عشان ينجح بمذاكرة ليلة الامتحان.

- مش فاهم يا باشا.

- يعني أنا خليت صاحبك يذاكرلي ويغششني.. بصراحة محمود جه قريبا، بس من ساعة ما جه وهو متصاحب على المخبرين بطريقة تخليهم ينفّذوا شغلهم بمنتهى الحب، بالك المخبر لو حبّ الظابط.. بيعمل كل حاجة صح وبضمير.. أنا ما ينفعش أخليهم يتعوِّدوا عليا عشان كده دايمًا بجيب معايا في التحقيق ظابط صغير زي محمود يكون محبوب.. صحابنا دول بقى جابولي قرارك يا عم آدم.

هزَّ آدم كتفيه بحيرةٍ، وقال:

- مش فاهم برضه يا باشا.

- إيه علاقتك بمروة غالي يا آدم؟

ازداد ارتجاف آدم وأصبح عبارةً عن كتلة من العرق تُحيط بجسم إنسان، وقال وهو يتلعثم:

- مروة سكرتيرة أستاذ فؤاد.. أول مرة شوفتها عند فؤاد عجبتني وحبيتها.. حاولت ألفت نظرها بس ما كانش فيه نتيجة.. ولما سألت فؤاد عنها قالي إنها متعينة عنده بتوصية من جلال عبد الراضي وإنها كانت صاحبته وبتحبه.. قريت كل رواياته الرومانسية اللي بيكتبها عشان أدرسها..

قاطعه أكمل قائلًا:

- وطبعًا عملت زي اللي في الروايات دي بالظبط؟

- كده هابقى غلطان يا باشا.. أنا عملت عكس كل اللي مكتوب.

- ليه يا آدم؟

- عرفت إنها كانت بتحبه ودلوقتي بقوا أصحاب بس.. فقولت أكيد سلوكه الرومانسي مش عاجبها، أو عمل حاجة زعلتها.. لما بدأت أتقل عليها وبطلت أحسسها إنها ملكة زي جلال ما بيعمل مع بطلاته.. بدأت تلين وتحس بيا.

- سمعت إنها محترمة جدًّا.. نفسك تتجوزها؟

- إيدي على كتفك يا باشا.. أنا بأدرس وربنا لسه ما أرادش ليا إني عمل فلوس جامدة من الكتابة.. ومروة ما شاء الله كانت بتشتغل الصبح مع فؤاد وبالليل بتقف في صيدلية أمها.. شعلة نشاط مش بطة بلدي زي حالاتي.

- يعني ناوي معاها نية خير؟

- بإذن الله.. أنا مش بتاع جو اللعب ببنات الناس ده.. مش هاقول لبنت بحبِك إلا وأنا متأكد إن الجملة اللي بعدها هاتكون "وعايز أتجوزك".

- راجل يا آدم.. مش هاخبّي عليك أنا حاسس إنك أكتر واحد تعرف فؤاد.. حتى لو مش بالاختلاط فأنت عارفه بإحساسك.

- وأنا تحت أمرك لحد ما نجيب الكلب اللي عمل كده.

اختفت السماحة من وجه أكمل حين لان آدم معه، وبدأ عمله الحقيقي قائلًا:

- قول لي تفتكر مين ممكن يكون قتل فؤاد؟

- أكيد اللي اتحقق معاهم قبلي قالوا لك اسم يعقوب حتًّا.. بس بصراحة باستبعده.

- ليه يا آدم؟

- يعقوب معروف عنه إنه متحرش يا باشا.. المتحرش دايمًا شخص جبان آخره يسرق نظرة أو لمسة، كبيره أوي يخدم شهوته في الخفا.. بس يقتل؟ صعب.

قاطعتهما طرقةٌ خفيفةٌ من الحارس الذي دخل ووضع القهوة أمام أكمل.. ارتشف الأخير جرعةً كبيرةً منها متجاهلًا سخونتها الشديدة التي أحرقت حلمات لسانه، وقال لآدم:

- وجهة نظرك جديدة.. بس عجباني.. كمِّل!

عدِّل آدم من وضع جسمه بحيث يواجه أكمل، وقال:

- خالد العبد ذكي وصعب يخاطر بمستقبله.. هو شخص ناجح وبصراحة كان كلها كام سنة ويعدّي فؤاد بمراحل.. وفؤاد كان عارف ولمَّح لي بكلام شبه ده.

- كان زعلان؟

- أكيد يا باشا.. ما فيش ملك بيسلّم عرشه بسهولة.. بس فؤاد كان مقتنع إن التاريخ هاينصفه في معركته مع خالد.. وإن خالد موضة هاتروح لحالها زيها زي غيرها.

- طب كريم الريَّان؟

- كريم برضه ناجح وصعب يخاطر بمستقبله.. بس غشيم وغاوي ثورجة.. فؤاد انتقده جامد بس كريم كان شايف إنه ما ينفعش يرد على واحد بحجم فؤاد.

- فيه إشاعة إن فؤاد هدد كريم بفيديو.

- آه سمعت على النت إن فيه فيديو لكريم وهو مزوِّدها شوية مع واحدة من المعجبات.. بس أنت عارف النت يا باشا.

- إحنا خدنا إذن نيابة بإننا نفتح اللاب توب بتاع فؤاد.

- وطبعًا ما لقيتوش حاجة غير مسودات رواياته.

- عرفت إزاي؟

- لو كنتوا لقيتوا حاجة مهمة أكيد واحد من الصحفيين حبايبكوا كان هيسرَّب الخبر.

- أنت لما بتهدا بتفكر حلو يا آدم.. قول لي بقى إيه رأيك في سلمى حجازي؟

- سلمى مستحيل تقتل فؤاد.. ده لو فؤاد طلع قال إنه – والعياذ بالله – إله.. سلمى هاتعبده من غير تفكير.

- بس من الحب ما قتل.

- الحب حاجة والهوس حاجة تانية.. بعدين هافترض كلامك صح وهي اللي قتلته.. المفروض تقتل نفسها معاه بقى عشان يتقابلوا في الآخرة والكلام الأهبل بتاع العشاق ده.. لازم القصة تخلص صح يا سيادة المقدم!

- حيَّرتني معاك يا آدم.

قال آدم كأنه سيهجم بإجابته:

- ما فكرتش ليه في لطفي أبو الخير يا باشا؟

- قلشت منك دي.. لطفي لسه منزل رواية مع فؤاد وجاب من وراه ألوفات.

- بس الألوفات دي ممكن تبقى ملايين لو فؤاد مات في حفلة توقيعه.. تخيَّل المبيعات اللي ممكن تتعمل من ورا حاجة زي كده.

- بس كده هايكسب مرة واحدة من فؤاد.. ليه يدبح بقرة صغيرة لما ممكن يحلبها كل يوم؟

ضحك آدم قائلًا:

- ده لو البقرة صغيرة فعلًا.. فؤاد كان عنده فيروس C وراح في غيبوبة قبل كده بس ما حدش عرف غير أقرب الأقربين.. يعني حتى لو قدر يعيش مع المرض فأكيد عطاؤه هايقل.

نظر أكمل إلى ورقة صغيرة أمامه وقال وهو يقرأ منها:

- هو شغله قلَّ فعلًا ومعدل الكتابة عنده كان واقع.. ده آخر كتاب نزلّه قبل الرواية الجديدة كان من سنتين.. بعد ما كان بيكتب في السنتين دول خمس ست كتب.

لم يلحظ آدم ما فعله أكمل فقال:

- شكلك عامل زي الطالب الشاطر اللي بيقول مش بذاكر عشان يبعد عنه الحسد.

- ده برشام يا آدم.. أظن أنت عمرك ما عملت برشام.

- عرفت إزاي؟

- أنت مش قادر تتحكم في أعصابك وأنت مش غلطان.. ما بالك لو بتعمل حاجة غلط.

- صح يا باشا.. عشان كده باسقط في الكلية.

ضحك أكمل ثم قال له:

- تحب تضيف حاجة؟

- ما فكرتوش ليه في أشرقت عبد الوهاب؟

- مين دي!

- كانت موظفة في دار تواصل اللي شغال فيها جلال عبد الراضي.. بعد ما فهمت الشغل بيمشي إزاي استقالت وفتحت حاجة زي دار نشر إلكترونية.. يعني بتستقبل الأعمال على النت وتطبعها

وتوزعها بمعرفتها، أو مع دور تانية صغيرة.

- ودي إيه علاقتها بفؤاد؟

- أشرقت من أنصار حاجة كده اسمها "حملة الانضباط الأدبي".. لون جديد في الكتابة بيبعد عن المحرمات التلاتة: الجنس والدين والسياسة.

- أومال بيكتبوا عن إيه؟

- لو متابع هاتعرف إن فيه لون جديد الناس مسمياه مجازًا "روايات الحب الحلال".. حاجة كده يا باشا مالهاش لون ولا طعم ولا ريحة..

اللي هو تلاقي الرواية بتحكي عن شاب متدين بيصلي كل الفروض في الجامع بيحب بنت منقبة ما تعرفش إزاي حبها، وبيروح يتقدملها وبيطلع أبوها هو هو إمام الجامع اللي الواد بيصلي فيه (شوف سبحان الله).. وبيوافق طبعًا على الجواز وبيجبوا فرقة دفوف تحيي الفرح.

- عندهم تشدد ديني يعني؟

- مش شرط.. بس بيحبوا يلعبوا على التيمة دي عشان يضمنوا مشاعر البنت اللي متربية على إن الحب ده حاجة غلط.. فبتلاقي الحبيب دايمًا مؤدب ومتربي وبيستحمى كل يوم باللبن.. والشكل العام للروايات زي ماشرحتلك في المثال اللي قولته.. ما فيش معنى ولا حبكة ولا أي حاجة.

- طب ما فهمتش برضه علاقتها إيه بالغرباوي؟

- لو بتقرا لفؤاد هتعرف إنه لازم يخوض في المحرمات التلاتة وبمنتهى الصراحة.. وأشرقت متعصبة أوي ضد الموضوع ده وكانت موجودة يوم حفل التوقيع في الخيمة بتاعت فؤاد.. أنا استغربت ساعتها بس يمكن هي كانت معتمدة إن تقريبًا ما حدش يعرف شكلها خصوصًا وسط الزحمة اللي كانت موجودة.

- بس وسط كل الناس اللي أنت قولتهم، واللي ممكن يكونوا متهمين.. تفتكر إن فيه صراع رأي ممكن يوصَّل حد إنه يقتل؟

- مش كلهم طبعًا وصعب جدًّا حد يقتل عشان دافع زي ده.. بس فيه احتمال واحد من عشرة إنه يحصل خصوصًا إن التعصب للرأي بقى سمة أساسية في المجتمع بتاعنا اليومين دول.

- بس الوسط بتاعكوا ده غريب.. مش زي ما كنت متوقع.

- أنا في الأول اتصدمت زي حضرتك وكنت فاكر الجميع ملايكة.. بس بجد الوسط حلو ومحترم جدًّا بغض النظر عن وجود فيه بعض الشوائب زيه زي غيره.. بس آفة الوسط إن الشوائب فيه بتظهر عالسطح وبقوة، مش بتترسب في القاع.. فيه ناس كتير بتحب بعض وبتساعد بعض.. ولو

فيه حد موهوب بجد الكل بيساعده.. وعلى فكرة كلها مسألة وقت وينضف بشكل كَلي والشوائب دي تختفي.

- أومال إيه اللي بنشوفه ده من ساعة فؤاد ما اتقتل؟

- من ساعة الثقافة ما اتحولت لموضة والتجارة بقت جزء من اللعبة لازم نقبل بيه.. مهما اختلفنا مع الاتجاه التجاري بس في الأول وفي الآخر هو عمل انتعاش للوسط الثقافي، ونسبة الإقبال على مكان زي معرض الكتاب اتضاعفت في آخر كام سنة.

- زي أفلام المقاولات والرقص ما بتجر رجل الناس على السينما لحد ما يشوفوا فيلم محترم؟

- بالظبط كده يا باشا.

- أنا هاكمّل تحرياتي وغالبًا هاستدعيك تاني.. بس عايزك المرة الجاية تيجي مطمن.. أنا ممكن آخد رأيك بس عشان شكلك بتعرف تركز وتقرا الناس كويس يا آدم.

- قولت لك ما بحبش البرشام وباسقط.. بس نسيت أقولك إني باسقط بمزاجي ولو ركزت ممكن أبقى من الأوائل.

- مش باين يعني!

- هايبان قريب..

ثم قام آدم واقترب من أكمل، وقال له بصوتٍ خفيضٍ:

-ما قولتش لمحمود ليه يا أكمل باشا على اللي كان بينك وبين فؤاد.. شكلك كده استشعرت الحرج!

***

حاولت يارا تميم إخفاء قلقها بعدم النظر إلى أكمل الجالس أمامها.. بدت متماسكةً ولكن تفاصيل قليلة كشفتها.. فكثافة مساحيق التجميل حول عينيْها تشي بمحاولة فاشلة لإخفاء هالات الإرهاق السوداء، ناهيك عن رائحة السجائر التي تفوح منها كما تفوح رائحة المطهر في المستشفيات.. أخرجت علبة سجائر من حقيبة يدها ولكن أدخلتها مرة أخرى بعد إشارة حازمة من أكمل الذي قال لها:

- مين قتل فؤاد يا يارا؟

- ما أعرفش، وعمري ما قابلته أصلًا.. عارفاه زي أي شخصية عامة.

- بس مالك وآدم وجلال صحابك، وكلهم اتعاملوا معاه بشكل أو بآخر.

- آدم ومالك مش صحابي.. جلال حبيبي.

- مخطوبين؟

- لأ ومش هانتخطب.

- طلع ندل؟

- بالعكس هو عرض عليَّ الارتباط مع إنه متأكد إني هارفض.. إيه يجبرني على كده؟ ليه أقعد أطبخ وأنضف وأغسل هدوم واحد عشان في الآخر يكون هو إنسان ناجح.

- دي سنة الحياة.

- دي حاجة مالهاش دعوة بالحياة.. ليه أفرَّط في حلمي إني أكون شاعرة؟

فهم أكمل أنها تحوِّل مجرى الحديث بعيدًا عن جريمة القتل، فسايرها محاولًا البحث عن نقطة ضعف قائلًا:

- بس من اللي قريته على النت إنك مش قد كده في موضوع الشعر ده.. ناس كتير بتنتقدك وبتقول إنك بتلعبي على وتر حرية المرأة وخلاص.. وكل حاجة كتبتيها في موضوع غير ده بتكون واقعة.. وبتعتمدي على أدائك التمثيلي في الحفلات وإعجاب الشباب بفكرك المتمرد.

مطت شفتها السفلى علامة على عدم الاكتراث وقالت بدبلوماسية:

- من حق كل واحد يقول اللي هو عايزه.. ما حدش فوق النقد.

قال أكمل بخبث:

- حتى ربنا؟

- مش مؤمنة بوجوده أصلًا.

- عارف.. مش مؤمنة بحاجة غير حريتك.. بس إزاي حد كده يحب واحد زي جلال أفكاره عن الحب تقليدية ومستهلكة، حتى أفكاره عن ربنا غريبة؟

- يمكن بأمثل عليكوا إني بكره العبودية!

- ده إنتي تبقي ممثلة شاطرة أوي.

- زمان أول ما حادثة ريا وسكينة اتعرفت للناس نجيب الريحاني عمل مسرحية عن الموضوع.. كان عامل دور عبد الرازق شريك السفاحتين.. و كان له مشهد مع بديعة مصابني بيخنقوا فيه

ضحية من ضحاياهم.. أبدعوا في التمثيل لدرجة إن فيه واحد من المُتفرجين قام وضرب عليهم نار عشان يسيبوها تعيش.

قال أكمل:

- بس تعرفي إن دلوقتي ظهر كلام جديد إن ريَّا وسكينة أصلًا كانوا مناضلين ضد الاحتلال وكانوا فاتحين بيت دعارة أيام ما كانت مقننة بيخطفوا فيه الجنود الإنجليز..

وإن المندوب السامي لما بلغه خبرهم قرر يعاقبهم بالطريقة القاسية دي وجابوا بنت ريَّا حفّظوها الكلام اللي يدين أهلها بحجة إن ده الكلام اللي هاينقذهم، واللي ممكن يخلّي الإشاعة دي صح إن فيه تضارب خفيف بين ورق القضية والكلام اللي مكتوب في قسم اللبان في إسكندرية..

تعرفي الكلام ده لو صح ده معناه إيه؟

قالت يارا:

- ما عرف إنت خدت المثل بتاعي وبتحاول تقلبه عليا ليه.. بس عامة يعني كلامك ده معناه إنكوا بتزيفوا التاريخ، وإن التاريخ محتاج يتراجع من أيام مينا موحد القطرين.

قال أكمل بخبث:

- ومعناه برضه إن ممكن كدبة تعيش مع الناس طول العمر.. بس تكون محبوكة صح.

حين بدا عليها الارتباك تأكَّد أكمل أنها كانت تعرف فؤاد شخصيًّا وأنها مراوغة فاشلة، فقال لها وهو يبتسم بخبثٍ:

- فكرك كانوا بيعرفوا يمثلوا حلو أوي كده؟

قالت بفزعٍ:

- مين دول!

أجابها أكمل ضاحكًا:

الريحاني وفرقته.

- مش شرط.. ممكن المشاهد صدق عشان عايز يصدق.. زيي أنا مثلًا: لا أدرية ومش مؤمنة بربنا من بعد الثانوية تقريبًا.. ما لقيتش منه حاجة تدل على إنه بيحميني، جابوا لي ناس بدل ما يقنعوني بالرجوع للدين نزلوا فيا ضرب وشتيمة وقالوا لي أدلة جاية من كتب أنا مش مؤمنة بيها أصلًا.. أمي ماتت بعدها بحسرتها عليّا.

- وبعدين؟

- أقنعت نفسي بوجود ربنا وقوته الروحانية عشان أتجاوز الأزمة.. وفعلًا أول ما بقيت كويسة رجعت تاني زي الأول وأكتر.

- طب ما هو ربنا وقف جنبك آهه.

- فرق كبير بين الفضفضة مع صاحب بجد، وبين الفضفضة مع عروسة معتبراها صاحبتي.. وعارفة إنها مجرد جماد مش هيفيدني، بس برتاح لما بكلمها.

قال أكمل دون أن يُبدي موافقةً أو اعتراضًا:

- طب كفاية تلبيخ وخليني أشوف شغلي.

- أنت عارف إني باشتتك ومع ذلك سبتني.. تقدر تشوف شغلك أنا ما منعتكش.

- طب بتشتتيني ليه؟

- عشان بجد ما أعرفش حاجة.

- وهي اللي ما تعرفش حاجة تقول إنها ما تعرفش ولا تشوّش على الحقايق.

لم تجد يارا ما تقوله فهمهمت قائلةً:

- اتفضل اسأل يا سيادة المقدم!

- آدم بيقول إن أشرقت عبد الوهاب كانت بتكره فؤاد جدًّا.

- في دي معاه حق.. أشرقت دي مكلكعة أوي وشايفة نفسها فوق البشر.. متعصبة لرأيها لدرجة إنها ممكن تقتل فعلًا.. عرضت على جلال يشتغل معاها بضوابط معينة بس هو رفض.

- عشان رافض اتجاهها؟

- جلال ما بيرفضش حاجة واكلة مع الناس.. وحملة الانضباط الأدبي بقى ليها جمهور معظمه بنات.. يعني حاجة على مقاس جلال.

- أومال رفض ليه؟

- عشان علاقته بفؤاد وبدار تواصل.

- طب فاروق نصَّار ممكن يقتل فؤاد؟

- فاروق على قد ما بيهاجم فؤاد بس بحس إنه من جواه بيحبه.. واخده مثل أعلى وبيشوف فيه الحاجات اللي كان ممكن يعملها لو خد نفس الفرص اللي جت لفؤاد.. حتى في نقده الجارح تحسه بيقول للناس "أنا كنت هاكتب زي فؤاد بس هعدِّل وأكتب مكانه كذا وكذا".

- بس كل الناس أجمعوا على إنهم مش طايقين بعض.

- دي حقيقة.. بس عمرك شوفت توم قتل جيري؟!

- طب وسلمى حجازي؟

- سلمى دي من اللي بيشوّهوا صورة الست في المجتمع ده.. دي بتطارد فؤاد ولا كأنها شغالة عنده.. ما ظنش العبد ممكن يقتل سيده!

قال آدم وقد شعر أنه تملّك من لجامها:

- سمعت إن ما فيش عمار بينك وبين يعقوب حنّا.

- يعقوب ما سابش أي هرمون إستروجين إلا وحاول معاه!

- كلكوا شوقتوني أقابله.

قالت يارا بتهكم:

- ما أظنش، بس أكيد هيجيلك تحقق معاه.. ما تقلقش يا باشا، ما فيش عليك خطر منه!

ضحك أكمل ثم قال وهو يسرح في ضفائر شعرها الرفيعة التي تشبه ضفائر أطفال النوبة:

- تفتكري حد من الأجانب ممكن يكون مسئول عن الاغتيال؟

- الأجانب لو مش عايزين فؤاد على وجه البسيطة هايكونوا محترفين أكتر من كده.. مالهومش في الشغل الرخيص ده.. يعني لا سم ولا مكان عام ولا كل الكلام ده.

- قصدك زي حادثة الفنانة المشهورة اللي قالوا إنها انتحرت في لندن؟

- بالظبط كده.. صحيح القاتل الحقيقي مصري والموضوع طلع لعبة نظام.. بس اللي نفّذ كان أجنبي.

- تعرفي إني فكرت إن القاتل يكون متأجر؟

- أنا برضه فكرت في كده.. خصوصًا إني لما شوفت أداء مي أبوالمجد مرات فؤاد في المعرض ما ارتحتش ليها.. كان شكلها عارفة قبل الوفاة ومش عارفة تمثل إنها متفاجأة.. زي ما يكون حد بلّغها قبل ما تدخل الخيمة على طول..

ثم نظرت إلى أكمل في عينيْه لأول مرة منذ أن دخلت، وأردفت:

- أو تكون هي اللي قتلته!

قال أكمل بعصبيةٍ حاول إخفاءها:

- مش ملاحظة إن الوحيدة اللي اتهمتيها صراحة هي ست زيك وإنتي متعصبة للستات؟

قالت يارا بأسلوبٍ هجومي:

- أنت شايفهم مش أقويا كفاية عشان يعملوا كده ولا إيه؟

- طب إنتي مش شايفة إن حكمك ممكن يكون مشوَّش عشان قضية حياتك: إن المرأة نص المجتمع والكلام ده؟

- وليه ما يكونش معايا حق.. بس مش ملاحظ إنك متعصب شويتين من ساعة ما جيبت سيرة مي أبو المجد؟

خرجت من أكمل كحة خفيفة دون إرادته، وقال:

- سيبك من مي وقوليلي: إنتي إزاي ممثلة شاطرة كده؟

- أنا ما مثلتش عليك.

- بقالي ساعة بأحقق معاكي وما قولتيش ليا كنتوا بتعملوا إيه في الفيللا اللي على الطريق الصحراوي.. جلال كان أشطر منكوا وجالي يوم المعرض قبل ما أمشي على طول، وحكى لي على السبب اللي جمّعكوا إنتوا الأربعة مع بعض.

قالت يارا في محاولةٍ بائسةٍ أخيرةٍ للدفاع عن نفسها:

- الكدَّاب ده قال لك إيه بالظبط؟

- بطلي تمثيل.. حبيب القلب حكى لي عن موضوع "الريّس".

بدت على وجه يارا الدهشة وقبل أن تُجيب قاطعها اقتحام محمود الأنصاري مكتب أكمل وقال له بأنفاسٍ متلاحقةٍ:

- تعالى بسرعة يا أكمل.. تقرير الطب الشرعي وصل ولازم تشوف اللي فيه حالًا!

10 - مصلحة

- فاروق باشا نصَّار؟.. ده أنا مستنيك من الصبح.

هكذا بدأ محمود الأنصاري حديثه مع فاروق نصَّار الذي جلس أمامه مندهشًا من ترحيب محمودٍ الذي أمر أحد العساكر بإحضار القهوة له.. كان فاروق كهلًا ذا شعر طويل أشعث، يرتدي بدلةً

صيفية باهتة اللون مبتلة من عند الإبطين، تحتل الهالات السوداء مستعمرة كاملة أسفل عينيْه، كما تحتل التكشيرة شفتيْه طوال الوقت.. نظر إلى محمود من أسفل إلى أعلى ثم قال:

- أومال فين زميلك اللي كان شايف نفسه يوم المعرض؟

- أكمل باشا؟ أصل أنا وهو اللي ماسكين التحقيقات المهمة في فرقة البحث الجنائي.. وزي ما تقول كده بنقسمكوا بيننا.

- وأنت حظك جه فيا؟

- حظي؟! طب وغلاوتك أنا عملت خناقة مخصوص عشان أخدك.

- علشان كل الناس بتتهمني بسبب عداوتي مع فؤاد؟

هزَّ محمود رأسه نافيًا وقال:

- لأ طبعًا.. الاتهامات ما فيش أسهل منها.

- أومال ليه؟

- علشان كل المتهمين عارفين فؤاد الكاتب.. حتى مراته عرفته بعد ما اتشهر وغالبًا حبت المؤلف أكتر من البني آدم.. بس أنت الوحيد من المتهمين اللي عارف فؤاد الإنسان.

- علشان كان زميلي في المدرسة.

- ابتدينا نكدب آهه يا فاروق.. فؤاد ما كانش مجرد زميل دراسة بالنسبالك!

اتسعت عينا فاروق وقال:

- أنت بتتهمني بالكدب؟

اعتدل محمود في جلسته وضرب مكتبه بيده ليحدث صوتًا عاليًا أثار فزع فاروق والموظف المكلَّف بتدوين أقواله.. وصاح في فاروق:

- أنا لحد دلوقتي محترم فرق السن اللي بيننا.. ومستحمل عجرفتك وغرورك اللي على الفاضي.. بس تنسى نفسك وتستهبل مش هارحمك.

- يا محمود بيه...

- بلا بيه بلا نيلة.. فنجان القهوة اللي قدامك ده ما كنتش هاتشم ريحته لو كنت مع أكمل.. اتعدل يا فاروق ونزِّل رجلك دي!

ظهر على وجه فاروق مزيج من الرهبة والحنق خاصة حين سمع اسمه مجردًا من الألقاب.. فأنزل قدمه من فوق الأخرى وقال لمحمود بلهجةٍ رسميةٍ:

- اتفضل اسأل!

- كنت بتعمل إيه في حفل توقيع فؤاد؟

هزّ فاروق كتفيْه في حيرةٍ قائلًا:

- حفلة زي دي ملتقى ثقافي كبير وفيها كُتّاب ونقّاد كبار وممكن يكون فيها فرصة ليا أتعرف على حد مهم.

- رايح تعمل شو يعني؟

- تقدر تسميها مصلحة.

- كلّمني عن علاقتك إيه بفؤاد؟

- كنّا جيران وبنروح نفس المدرسة من إعدادي لثانوي.

- كان صاحبك المقرّب.. الأنتيم يعني؟

- بالنسبالي بس.

- مش فاهم!

طأطأ فاروق رأسه وقال:

- يعني أنا كنت منطوي، وما زلت يعني.. بس فؤاد كان اجتماعي وكانت الناس دايمًا حواليه والعيال بتحب تمشي معاه.. حتى البنات كانوا بيحبوه لدرجة إنهم كانوا بيتخانقوا عليه.

- بس فؤاد يعني شكله عادي.. مش النوع اللي يعمل هوس للجنس اللطيف؟

- زمان كان وسيم ورياضي.

- أومال إيه اللي حصل له.

- الزمن ما بيحرمش.. ده غير إن شغلانة زي الكتابة دي بتحتاج قعدة كتير وتفرُّغ، ضيف على كده بقى ضغط الشغل اللي بيتعب الأعصاب.

ده غير إن فؤاد كان عنده عادة غريبة: ما كانش بياكل لقمة واحدة طول ما هو بيكتب.. فكان بيخلص كتابة وياكل وينام.

- طبعًا غير حرقة الدم وإن الناشر دايمًا مستعجل على الكتابة اللي مش بتيجي غير بالإلهام وفي مزاج ومود معين؟

- بالظبط كده.

- كانت إيه عيوب فؤاد زمان؟

أرجع فاروق رأسه إلى الخلف قليلًا وأغمض عينيْه للحظاتٍ، قال بعدها:

- تقريبًا ما كانش فيه عيوب.. كان مثقف وعيلته محترمة جدًّا ومتفوق في الدراسة.

- وكان بيعاملك إزاي؟

- الشهادة لله كان بيعاملني كويس جدًّا.. ويوم أبويا ما اتوفى وأنا في إعدادي فضل جنبي ما سابنيش.. وهو اللي خرجني من دايرة الحزن اللي كان ممكن أفضل فيها طول حياتي.

- واضح من طريقة كلامك إنه كان قدوة ليك بجانب الصحوبية اللي كانت بينكوا؟

- كنت بأعتبره أخويا الكبير برغم إننا قد بعض في السن.

- طب حلو أوي.. إمتى بدأت المشاكل بينكوا؟

- بدأت مع نهاية السنة الكبيسة في حياة أي إنسان: الثانوية العامة.

- إزاي يعني؟

- يعني زي ما قولتلك فؤاد كان جاري.. فكُنا بنذاكر مع بعض.

- وطبعًا إنت كنت أشطر منه؟

- بكتير.. بس عرفت إزاي؟

- العـُزلة بتعلم التفوق يا أستاذ فاروق.. كمِّل!

- فؤاد كان أذكى مني شويتين.. يعني اللي أنا بذاكره في عشر ساعات كان هو بيخلّصه في ساعتين تلاتة بالكتير.. بس ده ما يمنعش إن أنا كنت بساعده وبلّخص له الدروس، ولو حاجة ما حضرهاش كنت بشرحهاله لحد ما يفهمها أحسن مني.

- وطبعًا كنتوا بتقعدوا ورا بعض في لجنة الامتحانات عشان اسمكوا قريب في الترتيب الأبجدي؟

- وهنا بقى زاد الطين بلّة.. كنت باغششه وكل حاجة تمام.

- عمل زي العيال الواطية وما غششكش؟

- لأ مش فؤاد اللي يعمل كده.. وأنا أصلًا ما كنتش بأحتاج منه حاجة.. بس النتيجة لما ظهرت جاب أعلى مني بكتير وأنا زي ما تقول كده اتظلمت في التصحيح.

قال محمود مؤيدًا:

- حاجة بشعة إن مستقبلك كله يكون تحت رحمة مدرس بيعلم الورق بالرُّزم يوميًّا.

شعر فاروق أنه كسب محمود في صفه وقال طامعًا في المزيد من العطف:

- طب أنت لو مكاني هاتعمل إيه؟

- أنا لو مكانك هازعل.. بس فؤاد ما لوش ذنب.

- مش هاخبي عليك وأقولك ما زعلتش.. عملت تظلمات والتماسات ورفعت قضايا بعدد شعر راسي.. بس ولا حاجة.

- طبعًا ولا حاجة.. النظام ده من أيامكوا لحد دلوقتي.. ما ينفعش يطلع غلطات كبيرة على المصحح لأنه هايتجازى فيها.. لازم يفوّتوا لبعض.

- بس اللي قهرني بجد إن فؤاد دخل آداب لغة عربية - بمجموع أكبر من المجموع المطلوب بكتير - زي ما كُنا بنحلم سوا.. وأنا راحت مني الكلية على نص درجة.. تخيّل إن مصاير كاملة بتتغير عشان نص درجة!

- وبعدين؟

- فؤاد حس إني زعلت منه وحاول يصالحني كذا مرة.. بس أنا كنت بانكر الزعل أصلًا.. الفجوة زادت بيننا وكل واحد بقى له حياته.. لحد ما قطعت معاه كلام وحاولت أنسى إني كنت أعرف حد اسمه فؤاد الغرباوي أصلًا.

- هو كتب أول أعماله إمتى؟

- كان في آخر سنة في الكلية وكان أول إصدارات دار النجاح وقتها.. بس شهرته اتأخرت.

- وأنت كنت ساعتها فين؟

- أنا كنت ساعتها باشتغل جنب الكلية.. قدمت في جرايد ومجلات كتير بس كله كان طالب واسطة.. لحد ما اتعينت في مجلة صغيرة وقعدت فترة كبيرة باكتب في قسم الحوادث.

قال محمود:

- بس مش باين عليك إنك كنت صحفي حوادث.. صحفي الحوادث بيعرف ينافق الظباط ويطبل لهم عشان ياخد أخبارهم.. ولازم يكون حِرِك، وأنت مش كده خالص.

- ما أنا زي ما تقول كده كنت حوادث انتساب، يعني كان كله شغلي إني أروح الصبح أقرا الجرايد الحكومية الكبيرة.. أطلع شوية أخبار حوادث وأغير في الصياغة وأبعت للتحرير، وشكرًا على كده.

- كنت بتنحت يعني؟

- كله كان بينحت.. قعدت خمس سنين على كده واشتغلت في أكتر من جرنال من نفس العينة دي.. واضح إني كنت كويس في النحت.

- وفؤاد في الوقت ده كان بيعمل إيه؟

- ما كنتش مهتم.

- مش اتفقنا نبطل كدب؟!

- فؤاد في الوقت ده كان بيعمل دراسات عليا عشان اتعين في الكلية.. وسافر بعثة لبريطانيا على النفقة الشخصية لدكتور كان بيدرِّسله.. البلد اللي كان طول عمري باحلم أروحها.

- وما إتجوزش ليه؟

- الشغل كان واخد كل حياته.. بعدين أنت لما تكون حواليك بنات كتير عايزينك.. نفسك بتتسد ومش أي واحدة بتلفت انتباهك بسهولة.

وأنا اتجوزت مخصوص عشان أبقى اتفوقت على فؤاد في أي حاجة.

- طب كويس.

- لأ مش كويس.. كانت جوازة صالونات فاشلة.

- معلوماتي بتقول إنها رفعت عليك قضية عشان تطلق.

- وطبعًا معلوماتك إنها قالت عليا في القضية إني مدمن هيروين.

- الكلام ده صحيح؟

- دي الحاجة الوحيدة اللي فخور بيها في حياتي.

- إنك كنت مدمن؟

- لأ طبعًا.. قصدي إني عرفت أرجع من الإدمان، وخصوصًا الهيروين.. تقريبًا حالة واحدة من وسط عشر حالات إدمان اللي بيعرفوا يرجعوا.. بس نظرة خيبة الأمل في كل اللي حواليا كانت

بتحطمني، خصوصًا ولادي ومراتي.. كل الناس بتتعامل معاك على إنك ميت مع إيقاف التنفيذ.. كل الناس شايفاك عالة وأي فلوس في جيبك مصيرها للتاجر اللي بيجيبلك..

اترفدت من الشغل واتطلقت من مراتي واتحرمت من حضانة ولادي، الحياة طلعت لي لسانها وقالتلي إشرب يا فاروق.

- وطبعًا في فترة إدمانك فلوسك خلصت.

- وده سبب من أسباب كتير خلتني أكره فؤاد.. فؤاد كان بيبعت فلوس من ورايا لمراتي، وهو اللي صرف عليا وقت ما كنت بأتعالج في المصحة من غير ما أعرف.

- طب ما هو بيساعدك أهه.

- بيساعدني واللا بيتصدق عليا وبيكبَّر نفسه قدام مراتي على حسابي؟

بعدين لو كان عايز يساعدني ما كانش جاب لمراتي محامي كبير خلص لها قضية الطلاق في جلستين!

استغرب محمود من آخر جملة، وقال مُعقبًا:

- الله يرحمه كان شخصية غريبة أوي.

- من ساعة ما ابتدا يتشهر وهو اتحول لشخصية تانية خالص.. بقى عنيد زي الأطفال.

- وأنت إمتى بدأت شغلة الناقد ده؟

- هاتصدق لو قولتلك إن فؤاد هو السبب.

- إزاي؟

- أول رواية تشتهر من رواياته، وتعمل له اسم مع الناس.. كتبت فيها رأي تفصيلي كنت بأنفّس بيه عن اللي جوايا من ناحيته والظلم اللي شوفته من ساعة ماعرفته وحطيته على مكتبي.. صحفي شاب قرا المقال بالصدفة، حب يخدمني راح موصلّه لجريدة مهمة ونزل باسمي.. كان نفسي أبقى كاتب.. بس ساعتها حسيت ربنا بيعوضني.

- حسيت وقتها إن حياتك رجعتلك تاني؟

- ساعتها حياتي ما رجعتش لأنها ما كنتش موجودة عشان ترجع.. بقيت اجتماعي شوية، واتصالحت على مراتي ووافقِت أشوف ولادي بمواعيد أسبوعية.. بقيت باتطلب بالاسم من أكبر جرايد البلد.

- كنت بتنتقد كل الكُتّاب واللا فؤاد بس؟

- كان شغلي بشكل عام على الكل.. بس أكتر مقال كان بيتطلب اللي عن فؤاد.. واضح إني بيجيلي حالة إبداع خاصة لما بهاجمه.

- لازم تكون كده.. إنت شايفه استغل مجهودك ودخل الكلية اللي كنت بتحلم بيها، وكان بيرميلك الفلوس كأنها حسنة، وطلّقك من مراتك، وسافر البلد اللي بتحلم تسافرها، واشتغل الشغلانة اللي كان نفسك فيها.. باختصار فؤاد سابك تحلم وراح حقق كل أحلامك.

قال فاروق بحسرة:

- تقدر تقول كده..

- وبما إن دوام الحال من المحال.. قول لي ابتديت تنهار والناس نسيت اسمك إمتى؟

- الناس عمرها ما افتكرت اسمي أصلًا.. الناقد عمومًا ما بياخدش شهرة الكاتب.

بس لو قصدك على انتهاء فترة صلاحيتي كناقد فالكلام ده أول ما فؤاد اتشهر بجد وبقت كلمته مسموعة في الوسط.

- بقى له معجبين زي سلمى كده بيهاجموك؟

- مش كده بس.. فؤاد كان شبكة علاقات عامة في المجال الأدبي والصحفي، ما كانش بيسيب وقفة قدام نقابة الصحفيين إلا ويروح، وماسابش كاتب إلا ووقف جنبه.. مع الوقت بقى معاه قوات مسلحة بتدافع عنه وقت ما يطلب..

زفر بحنق، وحرك يده في شعره وأردف قائلًا بحزن:

- هو كل اللي عمله إنه قال فاروق نصّار كلامه بيضايقني.. وفجأة الكل قاطعني كأن عندي الطاعون ومافيش حتى مجلة أطفال وافقت تشغلني.

- وكبريائك وقتها منعك تطلب شغل أصلًا؟

- نصيب بقى.

- بس فؤاد له أعداء ومهاجمين كتير.. إشمعنى أنت اللي كلامك ضايقه، وإشمعنى ما حاربش حد زي ما حاربك؟

- فؤاد كان شايفني خاين، وبيعت الصداقة.. ده غير إني الوحيد من اللي بيهاجموه اللي ماليش ضهر.

- طب هسألك السؤال التقليدي اللي سألته لغيرك بعيد عن دور الضحية اللي أنت عايشه ده.. تفتكر مين قتل فؤاد؟

- أعتقد نفس الشخص اللي بقى بيدفع لي فلوس عشان أرجع أكتب على النت والناس ترجع تقرا كلامي..

- ده شكله واحد بيكره فؤاد زيك بالظبط.

- آه.. قال لي قبل كده إنه ممكن يقتل فؤاد لو فضل يهاجمه ويأثر على شغله.. أنصحك تتخانق مع زميلك الظابط عشان يكون من نصيبك في التحقيقات هو كمان.

- للأسف أكمل حجزه، وخيَّرني بينه وبينك.. شوفت بقى إنك غالي عندي.

- أنت بتكدب يا محمود باشا.. أنا لسه ما قولتش ليك باتكلم عن مين.

- واضح جدًّا إنك بتتكلم عن خالد العبد!

- بالظبط كده.. جدع يا باشا!

***

حين توقفت سيارة كريم الريَّان أمام مديرية الشرطة ظهر من العدم الكثير من الصحفيين والمصورين، والمواطنين الرافعين هواتفهم المحمولة لأعلى طمعًا في التقاط صورة أو مقطع مصوَّر..

كان يرتدي نظارةً شمسيةً باهظة الثمن ليغطي بها تعبيرات وجهه، وقميصًا أسود اللون فوق بنطلون من نفس اللون. حاول أحدُ الشباب التقاط صورةٍ معه بطريقة "السيلفي" ولكنه تلقى دفعةً كبيرةً من أحد الحراس الذين خرجوا من السيارة قبل كريم.

استقبله المحامي قبل الدخول إلى مكتب محمود الأنصاري ليتلو عليه التعليمات الأخيرة ويُذكِّره بها، فأشار إليه كريم بيده إشارة تدل على أنه لم ينسَ تلك التعليمات ودخلا معًا.

قال محمود ببهجةٍ مفتعلةٍ موجهًا حديثه إلى المحامي:

- معاذ باشا عصفور بنفسه في مكتبي؟ منور يا سيادة المستشار.

- متشكر يا أفندم.. أنا حاضر مع أستاذ كريم الريَّان.

- أنا من رأيي توفر بلاغتك وحججك القانونية للنيابة.. ده لو كريم وصل للمرحلة دي أصلًا.. أتمنى تستتنى برة بهدوء.

- رؤساؤك مش هايكونوا مبسوطين لو نقلتلهم كلامك ده على لساني.

- أنت هتقول لي على لسانك؟ بس يا سيادة المستشار القضية دي رأي عام.. والصلاحيات كلها في إيد المقدم أكمل العطار، وهو نقلها ليا.

قال معاذ بعصبيتِهِ المعهودة:

- بس أنا مش هاسكت.

- كان زمان موكلك دخل وخرج وقبَّضك أتعابك كمان.. ما لوش لزمة الشو قدام الصحفيين اللي برة عشان يقولوا إنك بتمشي كلامك على الداخلية.. أبقى روح بالليل اعمل مداخلة من الحلوين بتوعك دول اشتمني فيها.

نظر إليه معاذ بحنقٍ وكاد أن يقول شيئًا يندم عليه كعادته.. ولكن إشارة من محمود إلى أحد العساكر ليغلق الباب في وجهه منعته من هذا، وراح ينطق بكلماتٍ غير مفهومةٍ بصوتٍ عالٍ.

قرر محمود اتباع حيلة الشرطي الغاضب مع كريم.. فأجلسه على أحقر مقعد موجود في ركن الغرفة، وجذب كرسيه ليجلس أمامه، وأشار إلى كاتب التحقيق ليلحق به لتدوين ما يُقال.. فقال كريم:

- مالك يا محمود باشا؟.. من ساعة ما شوفت معاذ عصفور وأنت متعصب.

- ما بحبوش يا جدع، دمه تقيل وشايف نفسه على الفاضي.. أنت هاتشاركني يعني؟

- لو كنت أعرف كنت جيبت لك المحامي التاني.

- قصدك على عبد الحميد التعلب؟ ما بحبوش أكتر..

ثم أردف محمود قائلًا بخبث:

- بعدين أنت مش عامل فيها ثورجي ومن أول الناس اللي نزلت التحرير؟

- طبعًا.. ده كان شرف ليا.

- أومال إيه اللي أنت موكلهم دول.. ده الاتنين بيكرهوا الثورة عمى.. وخصوصًا أخونا التعلب.

- بس أُسُود يا باشا.. أي حد في الوسط الفني أو الثقافي بيعرف إنهم جنبي بيخاف.

- بس البنت اللي رفعت عليك قضية إثبات نسب.. فكرك ما خافتش عشان هي شجاعة ولا عشان كانت متأكدة إن معاها حق؟

- بس أنا كسبت القضية، وطلَّعتها كدابة قدام الناس كلها.

- على فكرة الكاتب لسه ما كتبش حرف في التحقيق.. تقدر تتكلم براحتك يا كيمو.

ضحك كريم وقال:

- يا باشا أنا هافتكر إيه ولا إيه.. بعدين أنا ما بضربش حد على إيده.

- طب البنت اللي قالوا إنها سجلت ليك فيديو والنت كله بيدوَّر عليه؟

- دي بنت موديل.. طلبت تطلع معايا في كليب كنت باعزف فيه مع باند كبير، وأنت عارف الشغل بتاعي مش تقليدي.. اعتذرت لها.

- وطبعًا عشان هي شريرة ووحشة راحت اديتك منوَّم وصورتك معاها في أوضاع مش تمام.

- أنا بس عايز أفهم حياتي الشخصية إيه علاقتها بفؤاد الغرباوي؟

- أنا عرفت إنه كان معاه الفيلم بتاعك وهددك بيه.

- قول حاجة تتصدق يا باشا.. فؤاد كان طيب ومحترم.. مستحيل يعمل تصرف رخيص زي ده.. هو آخره يكتب فيَّا كام مقال يهزقني فيهم.

- يعني أنت ما بعتلوش رسالة تهديد مع الواد الهاكر اللي مصاحب مالك سعد الدين؟

بدت على كريم الدهشة، وقال لمحمود وعيناه في الأرض:

- ما حصلش!

- ما تكدبش يا كريم.. ممكن أتحفظ عليك وأخلّي الصحفيين أول ناس يعرفوا.. هاخلّي منظرك زفت قدام جمهورك..

انفجر كريم صائحًا:

- ما قتلتوش!

- أنا عارف إن واحد زيك ما يقدرش يموّت كلب بلدي.. بس مش معنى كده إنك تخفي معلومات ممكن تهمني.

- يا باشا أنا ما أعرفش مالك قال لكوا إيه.. بس مالك بيكرهني، أنا كل اللي قولته: "قول لفؤاد يكدّب اللي بيتقال إنه معاه الفيلم اللي هايقعّدني في البيت.. قول له ما ينفعش الكلب يجر صاحبه".

- طبعًا فؤاد هو صاحب الكلب اللي اتجر للموضوع.. مين بقى الكلب؟

- لطفي أبو الخير..

ثم صمت للحظاتٍ، وقال بلهجةٍ يملؤها العِند:

- وعلى فكرة أنا بأتهمه رسميًّا بأنه هو اللي قتل فؤاد.

- تعرف إنك أول واحد يقول كده؟

- عارف.. بس عشان أنا أكتر واحد عارف حقيقته.. لطفي جالي بعد التنحي علشان أكتب كتاب عن الثورة.. كان في الوقت ده أي كلام عن الموضوع ده بيبيع مع الناس.. ساعتها أنا كانت الحماسة واخداني وما رضيتش أتاجر بحاجة ممكن يكون غيري شايفها من وجهة نظر أحسن مني.

- ولما بقيت كريم الريَّان العازف المشهور ندمت على الفرصة دي؟

- آه، وروحت له أعرض عليه الفكرة تاني.. بس ساعتها كان عدى سنة على الثورة، وما كانش حد طايق الثورة ولا الثوار بعد التشويه اللي حصل.. وبصراحة تجاريًّا كان معاه حق بس أنا اتضايقت من الطريقة اللي استقبلني بيها أصلًا.

- بتعجبني صراحتك يا كريم.. كمِّل.

- من وقتها حلفت لأخليه هو اللي يرجع لي عشان يشتغل معايا وأرفضه.. ركزت في العزف، عملت حفلات كتير وبقى ليا جمهور كتير.. وجت ليا فكرة مذكرات الطفولة دي.

- وطبعًا أيًّا كان المحتوى بتاع الكتاب.. كفاية إنه نازل باسمك وإن محتواه مش سياسي عشان تضمن تبيع عشرين طبعة على الأقل.

- لطفي ويعقوب فهموا الموضوع ده.. عشان كده أول ما نزل خبر إني باحضّر كتاب زحفوا ورايا علشان أمضي مع أي حد فيهم.

- والاتنين كرهوك بعد ما مضيت مع ناشر تالت.

- وقتها كان يعقوب شغّال فؤاد الغرباوي، وكان لسه ماضي مع خالد العبد.. ما خدش الموضوع على صدره.

- بس لطفي كان لسه خسران خالد وعايزك تعوضه عن خسارته؟

- بالظبط كده.. هددني بقى إنه هايخسَّرني كل جمهوري.. وكلام كتير ما فهمتوش غير بعدها.

- عمل إيه معاك؟

- زقّ عليا البنت اللي بيقولوا إنها صورتني.. بس أنا طبعًا ما عملتش معاها حاجة.

ضحك محمود ضحكةً ساخرةً، وقال:

- يا واد يا مؤمن!.. بس تعرف إننا لما فتحنا الجهاز الشخصي لفؤاد مالقيناش عليه حاجة؟

- قولت لحضرتك لطفي استغل خلافنا الأدبي، واستغل إن فؤاد انتقدني سياسيًّا من فترة وحصل بيننا خناقة على النت.. وصدَّر فؤاد للمشهد، وحطه في وش المدفع عشان يطلع بدور الملاك اللي بيحاول يصلح بيننا.

- بس فؤاد ما اعترضش؟

- فؤاد كان منعزل عن كل اللي حواليه، زي ما تقول كده أسير شغله.. كان آخره مقال أو اتنين في السياسة.. بس كان بيرجع بسرعة للكتابة سواء روايات أو مقالات نقد عادي.

- علشان التيار السائد كله مش متفق معاه في معظم آرائه السياسية وده كان هياخد من شعبيته؟

- فؤاد مش بيخاف على شعبيته.. جمهوره أكتر من إنه يقل علشان سياسة.. بس هو ما كانش بيحبها أصلًا.

- أنا لحد دلوقتي مستغربك يا كريم.. كل اللي اتحقق معاهم قبلك اتهموا يعقوب.. أنت الوحيد اللي شايف لطفي شيطان.

- علشان أنا من القليلين اللي فاهمين الحقيقة.

- حقيقة إيه؟

- حقيقة إن يعقوب مهما كان خبيث فهو في الآخر له نقطة ضعف مصر كلها عارفاها: الستات.. اللي هي أكتر حاجة ممكن تدمر الشخصية العامة.. زي ما كانت ها تدمرني أكتر من مرة.

- طب ولطفي أبو الخير؟

- لطفي ذكاؤه أصلًا نابع من إنه مش بتاع ستات.. علشان كده عقله رايق وبيعرف يفكر صح.

- مش بتاع ستات إزاي؟

- هي دي محتاجة شرح يا باشا.. شخص غني ومعدِّي الخمسين ولسه ما اتجوزش.. يبقى ماله يا باشا؟

- يبقى ما لوش كريم.. ما لوش خالص.

***

كانت لدى محمود عادة غذائية غريبة.. فقد كان يُحب تناول النشويات قبل اللحوم وليس معها عكس معظم الناس.. لذلك فقد جعل ترتيب يعقوب حتّا الأخير في التحقيقات لذلك اليوم المُرهق، على اعتبار أنه المسك الذي سيختم وليمته.

لم تكَن هالة الإعلاميين المصاحبة لكريم الريّان قد انفضت بعد.. فنال يعقوب منها نصيبه، ومثله مثل كريم لم يدلِ بأي تصريح.. وعكس ما توقع محمود فقد جاء حنّا منفردًا دون اصطحاب أي محامين.

كان يرتدي بدلة غالية الثمن ويضع على رأسه الكثير من مثبت الشعر، وقد ربط حول عنقه منديلًا حريريًّا كأثرياء الثلاثينيات.. جلس يعقوب دون أن ينتظر الإذن من محمود، ثم وضع ساقًا فوق الأخرى ونظر إلى محمود قائلًا:

- أنا سمعت إن أكمل باشا العطار هو اللي ماسك التحقيقات.

قال محمود بتهكم:

- يبقى ودنك ما لقطتش اسم "محمود الأنصاري" يا عم السمّيع.

- أنت تقرب للوا عبد المجيد الأنصاري؟

- ما ظنش ها يفرق معاك أقرب له ولا لأ، وما أظنش كمان ها يفرق معاك وجود المقدم أكمل من عدمه.

- طب ممكن تبعت له وتقول له يعقوب حنًّا هنا..

ثم غمز غمزةً طويلةً وقال بلهجة تحذيرية:

- وبيقولك عايز فلوس صيانة الأسانسير بتاعت العمارة إياها؟

أبدى محمود دهشته وانتظر حتى ظهرت علامات النصر على وجه يعقوب، واستدعى محمود أحد العساكر من الخارج حين ضغط على زرار مثبت في مكتبه.. وقال موجهًا حديثه إلى العسكري:

- روح يا ابني..

ثم نظر إلى يعقوب وقال للعسكري وهو يقهقه:

- هات لي لمون.. وشوف ليعقوب باشا حاجة ياكلها.

قال يعقوب غاضبًا:

- بس أنا مش هاسكت، قد أعذر من أنذر!

اقترب محمود من يعقوب لكي لا يسمع الكاتب حديثهما:

- فكرك أكمل كانت هاتفوته حاجة زي دي.. أكمل عرَّفني موضوع العمارة إياها علشان كان عامل حساب حاجة زي دي.. وعرفني كمان إنك إنت كمان واخد شقة لزوم الأُنس.. بس هو ما

حبش التحقيق يتأثر بعلاقتكوا غير الشريفة دي يا راعي الهلس في الوطن العربي.

- بس أنا لو وقعت مش هاقع لوحدي.. خُد بالك فيه شقة باسم أكمل.

قاطعه محمود ضاحكًا:

- اللي ما تعرفوش بقى إن أكمل أول ما استلم التحقيق في القضية اقترحت عليه يخلّي الشقة مؤقتًا باسم يُمنى مراته.. تعرفها؟

- لأ.. وما يهمنيش.

- هايهمك لما تعرف إن أبوها المستشار عاصم الحبيبي.. مرشح يبقى وزير العدل.. تخيَّل بقى لو أنت طلعت وقولت إن بنته عندها شقة في عمارة مشبوهة بدون أي دليل ملموس!

- أنت دماغك شيطاني.. أوعى تكون إنت اللي اقترحت على أكمل موضوع التفتيش الأسبوعي عن الكاميرات والميكروفونات؟

- لأ بصراحة أول مرة أعرف الموضوع ده منك.. بس برضه أكمل دماغه سم وهو اللي معلّمني.

أشار يعقوب إلى ساعته ذات الماركة الثمينة قائلًا:

- أنا وقتي ضيق.. يا ريت تاخد أقوالي علشان أمشي.

- مالك واثق أوي إنك هتمشي كده؟

- علشان أنا ما عملتش حاجة.

- معظم الشهود بيتهموك إنت.. مي أبو المجد بتقول إنك روحت اتخانقت معاه، ورفيق الحارس الشخصي لفؤاد أكّد الموضوع ده.

- تقرير الطب الشرعي ظهر؟

- آه.. بس ده موضوع ما يخصكش أصلًا.

- أنا أكتر واحد ممكن يتضر من وفاة فؤاد.. خصوصًا في الوقت ده.

اندهش محمود وقال:

- اشرح أكتر.

- تخيّل أنا كنت طول الفترة اللي فاتت بالمَّع خالد العبد.. وباعمل منه نجم على أمل إني أضرب بيه فؤاد وأعوض خسارتي.. دلوقتي لما فؤاد مات.. تفتكر فيه دعايا ممكن تتعمل لرواية "المملكة الظافرية" أحسن من كده؟

- أنا سمعت إنها عاملة رقم قياسي في المبيعات.

- تخيّل بقى الخسارة اللي خسرتها مع خالد لصالح لطفي أبو الخير.. صحيح العبد مبيعاته كويسة ولو فؤاد كان لسه عايش كان ممكن خالد يعلى عليه.. بس منه لله اللي قتله بقى.

- بس أنت بنفسك هددته في بيته!

- كان مجرد تهديد في لحظة عصبية.. أنا ما يفرقش معايا فؤاد ولا خالد، وما قريتش لحد فيهم أكتر من كتابين.

- أومال إيه اللي يفرق معاك؟

-المصلحة.. المصلحة وبس.

- طب ما يمكن أنت زعلت إن فؤاد مضى مع لطفي وقطع عنك المصلحة دي.

- مش هاكدب عليك.. أنا جالي الضغط في حركة فؤاد دي. بس في الأول وفي الآخر مش هاستفيد من موته.. وبصراحة اللي فؤاد عمله شال عني هَمْ كبير.

قال محمود وقد بدأ يبدي اهتمامًا بكلام يعقوب:

- هَمْ إيه؟!

- اللي كان ممكن لطفي أبو الخير يعمله.. لطفي كان زي اللي واخد ضربة ساطور قاسمة دماغه بعد ما بقى معايا أكتر اتنين بيبيعوا في مصر دلوقتي.. ما كانش باقي على حاجة وكان ممكن يئذيني.

أومأ محمود برأسه كعلامة على الفهم، وسأل يعقوب قائلًا:

- طب تفتكر مين ممكن يستفيد بجد من قتل فؤاد؟

فكر يعقوب لبرهة، ثم قال:

- البنت المجنونة.

- سملى حجازي؟

- لأ.. أشرقت عبد الوهاب.

- أنا أعرف إن أشرقت مكلكعة حبتين بس مش مجنونة؟

- ده اللي تعرفه عن أشرقت، مش عن ندى.

قال محمود مندهشًا:

- ندى مين؟

- ده الاسم اللي أشرقت عاشت بيه طفولتها.. كانت متربية في دار أيتام وطول النهار والليل كانت بتقعد تقرا، مشرف الدار كان بيضربهم كل يوم تقريبًا.. كان سادي وغاوي اعتداء على الأطفال.. هي بعد ما طلعت من الدار اختفت سنتين ورجعت معاها فلوس محترمة وغيرت اسمها واشتغلت في المجال الأدبي.

- هي اللي حكت ليك الكلام ده؟

- عمرها ما قرَّبت من مكتبي..

ثم نظر إلى الكاتب نظرةً ذات مغزى، وقال:

- ما أعرفش مين ابن حرام فهمها إني غاوي ستات.

ضحك محمود وصفَّق بيديه كأنه ينفض عنهما الغبار، وقال:

- ولا أنا أعرف مين ابن حرام ممكن ياخد عن حضرتك فكرة زي دي.. ده أنت ملاك يا راجل.

- لأ ملاك ده أخويا.. أنا يعقوب بس.

- على ذكر ملاك.. تعرف إني محترم فيك إنك ما دخلتش عليا دخلة المسيحي المضطهد وإني عايز ألبسك القضية عشان أنا مسلم متعصب.

- نادر أوي لما مسيحي بيعمل كده.. ده أسلوب رخيص أصلًا.. إحنا أدياننا مختلفة بس المعصية واحدة.

- طب قول لي بقى.. مين اللي جاب لك التاريخ بتاع أشرقت؟

- فؤاد هو اللي حكى ليا عن الحكاية دي.. جمع عنها المعلومات دي لأنه خاف منها أحسن تئذيه وكان بيدرس نقط ضعفها..

قاطعه محمود قائلًا:

- وهي أشرقت دي قادرة أوي كده؟

- البنت كانت بتكلمه بلهجة الآمر الناهي، وكانت بتهدده جهارًا نهارًا وبتقول له لو ما التزمش في كتاباته وفضل يحط من ذوق الشباب هتخليه يبطل كتابة.

- هو ممكن خلاف فكري يوصَّل للقتل؟

- لأ طبعًا.. بس أشرقت شخصية مش متزنة.. حتى الجماعة بتوع حملة الانضباط الأدبي كتير بيتبرأوا من كلامها وفيه إشاعة إنها بتتعالج عند دكتور نفساني.

قال محمود كأنَّه يفكر بصوتٍ عالٍ:

- يعني ممكن عقلها يصوِّر لها إن فؤاد ده مثلًا جرحها في حاجة وإن الموضوع مش مجرد كاتب بيعدي خطوط حمرا وبيخوض في المحرمات الأدبية التلاتة؟

أمَّن يعقوب على كلامه كالغريق المتعلق في قشة وقال:

- ممكن جدًّا.. ده مش بعيد تكون بتشوفه بنفس هيئة مشرف الدار اللي كان بيكدرها.

- وبعدين؟

- الفضول دفعني أتأكد من الحكاية دي، وفعلًا فؤاد كان صح.. تقدر إنت كمان تتأكد علشان أشرقت غيرت اسمها في السجل المدني بصورةٍ قانونيةٍ.

- وأنت ليه شاكك فيها هي بالذات؟

- لو راجعت المعلومة اللي قلتها لك هاتكتشف إن مدير دار الأيتام ده مات بعد ما أشرقت سابت الدار بسنتين.

- وطبعًا هاتقول لي إنه مات مسموم؟!

- كويس إنك عرفتها لوحدك.

11 - أقنِعة

قبل ذهابه إلى المديرية بيومٍ واحدٍ.. كتب خالد العبد مقالًا مطولًا عبارة عن رثاء لفؤاد الغرباوي، وصفه فيه بـ "شهيد الأدب".. كما تكلم في نهاية المقال عن حزنه الشديد بسبب التحقيقِ معه على ذمةِ اتهامه باغتيالِ من جعله يعشق الأدب والكتابة.

توجَّه خالد إلى مكتب أكمل العطار.. كان قمحي اللون ممتلئ البطن دون باقي جسده مما جعل البعضَ يظنه مريضًا في جهازه الهضمي، وأنه سيموت مبطونًا.. شَعْره كثيفٌ وقصيرٌ، لم تنبت له لحيةٌ كاملةٌ برغم أنه قد جاوز الثلاثين من عمره، ولكن اللافت في منظره كان عيناه الجاحظتان من خلف عويناته ذات العدسات السميكة والتي تدل على ضعفٍ شديدٍ في الإبصار.

جلس أمام أكمل مُربعًا يديْه بعد أن صافحه بيدٍ مرتعشةٍ تدل على رهبة الموقفِ، وأخرج منديلًا مسح به عرق جبهته برغم أن الأجواء كانت شتويةً، وظل ساكنًا إلى أن قال أكمل:

- إمبارح كان زميلي في فريق البحث الجنائي بيحقق مع بعض المشتبه فيهم.. وفيه سؤال تقليدي كلنا بنسأله للمتهمين "تفتكر مين قتل فؤاد؟"..

قال خالد سريعًا:

- ما أقدرش أتهم حد بعينه.. فؤاد كان كتاب مقفول بالنسبة لي.. في الحقيقة..

قاطعه أكمل قائلًا:

- شوفتني سألتك؟

- نعم!

- شوفتني سألتك مين قتله.. أنا لسه ما كملتش كلامي.

قال خالد بصوتٍ خفيضٍ:

- آسف.

- كنت باقول لك إن ما حدش اتهمك غير واحد بس.

- لطفي أبو الخير؟

- اشمعنى فكرت في لطفي؟

- علشان سيبته ورُحت أشتغل مع يعقوب.

قال له أكمل محاولًا استفزازه:

- وفكرك لطفي بعد ما مضى مع فؤاد الغرباوي.. ها يفضل شايل منك، أو فاكرك أصلًا؟

رد خالد بعدم اكتراث قائلًا:

- وهو فؤاد كان نفعه دلوقتي.

- أنت ما تعرفش إنه عمل ثروة من "المملكة الظافرية" على حس المرحوم؟.. وإن يعقوب زمانه بيضرب نفسه بالجزمة علشان ساب فؤاد واتعاقد معاك.

نسي خالد أنه في تحقيقٍ رسمي، وقال متعصبًا:

- ليه؟.. هو أنا شوية.. بعدين أنا أصلًا اللي عملت للدار بتاعته دي سمعة واسم بعد ما كان بيتحايل على بتوع الجرايد يحطوا الكتب بتاعته على الفرش بتاعهم!

- يعني مش بتغير من فؤاد؟

- فؤاد مين ده اللي هاغير منه!.. لولا اللي باكتبه كان زمان فؤاد مركون على الرف زيه زي غيره.

ومثل ما فعل مع آدم، نظر أكمل إلى ورقةٍ صغيرةٍ أمامه دون أن يُبدي أنه يقرأ منها وقال:

- بس هو قال عنك، وهاقتبس "بيَّاع حكاوي، ولا يصلح لأن يكون أديبًا".

هدأت حدة خالد قليلًا، وقال:

- فؤاد الله يرحمه كان كاتب كبير.. وبغض النظر عن أي مشاكل هافضل أحترمه، وأظن التاريخ هايخلّده أكتر مني.. بس يا ريت الناس تفتكر لي إني دخّلت أسلوب جديد.. حتى لو كان سطحي شوية بالنسبة لمحترفين القراية.

- رجعت للدبلوماسية تاني.. مش كنت زعلان منه من شوية؟

- كنت زعلان.. بس في الأول وفي الآخر صعبان عليا.

- علشان كان مريض بالكبد زيك؟

- لأ.. بس فؤاد في أواخر أيامه ما كانش مظبوط.

- إزاي؟

- مش هاخبي عليك.. دايمًا في الحاشية المقربة لكل شخصية عامة بيكون فيه جواسيس بينقلوا الأخبار.. وأنا سمعت إنه كان بيتردد على شيخ كده اسمه سليمان عبد النور.

- قصدك أحمد سليمان عبد النور بتاع كفر المعبد؟

- بالظبط كده يا باشا.. هو صيته وصل لحد عندكوا؟

- هو صيته واصل لنا من زمان في قضايا نصب، إحنا متحفظين عليه دلوقتي بس لسبب تاني.. قول لي بقى فؤاد كان بيروح له ليه؟

- أنا لما عرفت إن فؤاد بيقابل سليمان عبد النور جيبته البيت عندي، وزي ما تقول كده إديته اللي فيه النصيب وخليته يحكي لي على كل حاجة..

حك خالد أسفل لحيته وأردف قائلًا:

- في الأول فؤاد بعت واحد صاحبه جاب له سليمان في بيته، وقاله إنه عايز يكتب رواية عن عالم السحر والجن.. حابب يدخل مجال الرعب يعني..

قاطعه أكمل قائلًا:

- بس حسب معلوماتي فؤاد ما دخلش المجال ده.

- علشان طلع بيكدب على سليمان وبيختبره وبيشوفه ساحر بجد ولا نصَّاب.. سليمان نصاب بس شاطر وعارف هو بينصب في إيه كويس فقدر يقنع فؤاد.

- وأنت عرفت منين إنه نصَّاب شاطر؟

- لأني لما كنت باكتب رواية عن السحر اتعاملت مع سحرة بجد، وحضرت جلسات خروج جن وتحضير أرواح.. بس سليمان ده غلبان آخره حركتين دجل وخلاص.

- طب وبعد ما عبد النور نجح في الاختبار.. طلع فؤاد كان عايز إيه أصلًا؟

- إلهام.

- إلهام مين؟!

- قصدي كان بيدوَّر على إلهام جديد.. طلب من سليمان يحضَّر له جن ينزل ومعاه إلهام كويس لرواية من نفس النوع الاجتماعي اللي بيكتبه.

- طبعًا سليمان أقنعه إنه مش في إيده حاجة زي دي؟

- بالعكس ده بقى بيستغله وبيعمل معاه أكتر من جلسة قال يعني الجن بيتحضر على مراحل.. سحب منه فلوس كتير أوي، ولما "المملكة الظافرية" اتكتبت ونزلت إعلاناتها.. اتفاجئ إن شويتين النصب دول جابوا نتيجة مع الغرباوي وراح يطلب الحلاوة الكبيرة.. بس فؤاد طرده!

- قليل الأصل أوي فؤاد ده..

ثم نظر إلى خالد، وقال بدهاء:

- بس مش أكتر منك يا خالد.

- كل ده علشان دوَّرت على مصلحتي مع يعقوب؟

- ليه ما افتكرتش إني بقولك كده عشان زقيت فاروق نصَّار يهاجم فؤاد تاني؟

بدا على خالد الارتباك، ولكنه قال:

- اللي عملته ده شيء طبيعي في المجال.. لازم يكون لي الحاشية اللي يزودوا لي مبيعاتي على حساب غيري.. دي قواعد لعبة لازم ألتزم بيها عشان ما ضيعش!

- عامةً أنا كان قصدي إنك واطي علشان بيعت لطفي اللي قدَّمك للناس وعمل منك شخصية معروفة.

قال خالد محاولًا اكتساب استعطاف أكمل:

- طب لو حضرتك كنت مثلًا لعيب كورة، وكنت من ناشئي الاتحاد السكندري.. وجالك عرض تلعب في الأهلي.. هاترفض؟

- بلاش التشبيه ده بالذات علشان أنا أهلاوي متعصب.. بس سواء أهلي أو زمالك يعني فلوس وشعبية، ده طبعًا غير مكانك المحجوز في المنتخب.

- بالظبط كده يا باشا.. وفي نفس الوقت أنا دخلّت فلوس حلوة للنادي القديم بتاعي، ووعدته إن بعد ما أرضي الطموح اللي عندي، وأوصل للعالمية اللي فؤاد وصل لها.. هارجع له تاني.

- بس ليه ما فضلتش مع لطفي وتكبر معاه وتكبَّر له الدار بتاعته كمان؟

- أنا بني آدم يا أكمل باشا يعني عمري مهما طال قصير.. بس الدار مؤسسة مكمِّلة من بعدي ومن بعد لطفي.. يعني بصمتي لازم تتعمل في مدة أقصر من بصمة الدار.

- طب هسألك السؤال اللي أكيد بتفكر هاترد عليه إزاي من يوم ماعرفت إنك مطلوب على ذمة التحقيق: آخر مرة كلمت فؤاد فيها كانت إمتى وفين؟

- كانت في الدار عند لطفي.. كنت باخلص مستحقاتي وهو كان بيمضي العقود بتاعته وبيظبط تفاصيل حفل التوقيع مع سكرتيرة لطفي.

- قصدك هايدي؟

- أيوه هي دي.. كان بيقول لها توفر مكان للضيف الأجنبي وتجيب له أي عصير جاهز.. وكان بيقول لها على نوع البُن اللي بيشربه علشان يتقدم له.. فضلت مستنيه يخلص علشان أسلّم عليه.. اتكلمنا كلام عام وسألني عن روايتي الجديدة.. قولتله إجابة مختصرة وسلمنا على بعض وخلاص.

- يعني الخلاف بينكوا كان دايمًا على الورق بس.. ما حصلش بينكوا مُشادة في الواقع؟

- خالص.. وتقدر تسأل.

نظر له أكمل نظرةً طويلةً صامتةً، ثم قال له:

- أسأل ليه؟ فاكر نفسك هاتقدر تكدب عليا؟

- حاشا لله يا باشا.

- بس هو اللعب ده بيحصل بين كل الكُتَّاب ولا أنت وفؤاد بس اللي كنتوا بتلعبوا قط وفار؟

- لأ يا باشا.. قليل أوي لما بيحصل صراع على القمة.. لأن القمة في المجال الأدبي واسعة أوي وتساع ناس كتير.. وإن كانت السنادي مقتصرة عليا أنا وفؤاد، فكمان سنة أو اتنين بالكتير هيطلع

غيرنا.

كل واحد له اللون بتاعه وله مريدينه، والكل بيحترم بعض.. بس أنا وفؤاد كيميتنا ما كانتش راكبة على بعض برغم إن فيه أكتر من أديب اتدخل للصلح بيننا.

.. قول لي يا خالد تفتكر مين له مصلحة يخلص من فؤاد؟

- كل اللي حكيته لحضرتك ده ولسه ما فهمتش؟

- ما تعملش نفسك ذكي عليا يا خالد!

- مين اللي حاسس إنه مداين فؤاد بفلوس، وإنه اتنصب عليه بعد ما كان هو النصَّاب اللي ضحك على المخاليق كلها؟

- سليمان عبد النور.

***

مصائبُ قومٍ عند قومٍ فوائد.. هكذا علَّق الجميعُ على الثروةِ التي جناها لطفي أبو الخير من مبيعاتِ رواية "المملَكة الظافرية"، والتي عُرفت قيمتُها من خلال تسليمِ حصةِ فؤاد التي تبلغ عُشر الأرباح للورثة بعد إعلام الوراثةِ.

أراد أكمل الانتهاءَ سريعًا من التحقيقاتِ لذاك اليوم، ولم يتبقَ على قائمته سوى لطفي أبو الخير، وأشرقت عبد الوهاب.. لم يرد إعلان نتيجة الطب الشرعي حتى لزميله المقدم مدحت، النتيجة التي ستثبت براءة سلمى حجازي من عدمها.. وقد تُدين شخصًا آخر.

كان يُريد تجميعَ كل خيوطِ القضية المهمة مرة واحدة مع محمود.. قبل القفز إلى استنتاجاتٍ سريعةٍ تُحسب عليه أمام رؤسائه، ودون ثغراتٍ صالحةٍ للاستغلالِ من أي محامي دفاع، وخاصة بعد الصلاحيات التي اكتسبها.

دخل لطفي وكان الوحيدَ الذي لم يُبدِ أي أماراتِ خوف أو طمأنينة، كان وجهه جامدًا كقطعةٍ من الرخام، وبادر أكمل بالحديثِ قائلًا:

- أنا لحد دلوقتي مش عارف أنا متهم بإيه يا أكمل باشا؟

- مين قال إنك مُتهم؟

- الإعلام بيقول إن الشرطة مشتبهة فينا كلنا.

- ده طبيعي.. أي حد معرَّض إنه يكون هو القاتل.. حتى زميلي محمود اللي بيساعدني في التحقيق واللي كان حاضر حفلة خالد العبد ممكن يكون مشتبه فيه.

ضحك لطفي ضحكةً خفيفةً، وقال:

- هابلع الحتة الأخيرة دي بمزاجي عشان عارف إن لو كان فيه ذرة شبهة فيه ما كنش أشتغل في القضية دي ولا في غيرها.. اتفضل ابدأ التحقيق، أنا ما عنديش حاجة أخاف منها.

- حضرتك كنت أقرب واحد لفؤاد وآخر واحد كلمه تقريبًا قبل ما يتوفى.. إحكي لي إيه حصل وقتها!

- أنا وصلت مع الضيف الأجنبي قبل فؤاد.. فؤاد جه مع رفيق ومروة في عربيته بعد مني بحوالي عشر دقايق.. سلمت عليه قبل ما أطلع على المنصة، وفي الفترة من أول طلوعه لحد وفاته أظن معاكوا ليها بدل التسجيل مليون.. من كتر الناس اللي كانت بتصور.

- طب أنت لاحظت عليه حاجة غريبة؟

- كان شكله تعبان أوي وبينهج.. خصوصًا أول ما شرب من القهوة وبدأ يتكلم.. فؤاد بحكم وزنه الزايد بيعرق بغزارة.. بس المرادي العرق كان كتير أوي.

- أنت اللي كنت مسئول عن تجهيز البوفيه؟

- لأ هايدي السكرتيرة بتاعتي هي اللي كانت مسئولة عن الموضوع ده.. وهي اللي رشحت غريب القُط منه لله.

- غريب لسه ما حققناش معاه عشان نعرف بالظبط هو عمل إيه.. بس مش غريبة إن أنت والضيف ينزل لكوا عصير معلّب وفؤاد بس اللي ينزل له قهوة؟

- فؤاد اللي كان طالب قهوة، والضيف عنده وسواس من أي حاجة ممكن ما تكونش نضيفة.. فأنا حبيت أجامله وشربت حاجة مقفولة زيه.

- يعني موضوع المشروبات ده ماكانش يعرفه غيرك أنت وهايدي السكرتيرة وغريب والضيف الأجنبي.. فكرك مين ممكن يستغلها أو يسرَّبها علشان يحط السم في البُن أو المية اللي اتعملت فيها القهوة بحيث يقتل فؤاد بس.

- ما أعرفش.. بس هو مش أنتوا متحفظين على غريب.. يبقى أكيد عمل حاجة.

- ويمكن بنعمل تمويه عشان القاتل الحقيقي يطمن.

- جايز برضه.. بس غريب في الأول وفي الآخر غلبان.. أنا لو هاشك ممكن أشك في هايدي.

- طب إيه رأيك في مروة غالي؟

هز لطفي رأسه نافيًا بسرعة، وقال:

- مروة غلبانة.. من فصيلة البنات اللي كل طموحها شغل يوصلها لعريس يقعَّدها في البيت.. اللي ممكن أشك فيها بجد هي مي أبو المجد.

حاول أكمل إخفاء مشاعره فسأل قائلًا:

- إشمعنى مي أبو المجد؟!

- مي كانت عاملة من فؤاد ماريونيت بتحركها زي ما بتحب.. لما خلفتهم اتأخرت خليته يكتب لها كل أملاكه عشان ما حدش من إخواته يورث.. كانت هي السبب في إنه يبعد عن أخته نشوى اللي كان روحه فيها.

- بس مي مش محتاجه فلوسه.

- عارف، وعارف إنها بنت سامي أبو المجد أكبر جواهرجي في البلد.. وإنها أول بنت تشتغل مسواقجية.

كان أكمل يعرف كل هذه المعلومات، ولكنه لم يُحب أن يترك في نفس لطفي أي مجال للشك.. فقال متسائلًا:

- يعني إيه مسواقجية؟

- المسواقجي ده اللي بيلّف على محلات الدهب يجيب منهم الدهب الكسْر علشان يتسيح ويتصنَّع تاني.. شغلانة محتاجة لف كتير وخُلق واسع.

- تلاقي أبوها كان نفسه في ولد؟

- عندها أخين.. بس هي غاوية شغل وفلوس تكون من عرق جبينها..

- عارف أنا الموضوع ده.

أمّن أكمل على كلام لطفي، وقال:

- أيوه وما قعدتش في البيت غير بعد إقناع طويل من فؤاد.

-عرفته إزاي يا أكمل باشا؟

بدا على أكمل الارتباك، ثم قال في لهجةٍ عصبيةٍ:

- أنت جاي تسألني باشوف شغلي إزاي؟

- مش القصد يا باشا.. أنا قصدي إن مي كانت هي السبب الرئيسي ورا معظم تصرفات فؤاد.

- طب كانت تعرف إيه عن موضوع سليمان عبد النور؟

تفاجأ لطفي بالسؤال وصمت قليلًا، فقال أكمل مقاطعًا أفكاره:

- ما تفكرش تكدب عليا.. أنا متأكد إنك أكتر واحد عارف عن الموضوع ده!

- ما كانش حد يعرف موضوع السحر ده غيري أنا ورفيق والراجل اللي جاب سليمان لفؤاد أول مرة.. فؤاد كان متأكد إن مي هاتمنعه من حاجة زي كده.

- ليه؟

- علشان فؤاد جابه عشان يرجّعه للكتابة، وفؤاد لما بيكتب بينعزل تمامًا وبيكون متغير، بيدخل أوضة مكتبه وياخد معاه كميات كبيرة من الأكل وبيفضل جوة لمدة ممكن توصل لأسبوعين..

كان أكمل يعرف هذه المعلومة أيضًا، ولكنه سأل لطفي قائلًا:

- طب ما بيدخلش حمام؟

- أوضة مكتبه ليها حمام خاص بيها.

- تصدق عادة زي دي ممكن تزعل أي زوجة وتخليها تفكر في الخيانة.

- كان زمان بقى الكلام ده.. بس آخر سنتين فؤاد ما كانش بيكتب حاجة تقريبًا، يا دوب شوية مقالات على أوقات متباعدة.. فتلاقي علاقته بمي اتحسنت وبقت بتقعد معاه أكتر.. حتى أنا وهي اندهشنا لما فؤاد أعلن إنه بيخلص في رواية "المملكة الظافرية" عشان خلصها بسرعة أوي ومن غير ما يختفي زي كل مرة.. هي فرحت لما لاقيته بطّل العادة دي لأنه حكى لي إنه كان بيقعد قدامها يشتغل على الرواية - عكس المعتاد.

نسي أكمل سياق القضية، وسأل لطفي بارتياب:

- يعني هي ما كانتش عايزة تخسر جوزها؟

- بالظبط كده.. لحد ما عرفت موضوع سليمان.

- بس أنت قولت إنها بتحب الفلوس.. يعني أكيد هاتحب إن جوزها يشتغل.

- ولو فكرت بنفس المنطق.. ليه ما تقولش إنها كانت عارفة المبلغ اللي هايخش حسابها لو جوزها مات يوم حفلة التوقيع، صحيح أنا واخد أضعافه بس أنا لسه ورايا مسئوليات هاصرف عليها والتزامات ياما.

قال أكمل ضاحكًا:

- ياما؟ أنت اسكندراني؟

- أمي الله يرحمها كانت من أبو قير..

- بس هي عرفت موضوع سليمان إزاي؟

- هي استغربت لما خلّص الرواية بسرعة ولما سألته ما قدرش يكدب وقال لها على موضوع سليمان.

- وهي بقى اللي خليته يطرد سليمان من غير ما يديله باقي فلوسه؟

- أكيد يا باشا.

- بس معلوماتنا إن سليمان ده مجرد نصَّاب.

- أنا عرفت من فترة قريبة جدًّا إنه دجَّال.. بس الكتب اللي عنده بجد وحفظت مرة تعزيمة كان قالها قدامي أنا وفؤاد وسألت فيها شيخ بجد، وقالي إنه بيقول تعاويذ كبيرة هو مش قدها.. ولو عرف معناها وعواقبها مستحيل يقولها.

- يعني ممكن الموضوع يكون جه معاه بالحظ؟

- تقدر تقول كده يا سيادة المقدم.

- إحنا بنتكلم عن الدجل ده كأنه حقيقة؟!.. خلينا في صلب الموضوع.. أنت مش ملاحظ إنك اتهمت هايدي ومي؟

أومأ لطفي برأسه، وقال مبتسمًا:

- ولاحظت برضه إنك سألتني عن مروة.. مع إنها تقريبًا آخر حد ممكن تتهمه.

- تفتكر أنا عملت كده ليه؟

- علشان عرفت نقطة ضعفي اللي خليتني ما أتجوزتش لحد دلوقتي.

- هو الموضوع عقدة نفسية؟

نظر لطفي إلى الكاتب الجالس بجوار أكمل نظرة ذات معنى، فأشار أكمل إلى الكاتب ليكف عن الكتابة.. ليكمل لطفي قائلًا:

- أنا نفسيًّا سليم.. بس هي غلطة جرَّاح ربنا يسامحه.. كان واخد حقنة مخدر من اللي الجراحين بيسرقوهم من دكاترة البنج، ولأجل حظي أهلي جابوه علشان يطاهرني وهو لسه واخد الحقنة

ومتسلطن.. لبّخ كتير ولما لقى الدم كتير وفهم إنه غلط وإنها باظت منه خالص.. قالهم هجيب له مسكن من العربية وهرب.. وما سمعناش عنه من ساعتها.

- بس الحمد لله ربنا عوضك بحاجات تانية.

- أنا مؤمن بحكمة توزيع الرزق.. بس اللي حصل لي صعب أوي يتعوض.. وللأسف ناس كتير بتحسدني على صفاء الذهن اللي أنا فيه.

- طب دي حاجة حلوة.. ناس كتير لما بتمشي ورا الستات بيضيعوا.

- أنا بقى نفسي أضيع يا باشا.. أنا اتكتب عليا أشوف الجمال وما أعرفش أحسه، ولو حصلت معجزة وحسيته عمري ما ها أقدر أشتهيه.

- طب مش هتقول لي فكرة تسويق موت فؤاد دي جتلك إزاي؟

- تقصد إيه حضرتك؟

- أقصد إن كل عقودك مع خالد العبد كانت احتكارية، وبتتجدد كل خمس سنين.. بس عقدك مع فؤاد كان للمملكة الظافرية بس.

أنهى أكمل العطار حديثه قائلًا بلهجة انتصار:

-عايزك تقتنعني إن فيه سبب تاني لتصرفك ده غير إنك كنت متأكد إن دي رواية فؤاد الأخيرة!

***

على عكس جميع المُحقق معهم، دخلت أشرقت مكتب أكمل دون ضجةٍ مصاحبةٍ لها.. فلم يكن يعرف اسمَها ولا وجهها إلا قليلٌ من الناس، وعلى عكس الجميع أيضًا فلم تكن خائفةً، تراها هادئةً يبدو على خلجاتها الملل والضجر.

كانت ترتدي قميصًا نسائيًّا أبيض اللون مغلقًا حتى عنقها، تحته تنورة سوداء تغطي جزءًا كبيرًا من ساقيها.. وقد عقصت شعرها للخلف وجمعته على هيئة "كعكة".. باختصار كان مظهرها أقرب إلى راهبة..

جلست أمام أكمل وقد ضمت قدميْها بجوار بعضهما وربّعت يديْها كأنها طالبةً في الكُتَّاب أمام الشيخ، كانت عيناها موجهتيْن كالقناصة نحو منتصفِ بؤبؤي أكمل ناظرةً إليه نظرةً متحديةً.

حيَّاها أكمل بأن أومأ لها برأسِهِ.. وقال لها محاولًا إخفاءَ مفاجأتِهِ من جرأتِها:

- إزيك يا أشرقت.

- الحمد لله.

- إيه شعورك بعد موت فؤاد؟

قالت دون تفكيرٍ:

- مبسوطة.

- مش هاتقولي إنه كان حبيبك، وإنكوا راضعين على بعض زي كل اللي قبلك ما قالوا.

- هاكدب عليكوا ولا هاكدب على نفسي؟!.. إنت نفسك عارف إن كلهم كدابين وبيقولوا كده علشان خايفين يلبسوا القضية.

- وأنتي مش خايفة؟

- هاخاف ليه؟

قال لها بلهجةٍ خبيثةٍ محاولًا الإمساك بلجام الحديث:

- يعجبني فيكي صدقك يا..

ثم أردف بلهجةٍ خبيثةٍ، قائلًا:

- يا ندى..

قالت دون أن تتحرك خلجةٌ واحدةٌ من خلجاتِ وجهها:

- هو يعقوب قالك على الموضوع ده؟

- هو مقاليش أنا بالتحديد، تقدري تقولي حكى لزميلي.. بس عرفتي إزاي إنه هو اللي قال كده؟

- علشان ابتزني بالمعلومات دي أيام ما كان الكلب بتاع فؤاد.. كان بيحاول يحميه مني.

- وسابك في حالك لما فؤاد مضى مع لطفي؟

- آه.. بس فضل يهددني علشان ما فضحوش.

- تفضحيه بإيه؟

- بموضوع البنات اللي بقى إدمان بالنسباله ده.

- وهي دي محتاجة فضيحة يا أشرقت؟

- بس مؤخرًا كان بيحاول يلم نفسه عشان سمعة الدار ما تتأثرش.. ده غير إني كان معايا تسجيل ليه وهو بيكلم واحدة على التليفون وكان سهل أشهَّر بيه.

- وأنتي فعلًا قتلتي مشرف الدار بتاعتك أيام ماكنتي ندى؟

وجَّهت نظرها إلى الجهةِ المقابلةِ فتأكد أكمل أنها ستكذب عليه، وقالت:

- لأ..

قال أكمل:

- عامة ما عنديش دليل أقدر أدينك بيه في قضية مشرف الدار دي..

قاطعته أشرقت قائلة:

- بس كان نفسي أقتله.

خبط أكمل كفيْه ببعضهما قائلًا:

- أنتي عندك كمية تصالح مع نفسك رهيبة.

- أنا عايزة الناس تكون أحسن في كل حاجة.

- ما فيش مجرم بيقول إنه مجرم، لازم يخلق لنفسه دافع.. ممكن أصدق مبادئك وكلامك ده يتقال على المشرف وأصدقه.. بس أنتي مالك ومال فؤاد؟

- اللي زي الراجل ده أخطر من مليون واحد زي مشرف الدار.. ده بيفسد الذوق والأخلاق عند الشباب كلهم.

- بس أنا معلوماتي عن اللون اللي أنتي متبنياه إنه فنيًّا مش قد كده خالص.

- لما يكون مستواه الفني متدني بس ينفع يدخل كل البيوت وأي حد يقراه.. أحسن بكتير ما يكون زي السفالة اللي بتتكتب دي.

- يعني لما أي كاتب يوصف علاقة بين راجل وست ده هيأذيكي في إيه ده مجرد كلام!

- مش ممكن الكلام ده يحرك شهوة أي حد بيقرأ.. خصوصًا المراهقين؟

- أظن اللي تحصل له استثارة من كلام في رواية ده مجرد مريض نفسي وعنده كبت!

- مش هاتقنعني بوجهة نظرك.. كان غيرك أشطر.

قال أكمل بلهجةٍ حادةٍ:

- طب ناوية تتهمي حد يا أشرقت؟

- أنا عكس معظم اللي قعدوا هنا.. مش هاقول فلان الفلاني كان بيكره فؤاد والكلام الفاضي ده.

- كويس.

- ما حدش عنده خلاف مع فؤاد ممكن يوصل للقتل.

- كويس.

- باستثنائي أنا.

- مش كويس.

- بس قلشت منك يا باشا حركة القبض على سلمى حجازي.

- عرفتي إزاي إني متحفظ عليها أصلًا.

- واحد من العساكر خد اللي فيه النصيب وقال لي إنكوا سحبتوها بشويش من خيمة فؤاد.. كان ليكوا حق إنكوا تخبوا الموضوع.. عشان هي بريئة فعلًا ولو اتعرف إنها محبوسة على ذمة القضية مش هاتخلصوا من بتوع حقوق الإنسان.

قال أكمل بثقةٍ:

- إحنا متحفظين عليها بصورةٍ قانونيةٍ، والسرية عشان مانأثرش على مجرى التحقيقات.. بس أنتي ليه شيفاها بريئة وعندك يقين من كده كمان؟

- سلمى مستحيل تقتل فؤاد.. دي كانت بتعشقه.

- بس هي اعترفت إنها إدت لغريب الفراش فلوس عشان يفرَّغ كيس بودرة في البُن بتاع فؤاد!

- ما أعرفش بقى إيه ممكن يخليها تعمل حاجة زي كده.. بس سلمى حجازي مجنونة بفؤاد.

- وأنتي كمان مجنونة بيه.

- آه بس بين جنوني وجنونها تضاد.

- خدت بالي.. قولي لي بقى يا أشرقت أنتي كنتي بتتعالجي نفسيًّا؟

- آه، كان عندي مشاكل تحكم في الغضب، وراحت لحالها.

- يعني ما كنتيش مدمنة حبوب مهدئة؟

- أنا باخدها بروشتة ولسه لحد دلوقتي ما بطلتهاش.. ما بأعرفش أنام من غيرها.

كانت هذه أكثر مرة يشعر فيها أكمل بالاستفزاز، فكلما حاول مفاجأتها بمعلومةٍ يعرفها، فاجأته بأنها لا تكترث، بل تُضيف على معلوماته معلوماتٍ أخرى..

فقال لها في محاولةٍ أخيرةٍ لوضعها في خانة اليك:

- كلمتي فؤاد قبل كده وش لوش؟

- عمري، وما كانش يشرفني أصلًا.

- بس تفتكري ليه ما كانش بيرد عليكي في شخصك.. كان قليل لما بيرد ولما كان بيرد كان بيتكلم على حملة الانضباط بشكلٍ عام.

- ماهه أنا والحملة واحد.

- بس اللي سمعته إنهم بيتبرأوا من طريقتك.

- ممكن طريقتي حادة شوية عنهم.. بس الفكر واحد.

حاول أكمل استفزازه فقال وقد ركز نظره على عينيْها متحديًا نظراتها النارية:

- فؤاد كان شايفك أتفه من إنك يترد عليكي في شخصك؟

- ممكن.. ده عنده بارانويا العظمة أصلًا.

ضحك أكمل، وقال:

- ده ألد ألد أعدائه مقالوش عنه كده.. المهم قوليلي كنتي بتعملي إيه في حفلة توقيع فؤاد؟!

- كنت بحافظ على الأدب من أمثاله.

- إزاي؟

أخرجت من حقيبة يدها كيسًا صغيرًا يحتوي مادة بيضاء، وقالت:

- كنت باسمُّه يا باشا.

- إيه الاعتراف السريع ده.. طب سيبيني أعمل الشويتين بتوع الأفلام وأضغط عليكي أكتر يا أشرقت.. ما ينفعش أضحك وأقولك كش ملك؟

- ده ذنبي إني بأريحك وبأسلّم نفسي للعدالة في تهمة لو القاضي اللي مسكها عنده ذرة عدل هايطلعني براءة؟

- تفتكري هاصدقك بالسهولة دي؟

- لو حللت المادة اللي في إيدي دي هتلاقيها سم، وكمان هتلاقي جزء منها في جسم فؤاد لأني متأكدة إنه شربه مع القهوة.

نظر إليها أكمل مندهشًا ثم صاح مناديًا أحد العساكر من الخارج وأشار نحو أشرقت وقال:

- وديها على الزنزانة من سكات، ونادي على محمود بيه بسرعة قول له إن معانا اعتراف رسمي بالقتل.. بس مش عايز حد يحس بحاجة، وبالذات الجماعة الصحفيين!

12 – لملمةُ أوراق

لم تُصدق يُمنى الخبر حين سمعته، كلمت والدها المستشار الحبيبي لينفي لها الأمرَ برمته، ولكنه لم يفعل.

أدركت أنه لا والدها ولا أي شخصٍ آخر في مؤسسة العدالة سينفعها.. فكلمت محمود الأنصاري، وقالت له وهي ملتاعة:

- إيه اللي أنا سمعته ده يا محمود.. أكمل اتقبض عليه بجد؟

رد عليها محمود بصوتٍ منخفضٍ وبلهجةٍ آسفةٍ:

- الخبر صحيح للأسف.. بس ما اتقبضش عليه، هو اللي سلّم نفسه.. أنا من الصبح بحاول أزوره ومش عارف.

قالت بصوتٍ يائسٍ وبعباراتٍ تخللها البكاء:

- استخدم اسم أبوك وأبويا، استخدم صحابك وزمايلك.. اعمل أي حاجة بس رجَّع لي جوزي.

- هحاول بس ما أوعدكيش.. أكمل اعترف إنه هو اللي قتل فؤاد، وكمان اعترف بحاجات ما ينفعش تتقال..

- قصدك موضوع إنه كان بيخونني مع مي أبو المجد؟

قال محمود مندهشًا:

- آه.. بس أنتي عرفتي إزاي الموضوع ده؟

سقط قلب يُمنىِ في قلبها، فقد كانت تظن أن ما سمعته مجرد ادعاء سيكذبه لها محمود.. فقالت وهي تُحاول التماسك للحظاتِ الأخيرةِ من المكالمة كي لا تنهار:

- مش عارفة، جت لي رسالة على تليفوني بتقول لي إن أكمل اعترف على نفسه بالقتل وقال إن الدافع حبه لمي.

- طب وأنتي ناوية تقفي جنبه؟

- طبعًا، أيًّا كان هو جوزي وأبو أولادي.. بس أصلًا أنا مش مصدقة الموضوع كله وحاسة كأني في كابوس.

- ربنا يكون في عونك.. بس الموضوع بقى أمر واقع خلاص.

فاجأته يمنى بسؤالٍ لم يتوقعه قائلة:

- أنت بتحب بسمة أخت أكمل.. صح؟

- أكيد.

- طب وحياة بسمة عندك وغلاوتها قول لي: أنت وأكمل مش عاملين لعبة عشان توقّعوا اللي قتل فؤاد الغرباوي؟

تردد محمود قبل أن يرد، ولكنه قال في لهجةٍ حاسمةٍ:

- الكلام ده في الأفلام بس يا يُمنى.. الموضوع مُعقد عن كده بكتير.. وفيه لسه تمثيل للجريمة ومراجعة للأقوال عشان نشوف كلامه صح واللا بيكدب.. ده غير رأي النيابة.. القصة كبيرة يا يمنى وإحنا لسه بنفتح الغلاف!

- طب حاول...

لم يتركها محمود لتُكمل حديثها، فأنهى المكالمة وتوجَّه مُسرعًا نحو مكتب مدير الأمن علَّه يصرِّح له بزيارة أكمل، وبالكثير من الإلحاح مُضافًا عليه استخدامه لاسم اللواء الأنصاري.. تم له ما أراد وسُمِح له بمقابلة أكمل في مكتب أحد الضباط من ذوي الرتب العليا وتحت حراسةٍ مشددةٍ..

وأثناء انتظار محمود لوصولِ ابن خالته من الحبس الاحتياطي تذكر كل ما حدث له مع أكمل منذ صباح البارحة، قبل أن يستيقظ على هذا الخبرِ المأساوي الذي وصل دويُّه إلى كل الأسماع..

***

واثقُ الخُطوةِ يمشي ملكًا..

هكذا كان أكمل قبل أن يسلّم نفسه بيومٍ واحدٍ.. حين دخل مديرية المباحث وهو في كاملِ أناقته وتألقه بعد يومٍ كاملٍ من النوم والاسترخاء أخذه احتفالًا بانتهاء التحقيقات، واستراحة قصيرة

تمهيدًا لكشف القاتل وفوزه بالترقية التي توقعها أكثر مما تمناها..

سأل عن محمود فأجابه أحدُ العساكر أنه لم يخرج من مكتبه منذ عشرين ساعة إلا مرتين لدخول الحمام..

وعلى النقيضِ من حالة أكمل كان محمود في حالةٍ يُرثى لها.. فقد انتفخ ما تحت عينيْه من قلة النوم، وحالة ملابسه وتصفيفة شعره كانتا في أسوأ ما يمكن.. قال له أكمل:

- إيه يا ابني فيه إيه.. أنت لو كنت بتقتل فؤاد وبتدفنه مش هايكون شكلك ميت كده!

ردَّ عليه محمود بصوتٍ مبحوحٍ وخفيضٍ:

- سهل تقول كده وأنت نايم في بيتكوا، وسايبني أخلص كل الشغل لوحدي.

- وأنت كنت هتعرف تخلص الشغل ده من غيري يا حودة؟

- هو أنت عشان علمتني تقحتني شغل؟

قال له أكمل ضاحكًا:

- أنت فاكرني مختارك عشان ابن خالتي وصاحبي والكلام ده؟.. أنت كنز يا ابني ولو أنا ما كنتش علّمتك عشان أستغل حماسك وذكائك وحب المخبرين والعساكر ليك.. ألف من كان هيعمل كده.

قاطع حديثهما طرْقٌ على الباب وبعد إذنٍ من أكمل دخل الطارق الذي لم يكن سوى أحد العساكر حاملًا سبورة بيضاء وثلاثة أقلام للكتابة عليها.. قال له محمود:

- مين يا ابني اللي قالك تجيب الحاجات دي؟

أشار أكمل إلى العسكري ليضع السبورة، واستلم منه الأقلام وخاطب محمود قائلًا:

- دي حاجات أنا جايبها معايا من البيت.. إحنا مش اتفقنا إن النهاردة هانجمّع كل الخيوط عشان نوصل لتقرير نهائي ونوصل للقاتل؟

- أومال أنا قاعد هنا ليه؟.. أنا مخلّص شغل من ساعتين بس استنيتك، بس ليه السبورة دي وليه مدحت مش معانا؟

- أنا ما بعرفش أفكر إلا لو الأفكار متلخصة قدامي على سبورة، والقيادات عارفة إني جايب مدحت ضيف شرف عشان ما يقولوش إني واخد القضية لحسابي أنا وابن خالتي.. بعدين مدحت نفسه عارف إن دوره في القضية دي مجرد خيال مآتة.

- يعني إيه خيال مآتة أصلًا؟

ردَّ أكمل ضاحكًا:

- يا لهوي على الجهل، إيش حال ما أنت خدمت في الصعيد؟.. بص خيال المآتة ده عبارة عن تمثال خشب بدائي الصنع بيتعمل له باروكة من قش الرز كأنه بني آدم يعني.. المزارعين كانوا بيحطوه في الأرض عشان الطيور تخاف من شكله وما تقربش من الزرع.. بس دلوقتي ما عادش له لزمة عشان الطيور ماتت من الكيماوي والهرمونات اللي بتتحط في الأرض عشان تكبَّر الزرع، فالطيور اتعلمت بقى وبطلت تاكل القرف اللي إحنا بناكله بمنتهى السعادة.

علّق محمود ساخرًا:

- حتى الأرض بتضرب كيميا.

رد عليه أكمل:

- إفضل أنت خش في مواضيع جانبية وحوارات مالهاش لزمة لحد ما تقع من طولك والقضية تروح من دماغك..

أشار محمود إلى ثلاثة ملفات على مكتبه مرتبةً تصاعديًّا حسب الحجم وقال لأكمل:

- الملف الصغير ده ملخص لتقرير الطب الشرعي مرفق بيه تقرير الصحة بتاع السموم، والوسطاني دي التحقيقات اللي المقدم مدحت عملها: هايدي سكرتيرة لطفي، ومي أبو المجد، ومروة غالي سكرتيرة فؤاد، وسليمان عبد النور.

أما الكبير ده عبارة التحقيقين بتوعنا أنا وأنت، حطيتهم على بعض لأننا اشتغلنا تقريبًا نفس الشغل وكنا على اتصال طول التحقيق.. يعني كأننا شخص واحد.. تحب نبدأ بأنهي فيهم؟

قال أكمل كالطفل الذي يتقاعس عن الذهاب إلى المدرسة:

- وإحنا هانقرا كل الكلام ده؟

رد عليه محمود مبتسمًا ابتسامةً مُنهَكة:

- عيب عليك ده أنت كنت وقفتني عن العمل في الحركة دي.. أنا علـّمت على الأسئلة المهمة.. وعملت ورقة صغيرة لزقتها فوق كل تحقيق مكتوب فيها ملخص الأقوال.

- تمام أوي.. تحب أبعت لمدحت يحضر ويسمعنا ولا مش لازم؟

قال محمود باشمئزاز:

- بلاش مدحت.. غبي وحشري وهايعطّلنا.. أنا سيبت له خبر أول ما يوصل يجهّز تقرير عن رؤيته للقضية، ومين ممكن يكون الجاني.. هانحسسه بس إنه مهم بعد كده نرمي التقرير ده في الزبالة.

- طب وريني الملف بتاعه نبدأ بيه.. وإيدك معايا نعدل السبورة دي.

حمل محمود الملف متوسط الحجم ووضعه أمامه وبدأ يقرأ منه على أكمل الذي شرع بكتابة ملحوظاته على السبورة البيضاء.. فقسَّمها إلى جدول وضع في أعمدة الجدول أسامي المحقق معهم من المشتبه بهم الرئيسيين، وفي الصفوف ملخص أقوالهم..

قال محمود ممليًا عليه:

- أولًا كده هايدي سكرتيرة لطفي أبو الخير ومديرة مكتبه ما فيش عليها أي حاجة غير إن لطفي قال اسمها على سبيل خنقته من جنس الحريم كله.. بس هي كل اللي عملته إنها خدت مستلزمات البوفيه اللي لطفي اشتراها وسلمتها لغريب القُط وقالتله ضيوف المنصة هايشربوا إيه..

صنع أكمل بقلمه شرطة أفقية أمام اسم "هايدي" كعلامة على إبعادها عن دائرة المشتبه بهم.. وقال لمحمود:

- باختصار هي بنت حلوة وواجهة لدار بصيص، وبالمرة بتبعد الإشاعات شوية عن لطفي.

قال له محمود وهو يُنحي بعض الأوراق على جنب:

- بالظبط كده يا ريّس.. بني آدمة أتفه من إنها تفكر أو تعرف حتى أسامي الكتب اللي الدار بتاعتها بتنشرها.. مستحيل تقتل.

قال أكمل بحذر:

- طب مي أبو المجد؟

- مي دي طلعت داهية.. اتهمت فاروق نصَّار من غير ما تجيب سيرة علاقة الصداقة القديمة اللي كانت باينه وبين فؤاد، ويعقوب حنّا عشان راح له البيت وهدده.. بيني وبينك هي معاها حق في التهديدين.

كتب أكمل أمام اسم مي بضع كلماتٍ بحروفٍ صغيرةٍ، وقال لمحمود:

- ده نفس الكلام اللي قالتهولي في المعرض بالظبط.. طب برَّأت حد معين؟

- برأت سلمى حجازي بشكلٍ غير مباشر.. بس مدحت أربكها لما فاجئها بإننا عارفين موضوع أملاك فؤاد اللي اتكتبت باسمها.

حاول أكمل إبداء دهشته واصطناع الاستنكار، قائلًا:

- ومدحت عرف موضوع زي كده إزاي ولسه إجراءات الورث ما كملتش؟

- أنت نسيت إن نشوى الغرباوي أخت فؤاد هي اللي بلغتني بيه تاني يوم الوفاة.. أنا عرَّفت مدحت وهو قرر يواجه مي، ومي ما أنكرتش وارتبكت، واتحججت بحجج هبلة.

دوَّن أكمل ملحوظةً أخرى بخط أصغر في الخانة المخصصة لمي، وقال لمحمود:

- تفتكر فؤاد كان مديون قبل ما يموت؟

- ما أظنش.. فؤاد أسلوب حياته على قد ما هو مُرَّفه ومرتاح بس مش مسرف.. ومي أبو المجد غنية ومن عيلة كبيرة، يعني مش محتاجة فلوسه.

قال أكمل بصدقٍ:

- فكرك ممكن تكون هي اللي قتلته؟

- مش عارف يا باشا.. كل اللي كان يعرفهم بيأكد إن علاقتهم اتحسنت مؤخرًا ولطفي أبو الخير أكّد إنه ما انعزلش عنها كعادته وهو بيكتب "المملكة الظافرية".

- طب ما يمكن هي ولطفي طابخينها سوا يا محمود؟

- ما تنساش إن لطفي اتهم مي في التحقيقات!

- جايز أوي يكون عمل كده عشان يبعد الشبهات عنهم.. لطفي مش سهل.

قال محمود مؤكدًا على كلامه:

- وعشان لطفي مش سهل باقول لك إنه مستحيل يكون متفق مع مي بالذات لقتل الغرباوي.. لو هانفرض إن لطفي عملها لوحده نسبة مي هاتكون نسبة ورث الزوجة من أصل العشرة في المية بتوع فؤاد الله يرحمه..

أكمل أكمل حديث محمود مؤمنًا عليه قائلًا:

- بس لو كانوا متفقين سوا كان زمان نسبتها النص.. ليه لطفي يخسر كل الفلوس دي عشان واحدة ست؟

قال محمود خاتمًا السيمفونية:

- وطبعًا مي مهما كانت حلوة مستحيل تأثر على لطفي عشان ظروفه إياها.

نظر أكمل إلى اسم لطفي على السبورة التي أمامه، وقال:

- طب تفتكر لطفي ممكن يتفق مع حد عشان يقتل فؤاد فعلًا؟

قال محمود وهو يضغط جفن عينه بإصبعه أملًا في فترةٍ إضافيةٍ من الاستيقاظ:

- ممكن، خصوصًا رفيق لأنه ملازم فؤاد على طول، أو مروة غالي.. أو أي حد من الشباب الأربعة.

قال أكمل وهو يطلب فنجانين من القهوة له ولمحمود:

- هانرجع للطفي ده لما نوصل للملف بتاعنا.. خلينا دلوقتي مع الست مروة.. قالت إيه؟

- مروة دي طلعت غلبانة.. حبت جلال عبد الراضي بجد بس فاقت على حقيقته.. ما حبتش آدم بس زي ما تقول عرفت إنه أجبن وأضعف من إنه يخونها وإنه صادق في حبه معاها.. كانت مُخلصة جدًّا لفؤاد.

همَّ أكمل أن يكتب شيئًا في الصف المقابل لاسمها على الجدول الذي صممه، ولكنه لم يجد ما يُمكن كتابته فقال لآدم:

- مش معلّم على أيِّ حاجة مهمة قالتها البنت دي لمدحت؟

قال محمود باقتضابٍ:

- ما قالتش حاجة، لا مهمة ولا غير مهمة.

قال أكمل مبتسمًا:

- طب خشّ عليا بقى بالدجَّال.. قول لي مدحت عمل إيه مع سليمان؟

رد عليه محمود ضاحكًا:

- ما تفكرنيش.. أنا كنت باموت ضحك ومدحت بيحكيلي سليمان عمل إيه.. فضل يشعوذ ويعزم في المكتب وما ارتاحش غير لما مدحت ضغطه عِلي وكان هايموت في إيده.

- طب إيه خلاصة أقواله؟

- نفس اللي حكاه خالد.. فؤاد جابه في الأول وطلب منه يحكيله مواقف مرعبة حصلت له.. سليمان حكى له مواقف المفروض إنها حصلت له ولأجداده كلها نصب طبعًا.. بس فؤاد صدَّق.

- وبجد موضوع إنه طلب من سليمان يخاوي له جن عشان إلهامه يرجع؟.. ولا كان عايز يكتب رواية رعب وخلاص؟

أجاب محمود:

- فؤاد مالوش في الرعب.. هو كل اللي كان طالبه إلهام عادي.. سليمان بيقول إنه اتفاجئ إن رواية فؤاد الجديدة نزلت من غير ما يقول له أو يديله باقية حسابه.

فكّر أكمل قليلًا، ثم قال:

- بس اللي سمعته عن رواية فؤاد إنها بعيدة عن اتجاهه الاجتماعي.

رد عليه محمود قائلًا:

- بسمة أختك قرتها ولخصتهالي.. فعلًا أحداثها قديمة وخيالية، وبعيدة عن اللون ده بس الأسلوب وطريقة الكتابة هي هي تقريبًا.

خطَّ أكمل خطًّا صغيرًا بجوار اسم غريب، ثم قال لمحمود حائرًا:

- فكرك قصة فيها فانتازيا وأحداثها قديمة.. ممكن يكون جن بجد هو اللي حكاها لفؤاد؟

رد محمود بعصبيةٍ:

- إحنا هانصدق الخرافات دي ولا إيه؟

قال أكمل:

- بس السحر مذكور في القرآن، وفيه سورة اسمها "الجن" كمان.

- أيوه السحر اللي بجد مش النصب، ثم جن إيه اللي هيخرج يحكي حواديت ده كمان!

ضحك أكمل وقال:

- ما ينفعش أتفك معاك بكلمتين يعني.. أنا بس كنت باختبرك أشوفك لسه صاحي ولا سقّطت في النوم.

- باختصار وجهة نظري في سليمان إنه كان بينصب على فؤاد، وزعل لما فؤاد كتب الرواية ورد له النصباية وما رضيش يحاسبه.. هو صحيح تصرُّف غريب على شخص زي فؤاد خصوصًا إنه كان مصدق سليمان.. بس هو اتصرف صح إنه ما دفعش فلوس له تاني.

- طب بالنسبة لموضوعه مع سلمى؟

نظر أكمل إلى الملف الأصغر قائلًا:

- موضوعه مع سلمى ده هايودينا للملف التاني: تقرير الطب الشرعي..

التقرير فعلًا أثبت إن فيه مادة غريبة اتحطت في البُن بتاع فؤاد.. وهي نفس المادة اللي كانت مع غريب القط واللي سلمى اعترفت إنها اديتهاله.

- أيوه وطلعت إيه المادة دي؟

- بُن برضه بس من نوع تاني.

قال أكمل بدهشةٍ:

- وسلمى هاتستفاد إيه لما تحط بُن لفؤاد فوق البُن بتاعه؟

ردَّ محمود مُتهكمًا:

- حجاب محبة يا عم أكمل.

كتم أكمل سلسالًا من الشتائم والسباب بداخله، وقال لمحمود:

- حجاب إيه يا حبيب قلبي!

قال محمود بلهجةٍ جادةٍ:

- سلمى شافت الشيخ سليمان خارج مرة من عند فؤاد.. مشيت وراه وعرفت حكايته وراحت له.. سليمان برضه مش سهل، فتقريبًا لما كان عند خالد العبد قدر يعرف منه موضوع حفلة التوقيع بتاعت فؤاد والبُن اللي كان لطفي بيشتريه.. راح إدى لسلمى بُن تاني في كيس وقال لها إن ده بُن مقري عليه تعويذة هاتخلي فؤاد يحبها.

قال أكمل غير مصدقٍ ما يسمع:

- بس سليمان لف على البت لفة جامدة أوي عشان يقنعها.

قال محمود مبتسمًا:

- واحد لاهف فوق التسعين ألف جنيه من المجنونة دي.. لازم يعمل بيهم عشان يسبك الشغلانة.

- وطبعًا هي إدت غريب فلوس عشان يخلطلها البُن العادي بالبُن "المسحور".. صح؟

ردَّ محمود قائلًا:

- بالظبط كده.

قال أكمل وقد بدا عليه بعض من علامات الفهم:

- عشان كده مالك سعد الدين قالك إنها كانت مبسوطة يوم حفلة التوقيع وما جريتش على الغرباوي زي كل مرة.

أكّد محمود على كلام ابن خالته قائلًا:

- عشان كانت مطمنة إنه بمجرد ما يشرب القهوة هيبقى بتاعها.

قال أكمل متحسرًا:

- سلمى دي بنت محترمة، يا خسارتها في البهدلة دي.. صحيح أبوها وأخوها مشكوك في أمرهم.. بس البنت نفسها من طينة كويسة.

ردَّ عليه محمود ساخرًا:

- من الحب ما هبل.. أنت فاكرني مستحمل نسبكوا ليه؟.. ما عشان بحب الست بسمة يا أبو نسب.

ردَّ عليه أكمل قائلًا:

- طب شوف مين هايجوّز هالك يا حيوان.

عاد محمود إلى لهجته العملية من جديدٍ، وقال وهو ينظرُ في الملف الصغير قائلًا:

- بالعربي كده التقرير برّأ سلمى من قتل فؤاد.. بس ده مش معناه إنها بريئة من القتل عمومًا.. ممكن تكون بريئة في حركة البُن المسحور دي.. بس منظرها كان مثير للشك وهو اللي خلاني أشك فيها في الأول وأخليها تكلم غريب في المعرض لحد هو ما غلط وقال اسمها.

رد عليه أكمل قائلًا:

- شكلك بدأت تخرف يا محمود.. ما هي مش هاتقتل واحد بتحبه وهي ساعتها كانت واثقة إنه هايحبها بعد ما يتسحر له.. وما أظنش إن تفكيرها في الحب الأسطوري وجو روميو وجولييت.

قال محمود معتذرًا:

- عديهالي يا باشا القضية لحست دماغي.

قال أكمل وهو يدوّن بعض الملحوظات على السبورة أمام أسامي كل من مالك، وسليمان، وسلمى حجازي. وقال محدثًا محمود:

- كمِّل باقي التقرير علشان نخش في الملف الكبير بتاعنا.

تمطع محمود وقال:

- الطب الشرعي ما ذكرش وجود أي بصمات غير بصمات غريب القط وبصمات فؤاد والضيف الأجنبي ولطفي كل واحد على الحاجة اللي شرب منه.

- طب وبالنسبة للكلام اللي أشرقت قالته قبل ما تسلّم نفسها: إنها حطت لفؤاد سم وادتنا كيس بعتناه للطب الشرعي.

- التقرير أثبت إن السم بتاع أشرقت فعلًا كان موجود في السكر اللي في البوفيه.. بس برضه التقرير برّأ أشرقت.

- منين بتقول فيه سم ومنين بتقول برَّأها؟

قال محمود مُفسرًا:

- أصل لما آدم قال لي إن الغرباوي جت له غيبوبة قبل كده وإن عنده فيروس سي الجملة ما ركبتش معايا.. أنت عارف إن أبويا كان عنده فيروس سي واتعالج منه بالعلاج الجديد الغالي ده.. فؤاد من لون بشرته وملامحه كان شكله كان لسه جديد على الفيروس..

قال أكمل باهتمام:

- كمِّل يا محمود!

- المهم أنا استأذنت النيابة واتصلت بالدكتور اللي شرَّح جثة فؤاد بشكل ودي قولتله إني عايزه يركز على حالة الكبد، وهو كان متفهم وطلع إنه فحصه فعلًا.. وطلع لسه الفيروس في بدايته ما وصلش للمرحلة المتأخرة اللي المريض بيخش بسببها في غيبوبة.

قال أكمل وقد بدا عليه الفهم:

- وطبعًا السكر عنده طلع مش سليم خالص.. عشان كده كانت بتجيله الغيبوبة دي، وعشان كده برضه قهوته كانت سادة ولطفي كان جايب السكر احتياطي أو بالغلط.

رد عليه محمود مؤكدًا على كلامه:

- بالظبط كده.. التقرير أثبت وجود السم في السكر، بس ما كانش موجود في جسم فؤاد لأنه ما اتحطش في القهوة أصلًا.. أشرقت لو كانت حطت السم في البُن كان زمانها لبست تهمة قتله.

قال أكمل موضحًا:

- ما تنساش برضه إنها هاتلبس قضية شروع في قتل.

رد عليه محمود:

- أنت اللي ما تنساش إنها مختلة عقليًا وغالبًا هاتطلع منها أو هاتقضي العقوبة في مستشفى أمراض نفسية وعصبية.

قال أكمل بعصبية:

- باختصار التقرير أكّد إن لا سلمى ولا أشرقت هما اللي قتلوا فؤاد؟

ردَّ محمود بصوتٍ منخفضٍ:

- وكمان بيقول إن جسم فؤاد خالي من السموم!

ضحك أكمل بعصبيةٍ كالمجنون وصاح بصوتٍ تردد صداه في المديرية كلها:

- يعني إيه ما فيش سموم؟.. ما تقنعنيش إن شخص زي ده حصلت له الأعراض دي قبل ما يموت وفي الوقت ده بالذات، وكل ده صدفة ويطلع مات موتة ربنا!.. ده أنا أطلع معاش وأقعد في بيتنا بالجلابية لو حصلت!

رد عليه محمود بصوتٍ أقل حدة محاولًا امتصاص غضبه قائلًا:

- يا باشا من غير زعيق وعصبية.. كل شيء محتمل وقانون الصدفة مش برة اللعبة..

ثم أردف قائلًا:

- بعدين فيه سموم كتير مش بتبان في التحاليل زي اللي سمعنا إن "المعلم" بيستخدمها.

- يا ابني إطلع بقى من الفيلم الأمريكاني اللي أنت عايش فيه ده.. الحاجات دي غالية جدًّا ومش أي حد يجيبها.

- لاحظ يا أكمل إن معظم المشتبه فيهم أغنيا.

قال أكمل بصوتٍ أكثر انخفاضًا، دون أن تخف عصبيته:

- بس مش واصلين زي المعلم.. وأنا وأنت عارفين كويس إن موضوع المعلم ما كنتش هاتعرفه لولا صاحبك آدم كلّمك قبل ما تحقق مع مالك، وأنا اللي قولتلك تستخدمه كورقة ضغط عشان مالك يتكلم.

ردَّ عليه محمود:

- يا ريته قال حاجة عدلة.. ده قال كلمة من الشرق على كلمة من الغرب.. بس شكله نضيف من جوه وممكن يتعاون معانا نوقع المعلم بعد القضية دي ما تخلص.

ثم فتح أكبر الملفات حجمًا، وبدأ يقرأ منه:

- مالك برّأ خالد العبد وقال عليه مستحيل يعمل كده.. بس اتهم كريم العبد وقال إنه هدد فؤاد تهديد صريح.

كتب أكمل ملحوظة واحدة بجوار اسم مالك، ثم وقف بالقلم مقابلًا لاسم كريم الريّان، ثم قال:

- هات اللي كريم قاله كده!

- انتشل محمود ورقة صغيرة لخَّصها من أجل طلب كهذا، ولإنجاز مهمتهما في إخراج تقرير نهائي، فقرأ منها قائلًا:

- كريم بمنتهى البساطة كذّب كلام مالك، وقال إن التهديد كان لأبو الخير مكانش لفؤاد.

عقّب أكمل مستفهمًا:

- ما تعرفش مالك ممكن يكدب ليه؟

- موضوع مُحيّر بصراحة.. واحد منهم كداب وأكيد بيكدب لمصلحته..

قال محمود مُضيفًا:

- كريم كمان كان أول واحد يعرَّفنا ليه لطفي ما اتجوزش، وبعدها على طول اتهمه رسميًّا على أساس إنه هايعمل ثروة من موت فؤاد خصوصًا إنه مضى معاه عقد للرواية دي بس عكس شغله مع باقي الكُتّاب بتوعه في الدار..

ثم أردف قائلًا بعد تفكيرٍ استمر للحظات:

- بس الفكرة إنها مالهاش لزمة.. يعني لو كان عارف إنه هايموت ومضى معاه عقد احتكار طويل - زي ما كان بيعمل مع خالد – كان العقد هاينتهي بموت فؤاد طبعًا وزيه زي ما يكون مضى عقد للرواية دي بس.

قال أكمل مُعقبًا:

- بس تقريبًا الاحتكاري هايغرَّم لطفي فلوس أكتر.. بس ده ما يمنعش إن لطفي عمل ثروة ما كانش هايعمل ربعها لو كان الغرباوي عايش..

- بصراحة وجهة نظره تحترم أوي، وعقلية زي لطفي مش سهلة وعرفت تسوَّق خالد العبد وتخليه يبدأ من الصفر، علاوة على إنه شخص غني جدًّا وسهل يجيب من برة أي أعشاب سامة ما تظهرش في التشريح.

صمت أكمل قليلًا، فقال محمود:

- أنا ملاحظ إنك بتسألني عن رأيي ومش بتفكر معايا بصوت عالي!

رد أكمل بشرودٍ:

- خليني أقولك رأيي في الآخر بعد ما نراجع كل الآراء.. فكّرني كده لطفي قال إيه!

أخرج محمود ورقةً أصغر حجمًا من سابقتها من وسط الملف الكبير، وقال لأكمل:

- لطفي كان خزنة أسرار فؤاد في الفترة الأخيرة.. كان عارف كل حاجة عن علاقته بمي وموضوع سليمان عبد النور.. ده غير إنه هو اللي جاب غريب وهو اللي اشترى مستلزمات البوفيه بنفسه.. عكس المعتاد يعني.

توقف أكمل كثيرًا أمام اسم لطفي ودوَّن الكثير من الملحوظات على السبورة، ثم عاد إلى محمود مُحدثًا إياه قائلًا:

- طب خُش عليا بقى بالأربع شباب إياهم.

رد محمود قائلًا:

- مالك إحنا خلصنا منه خلاص.. ويارا كلامها كان عايم مالوش لزمة.. لمّحت على أشرقت اللي خلاص اعترفت هاتلبس شروع في قتل، وكانت بتتهم مي.. بس برَّأت فؤاد نصَّار واستبعدت يكون حد من الأجانب عملها.

قال أكمل:

- طب وحبيب القلب جلال؟

ردَّ محمود بسرعةٍ دون أن يراجعَ أوراقه:

- جلال بالذات أنا فاكر أقواله.. حكى عن علاقته بمروة وإنه ساعدها.. وفضل يلف ويدور لحد ما واجهته بموضوع الريِّس اللي حكاهولي آدم قبل التحقيق مع موضوع المعلم اللي مالك شغال معاه.

قال أكمل منزعجًا:

- ما أعرفش ليه مخبيين الموضوع ده كأنه سر حربي.. ما يقولوا إنهم مسميين فؤاد الريِّس وإنه كان بيجمعهم في فيلا الغرباوي اللي في الصحراوي.. عشان يعملوا كتاب بيدعمهم فيه وبيقدمهم للجمهور بجد وبيصنع لكل واحد فيهم شهرة في مجاله.

قال محمود:

- خبر زي ده لو كان اتنشر كان ممكن يعمل له مشاكل هو في غنى عنها.

انتظر محمود لحين انتهاء أكمل من تدوين ملاحظاته، ثم قال:

- حسب اللي قاله آدم وأكّدت عليه يارا وجلال: إن فؤاد قرر يعمل رواية كبيرة هايكون هو صاحب الفكرة الرئيسية والخطوط العريضة فيها، وكان هايخلّي آدم يشتغل على الشخصيات والتفاصيل، وجلال كان هايضيف جانب رومانسي في الرواية ويهتم بجزء العلاقات والمشاعر، ومالك كان هايحط إيفيهات وكلام ساخر في الحوار عشان الرواية ما تبقاش مملة.

سأله أكمل قائلًا:

- طب وبالنسبة ليارا تميم؟

- كانت هاتكتب قصيدة في بداية كل فصل، كنوعٍ من أنواع التسويق.. صحيح الأربعة مواهبهم متفاوتة ومش كلهم جامدين.. بس لما فؤاد يجمَّعهم ويقرر يكتب معاهم كتاب ويدعمهم ده معناه إنه كان بيقدم أربعة يخلفوه في الكتابة من خلال عمل الناس تفتكره بيه.. واللي فهمته من آدم إنهم ما كتبوش حاجة تقريبًا وكل اللي كانوا بيتجمعوا عشان كان مجرد عرض للأفكار.

قرع أكمل جرس المكتب طالبًا فنجانًا إضافيًّا من القهوة، وعرض على محمود أن يشرب معه فرفض الأخير مشيرًا إلى بطنه كأنه سيتقيأ من كثرة القهوة.. تلقى أكملٍ اتصالًا من يمنى زوجته فأجابه - كالمعتاد - بالرفض، ونظر سريعًا في هاتفه فوجد مكالمةً فائتةً من مي أبو المجد من الرقم الخاص بالطوارئ الذي أخذته منه في المطعم.. فلم يُبدِ أدنى اهتمام حتى لا يُثير شك ابن خالته، وقال:

- طب وريني أقوال آدم الرسمية بغض النظر عن القعدة اللي فتن ليك فيها عن صحابه دي.

قال محمود مُدافعًا عن صديقه:

- لولا إنه خاف وحكى لي ما كنّاش عرفنا نضغط على يارا وجلال ومالك ونخليهم يتكلموا وخصوصًا الكارثة اللي اسمها مالك دي.

حرَّك أكمل سبابته بشكلٍ دائري في إشارةٍ تدل على الاستعجال، وقال:

- أنا فاكر إني فاجئته بإننا عارفين موضوع مروة غالي وإنه بيحبها..

أكمل محمود قائلًا من الورق الذي أمامه:

- حصل يا باشا.. هو استبعد إن يعقوب حنّا أو خالد أو سلمى حجازي يكون حد فيهم هو اللي قتل فؤاد، ولمّح إن كريم الريَّان ممكن يكون هو القاتل أو أجَّر حد يقتل فؤاد..

قال أكمل مكملًا حديث محمود بعد أن بدا عليه التذكر:

- أيوه وبرضه قال لي إنه شاكك في لطفي أبو الخير، وفي أشرقت.. الواد آدم ده سلم لنا رقاب ناس كتير من غير ما يحس.

قال محمود مُعقبًا:

- الخايف مخه بيعطل وما بيعرفش يكدب.

فكر أكمل قليلًا، ثم قال لمحمود:

- متأكد إنه مقالش ليك حاجة زيادة في القعدة اللي تمت بينك وبينه قبل التحقيق.

أجاب محمود على الفور وبدون تفكير:

- لأ يا أكمل.. أكيد كنت هاقول لك يعني!.. سيبك من آدم وخلينا مع فاروق نصَّار.

- طب إستنى أكتب كام نقطة جنب اسم آدم يمكن أحب أرجعله.. بصراحة ما ارتحتش له.. صادق وصادم زيادة عن اللزوم، وغالبًا هو اللي هايكون المشتبه الرئيسي في نظري.

لم يعقب محمود لأن أكمل لن يأخذ بشهادته في حق آدم بسبب صداقتهما، وقال محاولًا تغيير دفة الحديث بعيدًا عن آدم:

- يا ريِّس أنا مظبط الورق، ما لهاش لزمة حركة السبورة دي.

- ما بعرفش أفكر غير كده.. باتخنق من شكل الورق!.. قولت لي فاروق ماله؟

- فاروق كان صريح أو مثِّل إنه صريح وبيحكي حاجات مهمة عشان يداري على حاجات أهم.. اتكلم عن صداقته القديمة مع فاروق اللي اتحولت لكره متبادل.. بس حاسس إنه لسه بيحب فؤاد وزعل جدًّا واتأثر بموته.

قال أكمل بتلقائيةٍ:

- واتهم خالد العبد إنه هو اللي قتل الغرباوي عشان هو اللي خلاه يرجع يكتب تاني.

همَّ محمود أن يكمل حديثه، ولكنه استدرك قائلًا:

- طب ما أنت مركز آهه وعارف كل واحد قال إيه!

ضحك أكمل ضحكةً متقطعةً، وقال:

- أنت فاكرني مغفل يا محمود.. دي ممكن تكون قضية عمري وصيتها يعدي صيت قضية "عزبة الخواجة".

- بس أنت بتسألني كتير وبتسكت أكتر.. فحسستني إني باحقق لوحدي.

قال أكمل بفخر:

- ولولا إنك حاسس كده ما كنتش هاتبدَّع في القضية.. أنا كنت باحسّن من طريقة شغلك عشان توصل للي أنت فيه دلوقتي ده.. بس أنا قاري كل الأقوال قبل ما آجي ومتابع القضية زيك ويمكن أحسن كمان.

قال محمود بخبثٍ:

- طب أدام أنت مذاكر بقى، قول لي خالد العبد قال إيه!

ابتسم أكمل وأدار ظهره لمحمود ونظر إلى اسم خالد على السبورة وقال:

- خالد ده داهية ومش سهل، وعلى فكرة هو مشتبه رئيسي بالنسبالي ويمكن شاكك فيه أكتر من آدم.. حاسس إنه مخبي أكتر من اللي بيقوله بكتير..

ثم أردف قائلًا وقد بدأ يكتب بجانب حديثه:

- بص هو بدأ كلامه بإنه خمّن إن لطفي هو الوحيد اللي اتهمه بالقتل، بعد كده فضل يرغي كتير بس ختم كلامه بإنه شبه متأكد إن سليمان عبد النور هو اللي قتل فؤاد عشان الفلوس اللي ليه عنده.

عقب محمود قائلًا:

- المشكلة إن سليمان ضعيف وجبان.. وحتى لو قتل الغرباوي فمش هايستفيد حاجة من قتله في المعرض وقدام الناس دي كلها، وكمان دي مش طريقة ياخد بيها فلوسه.

- موافقك.. كده مفاضلش قدامنا غير يعقوب حنّا.

قال محمود من الورق دون أن يعترضه أكمل:

- يعقوب كان أسلوبه دفاعي.. برّأ نفسه تمامًا واتكلم إنه بلغة البيزنس هو الخسران الوحيد من موت عم فؤاد..

قال أكمل متعصبًا:

- وفي الآخر رمى لنا قنبلة أشرقت في وشنا، وحكى موضوعها بتاع الملجأ وإن مشرف الدار بتاعها مات مسموم.. وأشرقت أنكرت الموضوع ده واعترفت إنها حطت سم لفؤاد.. السم اللي ما شربوش أصلًا!

جلس المقدم أكمل العطار مواجهًا زميله في التحقيقات، وقال:

- تعالى يا محمود نفكر بهدوء ومن البداية: الكاتب العالمي فؤاد الغرباوي اتقتل يوم حفلة توقيع روايته الجديدة، والخيمة اللي الحفلة اتعملت فيها كانت مردومة ناس، وعندنا أكتر من عشر متهمين رئيسيين.. منهم ناس ما كنتش موجودة أصلًا في الخيمة!

وكل واحد اتحقق معاه قال كلام عكس التاني، وكل واحد فيهم عنده دوافع للقتل.. بس الناس دي بتحدِّفنا لبعض وبيلعبوا بينا زي الكورة الشراب!

ثم أمسك رأسه، وقال بعصبيةٍ:

-تعرف أنا لو حد طلع قال لي إن فؤاد لسه عايش هاصدق، والله العظيم هاصدَّق!.. مش قادر أتخيل إحنا لو ما شفناش القاتل ده هايبقى شكلنا عامل إزاي؟.. يعني للأسف ما فيش قدامنا غير إننا نركز على الدافع اللي هايوصلنا للجاني.. والدافع ده مستحيل نستنتجه..

قاطعه زميله محمود قائلًا:

- إلا لو رجعنا بتفكيرنا لمحور الأحداث دي كلها: معرض الكتاب.

ثم قام من مكانه وسط ذهول محمود، فهذه كانت أول مرة يرى أكمل في هذه الحالة العصبية.. فقد نهض أكمل وأمسك بالملف المحتوي على تقرير الطب الشرعي وقطعه إلى أشلاء صغيرة وألقاه في سلة المهملات، وقال بصوتٍ عالٍ وقد جحظت عيناه حتى كادتا تخرجان من محجريْهما:

- التقرير ده مالوش أي تلاتين لازمة.. ما جبلناش غير الهبل بتاع جوز البنات المجانين اللي ربنا ابتلانا بيهم!

قال محمود بهدوء:

- إحنا محتاجين نركز.. باختصار كده سبب الوفاة مش هانعرف عنه غير إنه هبوط حاد في الدورة الدموية زي أي حد طبيعي، وكفاية أوي إننا متأكدين إنه اتقتل.. حل الجريمة دي في الدافع.

هدأت حدة أكمل قليلًا، وقال مؤيدًا رأي محمود:

- لو عرفنا ليه فؤاد الغرباوي اتقتل، هانعرف مين قتله.

فعقَّب محمود قائلًا:

- وعشان نعرف لازم نركز على حفلة التوقيع.

قاطع حديثهما رنين هاتف محمود الذي نسى إغلاقه.. أوشك على تجاهل المكالمة فلم تكن حالته مناسبة للرد على أي شخص، وكذلك كان وقته لا يسمح.. ولكنه اعتدل فجأة حين نظر إلى شاشة الهاتف، وقال لأكمل:

- ده رقم private بعد إذنك يا باشا هاطلع برة أرد.

نظر له أكمل مفكرًا، ثم قال:

- طب ما ترد هنا.. تلاقيه حد من القيادات لقى تليفوني مش مجمَّع معاه فاتصل بيك يطمن على سير التحقيقات.

رد محمود على الهاتف.. ولم يقل سوى بعض العبارات المبهمة مثل "تمام يا أفندم"، و"حاضر" و"في رعاية الله"..

أنهى المكالمة وصمت قليلًا، لم يتمتم إلا بعضًا من الحوقلة.. تاركًا الكثير من علامات الاستفهام ترتسم على وجه أكمل الذي لم يتحمل المزيدَ من دقائق الصمت، ثم قال مُستفهمًا:

- مالك يا محمود.. المكالمة دي كان فيها إيه؟!

صمت محمود قليلًا، ثم مسح وجهه بيديه وقال:

- الأخبار ما تسرش خالص يا ريِّس.

رد أكمل بفزعٍ لم يخلُ من ثبات أعصاب:

- انطق يا ابني.. حد مات واللا إيه؟!

- فؤاد الغرباوي ما اتقتلش.

قال أكمل بمنتهى الدهشة:

- نعم؟!.. إزاي يعني ما ماتش؟ إيه شغل الأفلام ده!

- ما قولتش إنه ما ماتش.. أنا قولت إنه ما اتقتلش.. فؤاد ببساطة اتصفى سياسيًّا.. له مقالتين سياسيتين اتشهروا وعلّموا مع الناس اللي برة البلد قبل اللي جواها.

صُعِق أكمل وفغر فاه، ثم قال متسائلًا:

- يعني اللي كان بيكلمك ده كان حد من اللي فوق؟!

- من فوق أوي.

- واتصل عشان يسأل على سير القضية؟.. ولا عشان يعرَّفك إن القضية كلها اغتيال؟

- هو كلمني يقول لي إني لازم أقنعك باللي هما عايزين يعملوه.

قال أكمل وقد بدا عليه الفهم:

- عايزين مننا نلبِّسها لأي حد، بس لازم الموضوع يتصدق ويتحبك صح.. قول لي هما عايزين يلبسوها لمين؟

ردَّ محمود بسرعةٍ:

- مي أبو المجد.

13 - خالتي وخالتك

وقفت يارا مشدوهة أمام شعار "دار النجاح للنشر" المعلّق على بوابة الدار، كان على يمينها مالك سعد الدين، وعلى يسارها جلال الذي أمسك بيدها أثناء مرور ثلاثتهم من البوابة، وقال مالك مخاطبًا يارا:

- أنا كنت ناوي أشتغل مع دور صغيرة ده لو هانزّل كتب أصلًا.. بس تفتكري يعقوب حنـّا عايزنا في إيه؟

ردَّت عليه يارا بشرودٍ:

- مش عارفة، بس مش متخيلة إني أخيرًا ممكن أشتغل مع دار النجاح.

ردَّ عليها جلال متهكمًا:

- مش ده يعقوب اللي اتحرش بيكي وإنتي بتعرضي عليه شغلك؟!

ردَّت عليه يارا متحديةً:

- أنا قولت هاشتغل مع النجاح، مش مع يعقوب.. في الأول وفي الآخر دي أكبر دار نشر في مصر.. بعدين كوني أدخل الدار دي تاني وأكون أنا اللي مطلوبة فيها ورايحة بمزاجي ومع خطيبي.. ده أكبر انتصار ليا.

قال مالك ساخرًا:

- مع خطيبك؟.. طيب.

ردت عليه يارا بحزم:

- على اعتبار ما سيكون..

ثم وجَّهت حديثها إلى جلال، وأردفت:

- واللا أنا غلطانة يا أستاذ جلال؟

تمتم جلال ببضع كلماتٍ لم تفهم منها الكثير.. فقال مالك ضاحكًا:

- أستاذ جلال بيخلع.. ده ناقص يقولك أنا اتسرعت وخالتي وخالتك واتفرقوا الخالات!

فردَّ جلال باقتضابٍ:

- ما خلعتش..

ثم وجَّه حديثه مخاطبًا يارا:

- بعدين إنتي إيه اللي غيَّر رأيك يا هانم.. مش كنتي شايفة الارتباط بيكتّف الحرية وبيربط الإنسان وكل الكلام ده؟

دافعت يارا عن نفسها قائلةً:

- أنا باقول خطوبة مش ارتباط.. وحتى لو اتجوزنا هايكون جواز مدني.. أنت عارف دماغي كويس يا جلال.

ردَّ عليها قائلًا:

- ماشي.. بس نشوف الأول يعقوب عايزنا في إيه.

قال مالك بصوتٍ خفيضٍ:

- أنا مش موافق على اللي بنعمله ده.. إحنا كده بنخون فؤاد بدم بارد.

قالت يارا معترضةً:

- مافيش أي خيانة.. الشغل شغل.. فؤاد الله يرحمه ما كانش هايكره لينا الخير.

بدأوا يصعدون درجات السلم متوجهين إلى مكتب يعقوب في الطابق الرابع، فعاود مالك اعتراضه قائلًا:

- آدم لو كان معانا كان مستحيل يوافق.. أنا لولا خايف يطلع فيه حاجة مهمة بعيدة عن شغلنا مع فؤاد ما كنتش جيت!

- سكرتيرة يعقوب لما كلمتني قالتي أقنعك أنت وجلال، ما جابتش سيرة الكلبوظة الرابع ده.. بعدين أنت لاقيته مش موجود قولت تلعب أنت دور الضمير الصاحي..

ثم قرصته في خده كأنها تمازح طفلًا، وقالت:

- الحياة فرص يا لوكا، وعلى فكرة أنا عندي معلومة أكيدة إن سلمى حجازي بعد ما خدت إخلاء سبيل راحت للطفي أبو الخير بيته!.. تفتكر بيعملوا إيه وبيتفقوا على إيه دلوقتي؟.. ده لو ماكانوش متفقين من زمان أصلًا.

ساد الصمت حتى وصلوا إلى الطابق المنشود.. فقال جلال مُنهيًا هذا النقاش:

- خلاص بقى.. خلونا نشوف الراجل ده عايزنا في إيه.

ساروا معًا في الردهة الطويلة المؤدية إلى مكتب يعقوب.. ومثلما توقع جلال لم يجد السكرتيرة، فقد خمّن أنها ستتجنبه حين يصل بسبب خوفها الشديد من منظره حين أتى آخر مرة إلى هذا المكتب ليتشاجر مع رب عملها.

طرقت يارا طرْقًا خفيفًا على باب غرفة المكتب الخاصة بيعقوب حنّا، وتقدمت عندما أُذن لها..

ولكن حدث ما لم يتوقعوه.. فحين دخلوا الغرفة فوجئوا بأن يعقوب لم يكن هو الجالس خلف المكتب!.. وبعد لحظاتٍ قال لهم الجالس وهو ينظر إلى كتابٍ موجودٍ على مكتبه متجاهلًا دهشتهم:

- من الصبح وأنا قاعد أراجع الأخطاء اللي في روايتي الجديدة.. الله يخرب بيت الاستعجال اللي هايودِّي الكُتَّاب الكبار في داهية!

***

ظل محمود جالسًا في انتظار ابن خالته.. تذكَّر كل ما حدث منذ بدأت هذه القضية المتعبة، وحاول أن يُفكر فيما يمكن أن يحدث له ولأكمل..

قاطع أفكارَه دخولُ أحد العساكر مصطحبًا أكمل دون أن يُقيده، وكان الأخيرُ يبدو أنيقًا بملابسه المدنية التي سلَّم بها نفسه للحبس الاحتياطي، فلم ينتقص الحبسُ من أناقته مثقال ذرة.. جلس العسكري مترددًا وقد أبدى التفكير في وضع يدي أكمل داخل الأصفاد، ولكنه نسي هذه الفكرة حين نظر إليه أكمل محذرًا والشرر يكاد يتطايرُ من عينيْه، وحين نظر له محمود وهو يهزُّ رأسه مُطمئنًا إياه أنه لن يدعه يهرب..

جلس أكمل أمام محمود على أحد المقعديْن المقابليْن للمكتب بوجهٍ مُنكسٍ في الأرض، وقال له محمود بصوتٍ خفيضٍ:

- شدة وتزول يا أكمل.

ردَّ عليه أكمل بعصبيةٍ:

- عارف إنها شدة وتزول، وعارف إني لازم ما أقلقش طول ما العسكري اللي حابسني بيديني التحية وبيقولي يا باشا.. بس الكلام ده تقوله لو أنا ممسوك ظلم أو حد افترى عليا.. أنا اعترفت خلاص يا محمود إني قتلت فؤاد الغرباوي بدافع حبي لمي أبو المجد..

قال محمود مُستنكرًا:

- يعني إيه يا ابن خالتي؟

- يعني خالتي وخالتك واتفرقوا الخالات.

- اعترفت ليه على نفسك وأنت متأكد إنك ما عملتش حاجة؟

قال أكمل بلهجةٍ متوسلةٍ:

- مي ما ينفعش تتحبس يوم واحد، وأنت كتّر خيرك إنك بلغتني إن الموضوع كله تصفية سياسية وإنهم ناويين يلبّسوها لمي علشان ألحقها.

- أنا لو كنت أعرف اللي بينكوا مستحيل كنت أقولك.. أنا عرفت الموضوع ده من شريف المنجي صاحبي عشان أبوه مساعد الوزير.. وأنا كنت مداينه بخدمة من فترة قريبة وهو ردّهالي في

الموضوع ده.

- التقرير اللي كنا شغالين فيه مع بعض.. أدنت فيه حد؟

- لأ أنا سلّمته زي ما كُنا عاملينه وسيبته متأيد ضد مجهول.

قال أكمل بلهجةٍ عمليةٍ:

- بس تعرف يا محمود أنا مش مرتاح للي بيحصل.. إحنا لو بنصفِّي الجواسيس وأعداء البلد بالطريقة البدائية دي وفي مكان عام، يبقى عليه العوض.

- الطريقة دي بالذات عشان ما حدش يشك.. فؤاد الله يرحمه كان جاسوس، وواضح إن فيه أدلة كتير ممسوكة عليه عشان يتصفى بالطريقة دي.. صحيح لسه ما فيش جهة رسمية واحدة أعلنت الموضوع ده بس أنا متأكد منه.

قال أكمل وهو يوشك على البكاء:

- مالقوش غير مي يعني؟

- مي شخصية مش عامة، وبرغم فلوسها الكتير مالهاش ضهر.. يعني من الآخر سهل تلبسها والخبر يعدِّي على الشعب عشان بيحبوا يشمتوا في الأغنيا..

ثم أردف قائلًا بلهجةٍ معاتبةٍ:

- بس أنت ما شاء الله قبل صدور قرار الضبط والإحضار كنت مسلم نفسك ومكلم صحفيين يصوروك وأنت رايح تعترف.

- ما ينفعش أتخلى عن اللي بحبها وهي مظلومة في قضية لمجرد إنها مالهاش دية.

قال محمود آسفًا:

- هاتستحمل الوضع ده يا أكمل؟

- أنت ما وعيتش على أبويا يا محمود.. صح؟

- كنت لسه مولود بعد ما مات بكام يوم.. أمي بتقول لي إني كنت نحس وبسبب الموضوع ده ما اتعملش ليا سبوع ولا عقيقة لحد دلوقتي.

- أبويا كان كل حياتي يا محمود.. كنت باسيب الخروج مع صحابي علشان أخرج معاه.. علِّمني كل حاجة باعرف أعملها، حتى التعامل مع الحريم هو اللي علّمهولي.. كان متصالح مع مراهقتي لدرجة إن لو جارنا اشتكى له إني بعاكس بنته كان بيمثِّل إنه بيضربني قدامه ويصالحني في السر.. يوم ما مات الدنيا – حرفيًّا – ضلمت في وشي.

ترحَّم محمود بصوتٍ خفيضٍ على روح أبي أكمل، ثم قال:

- وطبعًا مع الوقت الحياة كملت.

- مع الوقت اتعودت على الوضع لدرجة إني بعد سبع سنين - قبل ما أتجوز يمنى - حلمت إن أبويا رجع تاني.. بس ما كانش حلم، كان كابوس!

- ظهر لك في صورة وحشة؟

- بالعكس ظهر زي الأول بالظبط، ومن هنا كان الكابوس.. تخيل بعد أبويا كنت اتعلمت شرب السجاير، ودوست جامد مع البنات، وخدت راحتي في البيت وكلمتي بقت بتمشي على أمي وبسمة..

شوفت أبويا رجع راح ضربني بالقلم، ورجع راجل البيت وطبعًا أنا بطلت كل حاجة كنت بعملها باستمتاع عشان أرضيه.. ورجعت أصلّي زي الأول عشان ما يضربنيش زي زمان.. حتى الفجر رجع يصحيني أصليه معاه في الجامع زي الأول.

- بس دي كلها حاجات في مصلحتك، وحتى لو مش متعود عليها أو مش حاببها كمان.. كفاية حضن أبوك ووجوده معاك.

قال أكمل:

- كفاية إن وحشني الضرب اللي كان بيضربه ليا عشان بيخاف عليا.. عارف أنا كنت باعتبر أبويا ضهري في الدنيا وآديني عديت الأربعين ولسه حاسس إن ضهري مكسور ومحني زي ما يكون لسه ميت إمبارح.. بس خلاص اتعودت على الوضع بمرور الوقت، ومجرد حتى التفكير إن كل حاجة ممكن زي الأول بيقلقني على عكس ناس كتير بتحب الماضي وخلاص من غير ما يفكروا زيي.

قال محمود بفزعٍ:

- يعني نويت على إيه؟.. نويت تتأقلم على الوضع الجديد؟!

ردَّ أكمل بأسفٍ قائلًا:

- نويت أتعود على اسمي حاف من غير ألقاب.. وعلى لبس السجن، وعلى الحياة الناشفة اللي مفيهاش ستات، وعلى إن العملة تكون سجاير فرط.. ما فيش قدامي حل غير إني أبيع نفسي وأشتري مي.

- بس أنت كده مش بتبيع نفسك بس.. أنت كده بتيجي على حساب مستقبلك وتاريخك المنوّر، وعلى حساب يُمنى وولادها، وعلى حسابي أنا وبسمة.. أنت بتحمي مي، بس بتدمر كل حاجة حواليك.

ردَّ أكمل بأسفٍ:

- وعلى حساب حياتي كلها لو طلبت.. أنا طلعت بحب بنت الكلب دي أوي.

قال محمود بحماسٍ مفاجئ:

- طب بص.. أنا هحاول أشوف أي دليل قوي يدين حد غيرك ونقول إن دي كانت لعبة بيني وبينك عشان المجرم الحقيقي يطمن وشغل الألغاز ده.

قال أكمل بلهجةٍ غير مقتنعةٍ:

- حاول.. بس تقرير مدحت طلع النهاردة وعرفت إنه أدان مي.. صحيح هو من أول ما بدأنا التحقيق وهو شاكك فيها، بس النهاردة أعلنها بشكلٍ رسمي.

قال محمود بدهشةٍ:

- أنت عرفت إزاي وأنت في الحبس.. ده أنا لسه عارف قبل ما أقابلك بخمس دقايق بس!

- أنا في الحبس آه.. بس الناس بتتعامل معايا زي ما أكون لسه ماسك القضية وبيقولوا لي كل جديد بيحصل.

- طب فكرك مدحت مظبط أموره مع الناس اللي فوق؟

- بلاش نظلمه.. ممكن تكون إدانته لمي استنتاج وصل له من خلال الأقوال اللي عليها وكونها مستفيدة من وفاة فؤاد.. وممكن يكون فعلًا شغال معاهم من الأول، وهددوه ببيته وعيلته.. في كل الأحوال أنا مش زعلان منه.

قال محمود سؤالًا خطر على باله فجأة:

- أنت فعلًا كنت تعرف فؤاد زي ما قولت في الاعتراف؟

- دي الحاجة الوحيدة اللي اتقالت صح في الاعتراف كله.. أنا وقت ما عرفته كنت لسه راجع من مأمورية مهمة ونزل خبر بصورتي في الجرايد بيشكروا في مجهودي وقالوا إني ظابط كفء.. فلقيت فؤاد بيتصل بيا.

- وبعدين؟

- برغم إنه كان مشهور بس ما كنتش عارفه ساعتها، قال لي إنه كاتب وإنه بيكتب رواية بطلها ظابط وعايز يعرف تفاصيل كتير عن الشغل بتاعنا، وعن تفاصيل الحياة الشخصية بتاعتنا، أنا كنت ساعتها في إجازة والموضوع عجبني فوافقت.. لمّح إنه ممكن يديني مقابل مادي بس لما لقاني اتضايقت اعتذر وحدد لي معاد في بيته نتقابل.

- وكنت تعرف مي قبلها؟

- لأ.. فؤاد هو اللي عرَّفني عليها لما كنت باروح له بيته.. كانت جميلة وهادية بطريقة شدتني.

- طب ما يُمنى جميلة وهادية.

- بس أنوثتها هادية زيها.. مي أنوثتها طاغية، كان عليها بصة بتشقلب كياني وبتجرح عنيا.. مرة كنت شغال مع فؤاد واستأذن يدخل الحمَّام.. جت كلمتني بطريقة عمري ما هانساها.. وريحة بارفانها فضلت معلّقة معايا لدرجة إني كنت باحلم بيها وأصحى ألاقي الريحة في مناخيري..

- طب وكلمتها إزاي بعد كده وفؤاد ما كانش بيسيبكوا غير دقايق؟

- تاني زيارة طلبت منها قدامه ماركة البارفان بتاعها على أساس إني أديه هدية ليمنى.. قالتلي هادوَّرلك على إزازة فاضية.. وجابتهالي..

ثم أردف بابتسامةٍ خافتةٍ:

- لاحظت إن الإزازة عليها نقش غريب بخط صغير زي ما تكون معمولة بإبرة أو مسمار.. سألت على النقوش دي طلعت أرقام مكتوبة باللاتيني.. جمعتهم لقيتهم عشر أرقام أولهم صفر.

ضحك محمود وقال:

- طلع رقم تليفونها؟

- آه يا نبيه.

قاطع ضحكاتهما صوتُ طرْق على الباب من أحد الضباط يتعجّل محمود بالخروج، ولكن محمود أجابه بصوتٍ عالٍ وببضع كلمات لم يفهمها هو نفسه.. ثم استدار نحو أكمل وقال:

- طب هاتعمل إيه في تمثيل الجريمة؟

- هاقول إني إديت غريب القط مادة يحطها في المية اللي اتغلت مع البُن، وإنها سم بجد مش زي الهبل بتاع سلمى حجازي.. وزمان دلوقتي صديق قديم ليا بيقنع غريب يوافق على كلامي قصاد مبلغ محترم هاتجيبهولي أنت لما تقنع يمنى تبيع الشقة إياها.

- قصدك شقة المزاج؟

- هي الشقة الفقر دي.. من ساعة ما جيبتها وأنا ما شوفتش يوم عدل.

- فكرك هايبلعوها؟

قال أكمل بأسفٍ:

- حتى لو ما تتبلعش ممكن يشربوا النيل كله عشان تتبلع معاهم.. هما عايزين يلبسوها لأي حد وخلاص.

- بس أنت مش أي حد.. أنت محسوب على الدولة يا أكمل.

- بس الدافع بتاعي شخصي ومالوش علاقة ببدلة الظابط.. حبي لمي اللي أنا اعترفت بيه قدام الميديا كلها، وهاطلب منها هي كمان تعترف بيه.

قال محمود مُستدركًا:

- طب وهي وافقت بسهولة على التضحية دي؟

- هي ما عرفتش إني عملت كده عشان هي ما تتسجنش.. هي فاكراني قتلته بجد وكرهتني جدًّا.

- هو مش ده اللي هي كانت عايزاه؟

- فرق بين إنها تخلص منه بالطلاق وبين إنه يتقتل بإيد "عشيقها".. هي كانت بتحب فؤاد كإنسان حتى لو كانت كرهته كزوج.. بعدين هو قبل ما يموت صلّح حاجات كتير بينهم، وعمل كل حاجة علشان ينجَّح العلاقة دي.. أنا نفسي ما كنتش أتمنى إنه يموت موتة زي دي.

قال محمود:

- أوعدك هاتطلع منها يا أكمل.

- لو بتحبني ما تطلعنيش منها.

- تضحيتك دي مش مقبولة.. ولو فيه حد لازم يتسجن أو يتعدم بتهمة قتل فؤاد مش هايكون أكمل العطار، الأولى يكون حد بيكره الغرباوي بجد زي معظم اللي حققنا معاهم.

قال أكمل بحزمٍ:

- خلاص يا محمود القضية خلصت.

قال محمود:

- صدقني ما خلصتش..

ثم أردف بنفس لهجته الجادة وسط دهشة أكمل:

- طب إيه رأيك بقى يا ابن خالتي إني عايزك تفضل ثابت على كلامك ده، وتروح المحكمة متهم؟

- هو ده اللي هيحصل فعلًا.. بس ليه نفسك في كده؟

- علشان محتاج مهلة أكشف بيها القاتل الحقيقي.

- القاتل إحنا عرفناه خلاص، ومستحيل يتمسك لأنه مش شخص بعينه.. وحتى لو اتمسك هايطلّع الورق اللي يدين بيها فؤاد ويقول إنه كان جاسوس وإنه كان معارضة ممولة، وهيطلع هو منها زي الشعرة من العجينة.

- أنت مصدق إن فؤاد اتقتل علشان الكام مقالة السياسية اللي نزّلهم؟

أجاب أكمل على الفور:

- عبد الملك بن مروان.

- تقصد إيه يا أكمل؟

- ما سمعتش الاسم ده قبل كده ولا إيه؟

- سمعته في كتاب التاريخ مرة واللا إتنين، تقريبًا كان له فتوحات كتير.. ماله يعني وإيه علاقته بالقرف اللي إحنا فيه؟

قال أكمل بلهجةٍ لم يسمعه محمود يتحدث بها من قبل:

- عبد الملك بن مروان قبل ما يتبلَّغ بخبر إنه بقى خليفة المسلمين بلحظاتٍ كان المصحف على حجره وكان بيقرأ منه، أول ما عرف إنه بقى الخليفة طوى المصحف على طول وقال زي ما يكون بيكلم المصحف: "هذا آخر عهدنا بك".

هزَّ محمود رأسه علامة على الفهم، وقال:

- آه الحكاية دي معروفة، بس ما كنتش رابط الاسم بالقصة.

- اللي مش معروف أوي عن الخليفة ابن مروان إنه قال في خطبة من خطبه: "لا أداوي أدواء هذه الأمة إلا بالسيف.. والله لا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا إلا ضربتُ عنقه".

ثم أردف قائلًا:

- باختصار يا محمود: السياسة مالهاش ملة!

قال محمود:

- يعني أنت مصدق إن فؤاد ممكن يخون بلده؟

- لأ.. بس أنت اللي قولت لي إن الموضوع كله اغتيال بهدف أمني.. فكنت باوضّح لك الأمن ممكن يقتل فؤاد ليه.

قال محمود بلهجةٍ خبيثةٍ:

- وأنا كل كلامي صدق؟ ما فكرتش إني ممكن أكون بشتغلك!

- وأنت هاتعمل كده ليه؟

- عشان عايز القاتل الحقيقي ياخد راحته وأعرف أمسكه بأدلة بجد بعيد عن إحساسي.

قال أكمل باستنكار:

- مش أنت قولت لي إن الموضوع تصفية أمنية، وإن ما فيش حد من اللي حققنا معاهم هو القاتل!

- كنت باكدب يا أكمل.

قال أكمل بدهشةٍ:

- إزاي يعني؟

- يعني قولتلك كده علشان التحقيق يتأيد ضد مجهول، والقاتل يطمن.. بس مفيش أي سياسة في الموضوع.

- نعم يا حيلتها!

نهض أكمل وأمسك في لياقة قميص محمود الذي لم يبدُ عليه العصبية، وقال بمنتهى الهدوء:

- وأنا كنت أعرف منين إنك هاتعمل فيها روميو وتضحي بنفسك علشان الست مي؟

- يعني بتغير سير التحقيقات عشان تبان ذكي، ده أنت ضيعت مستقبلي وبيتي وعيالي.

قال محمود دون أن يفقد ذرة من هدوئه:

- مستقبلك ما ضاعش، ورجوعك لمراتك أمره سهل، وأنا ما عملتش كده عشان أبان ذكي على حساب حياتك.. بس أنت اللي بوّظت الخطة!

- خطة إيه؟

أجلسه محمود بشيء من المجهود، وقال:

- كُنا هانعلن إن مي هي اللي قتلت جوزها، ورأي مدحت كان مساعد على كده.. علشان القاتل الحقيقي يرتاح.

- يعني عايز تفهمني إنك ما كنتش تعرف اللي بيني وبين مي؟.. ده أنت ما فيش حاجة بتستخبى عنك يا جناب الرائد!

- كنت عارف طبعًا من الرسالة اللي بعتها ليها عشان تحذرها قبل ما توصل المعرض، أنت نسيت إنك سيبت لي تليفونك أكلم منه النيابة؟..

لم يرد أكمل لشدة صدمته في الفتى الذي ربَّاه، فأكمل محمود حديثه قائلًا:

- بس كنت فاكرها حاجة طيَّاري زي نيللي كده.

قال أكمل دون أن ينظر في عينيْ محمود:

- أنا مش هاسكت.. ومش هاستحمل الحبس يوم واحد زيادة هنا وسمعتي برة بتنهار.

قال محمود باستنكار:

- خلاص فجأة بقى السجن وحش وسمعتك بقت مهمة؟.. عامةً أنت اللي اخترت يا أكمل.

- أنا كنت فاكرني باحمي مي من جهاز كامل.. مش من واحد زيك!

- طب إيه رأيك بقى إن اللي زيي ده مش هايخليك تطلع غير في الوقت اللي هو عايزه.

أطلق أكمل سبةً عاليةً جعلت أحد العساكر يقتحم المكتب سريعًا ظنًّا منه أن أكمل يُحاول الهروب.. ولكنه خرج سريعًا حين وجده جالسًا وحين أشار له محمود لينصرف.. ثم قال أكمل بعد انصرافه:

- شكلك كده نسيت نفسك يا محمود.. اتعدل ياله ده أنا اللي مربيك!

قال محمود محاولًا استرضاء أكمل:

- ما حدش هايحسِّن سمعتك ولا يرجعك لمراتك غيري.. هاظبّط لك أمورك بعد كده تقدر تروح تعمل كل اللي تحبه مع الست مي.. هاتفضل في الحبس لحد ما أعلن القاتل الحقيقي، وأقول إن كل اللي أنت عملته ده كان تمثيلية بالاتفاق معايا.. اللعبة دي أنا اللي كتبت قواعدها ويا تلعب وأنت ملتزم بيها يا هاتفضل طول عمرك مسجون!

قال أكمل بعِندْ:

- مش هاتمشِّي كلامك عليا يا ابن الأنصاري.. أنا هاخرج دلوقتي أقول كل حاجة وأبرأ نفسي، وهاسافر مع مي في أي مكان بعيد، وإنشالله تخرب بقى.

- لو عرفت تبرَّأ نفسك من قتل فؤاد الغرباوي.. هادخَّلك السجن في قتل غُنيم السلاف.. أوعى تكون نسيته.. صحيح مش هاتكون بنفس العقوبة، بس هتتئذي جامد برضه.

- أنت عرفت منين الموضوع ده؟

- عيب.. ده أنت بنفسك لسه قايل إني ما فيش حاجة بتستخبى عني.. الموضوع باختصار إني راقبتك وعرفت طريق الست نيللي، وهي كانت متعاونة أوي خصوصًا لما هددتها بملف الآداب بتاعها.. حكِت لي عن موضوع عزبة الخواجة بالتفصيل، وبصراحة ما كنتش مصدقها في الأول.. بس قولت أسأل ومش هاخسر حاجة، بعتت واحد زميلي استقال من الشرطة واشتغل في شركة أمن خاصة.. سأل في المحلة وبالصدفة البحتة وصل لعنوان إيناس المحلاوي.. صحيح هي كبرت دلوقتي، والزمن هدَّها بس لسه عقلها فيها، وصاحبي هددها لحد ما قالت له على كل حاجة وكمان دلته على عنوان محمد ابنها.

قال أكمل:

- هو لسه عايش ابن المنحوسة ده؟

- آه.. طلع ذكي وهرب من السلافين، بس راح زار أمه مرة وقالها على عنوانه الجديد، صاحبي أقنعه إنه ممكن يلبّسه قضية قتل واحد من السلافين مات قريب لو ما جاش واعترف إنه هو اللي قتل غنيم وإنك زوَّرت الحقيقة ومثلت بجثة غنيم عشان تاخد ترقية وبطولة وشرف إنت ماتستحقهومش.. ده غير المسدس اللي أنت سرقته وما حرزتوش.. تفتكر حاجة زي دي هايتسكت عليها من الروس الكبيرة؟

قال أكمل مستسلمًا:

- الموضوع ده ما ينفعش يطلع بره، وصاحبك ده لازم يسكت خالص.. أنا مش ناقص تشويه!

قال محمود بانتصار:

- هاتسمع كلامي يا جناب المقدم؟

- هاسمعه.. بس دي آخر قضية هانشتغلها مع بعض.. وما أسمعش سيرتك في أي موضوع باستثناء جوازك بسمة اللي مش هاقدر أبوظه للأسف.. وربنا يسامحني إني هاجوزها شيطان زيك.

قال محمود بخبثٍ:

- الحياة فرص يا أكمل.. بعدين ما تحسسنيش إن أنت اللي ملاك؟!

كاد أكمل أن يشرح له الفرق بين الدهاء والخسة، ولكنه لم يرِد خوض المزيد من الأحاديث معه.. فقال دون تفكيرٍ:

- قول لي مين القاتل الحقيقي!

- يعني موافق تمشي على الخطة اللي أنا رسمتها؟

- ما فيش قدامي حل تاني.

- ها تعرف في الوقت المناسب زيك زي أي حد، بس ابقى أعمل نفسك شريكي وفاهم كل حاجة من الأول، ما تقضحناش بقى يا ابن خالتي!

14 - خِلافٌ أدبيٌّ

- خالد العبد!

هكذا صرخت يارا وهي في قمة دهشتها بسبب جلوس خالد على مقعد يعقوب، ولكن جلال كان أكثر هدوءًا كأنه توقَّع حدوث شيءٍ كهذا وبدلًا من تضييع وقته في الاستغراب بحث بعينيْه عن يعقوب داخل الغرفة.. أما عن مالك فقد ضحك ضحكةً طويلةً وصفَّق بيديْه قائلًا:

- ملعوبة أوي يا خالد باشا!

ردَّ عليه خالد باستنكار:

- شكلك مش فاهم حاجة يا مالك أصلًا.

قال مالك وهو يجلس أمام مكتب خالد ويضع قدمًا فوق الأخرى:

- مش محتاجة نباهة.. واضح جدًّا إن يعقوب كان مجرد عضو في مجلس إدارة مؤسسة النجاح اللي هي مش مجرد دار نشر بس.. يعني ما كانش مجرد مالك للمؤسسة وخلاص زي لطفي أبو الخير ماهو صاحب دار بصيص.. وواضح برضه إنك بطريقة أو بالتانية قدرت تقنع مجلس الإدارة ينقلب عليه ويعينوك بداله.

قال جلال مكمِّلًا حديث مالك:

- أكيد استغل موضوع الخسارة اللي حصلت للدار بسبب موت فؤاد، وإن دار بصيص بتكبر وعملت مبيعات خيالية ودار النجاح لسه مكانها، وتلاقيه لعب بورقة إنه حاليًا يُعتبر أكتر واحد ظاهر على الساحة وبيبيع من بعد موت فؤاد..

قاطعته يارا قائلةً:

- وطبعًا وافقوا عليه كمدير للدار عشان سمعة يعقوب اللي زي الزفت..

قاطعهم خالد بسقفةٍ واحدةٍ بيديه، وأشار إليهم ليجلسوا قائلًا:

- هاتقعدوا تغنوا وتردوا على بعض كده كتير؟.. عامة تخميناتكم كلها صح.. المهم إن تعاملكوا هايكون معايا أنا بس تحت اسم الدار.

وضع مالك قدمًا فوق الأخرى بصورةٍ قصد أن تبدو مصطنعة، وقال مُستفهمًا:

- بس تعاملنا هايكون مع خالد العبد الكاتب؟ واللا خالد العبد مدير دار النجاح؟

ردَّ عليه خالد بإعجابٍ قائلًا:

- ما كنتش فاكر إنك ذكي كده يا مالك.. بس أنت هاتتعامل مع الاتنين.

قالت يارا مستفهمةً:

- مش فاهمة قصدك إيه بالظبط؟

- قصدي إني كنت معيِّن واحد يراقب لي فؤاد في آخر أيامه، وعرفت إنكوا كنتوا بتقابلوه في الفيلا بتاعته اللي في الصحراوي.. وعرفت موضوع الكتاب اللي بتكتبوه مع الغرباوي الله يرحمه.

قال مالك:

- عرفت إزاي والموضوع ده كان سر بين خمسة منهم واحد مات والتاني مستحيل يطلّع كلام زي ده برة والتلاتة الباقيين قدامك دلوقتي؟

صمت خالد، فقال جلال عبد الراضي مقتضبًا:

- أنا اللي قولت له.. ارتحتوا؟

حدَجه مالك بنظرةٍ غاضبةٍ تجاهلها جلال، وقال خالد مُنهيًا هذه اللحظات الحرجة:

- دلوقتي أنا هاعمل معاكوا اللي عمر فؤاد ما كان هايعمله:

هانكمّل الكتاب مع بعض وهاينزل باسمي جنب أساميكوا بنفس حجم الخط.. والمبلغ اللي هايطلع لنا من المبيعات بعد خصم حق الدار هايتقسم علينا إحنا الأربعة بالتساوي.

قالت يارا بلهجةٍ خبيثةٍ:

- أنت عايز تبيع باسم فؤاد تاني زي لطفي ما عمل مع "المملكة الظافرية"؟

- مين قال إن سيرة فؤاد هاتيجي وإن هو صاحب الفكرة.. أنا هاعتبر نفسي صاحب الفكرة..

ثم أردف مُصححًا:

- أنا وأنتوا طبعًا..

ثم كحّ كحةً خفيفةً، وأكمل حديثه قائلًا:

- إحنا بس هانسوَّق باسمه في نقطة إنكوا كنتوا من تلامذته، وهاتقولوا إنه كان مأجِّل ظهوركوا معاه وكان ناوي يقدمكوا للناس يوم حفلة توقيعه اللي مات فيها، وإنكوا اختارتوني أشتغل معاكوا مكانه.. بس فكرة الكتاب بمحتواه هاتتنسب لينا وبس.

قاطعته يارا قائلةً:

- ما كانش فيه فكرة ولا محتوى أصلًا، كلها كانت جلسات تعارف واقتراحات ما حصلش عليها إجماع.. يعني كده كده هانبدأ من الصفر.

قال جلال دون ترددٍ:

- الفرصة دي مش هاتتكرر.. أنا موافق.

صمتت يارا منتظرة رأي مالك، الذي صفَّق مرةً ثانيةً، وقال:

- أحييك يا أستاذ خالد.. فكرة عبقرية، بس للأسف أنا مستحيل أخون الراجل اللي عمل مني حاجة.

حدَّثته يارا فيما يشبه إعلانًا ضمنيًّا لموافقتها على الاقتراح:

- ما تبقاش غبي زي آدم.

ردَّ عليها مالك مُتحديًا:

- أنا لأول مرة في حياتي مش هابقى غبي.. أنا مش هاستنى أستاذ خالد يحن عليا ويغرف لي معلقتين من شعبيته.. أنا هاشتغل بنفسي واللي ربنا يجيبه رضا..

ثم وجَّه حديثه إلى خالد قائلًا:

- وكفاية عليك جوز الخيل اللي قاعدين دول.. ولو فكرت تئذيني بأي طريقة هاعمل زي شمشون وأهد المعبد على اللي فيه!

لم يكترث خالد بما سمع، وقال فيما يُشبه التهديد:

- باعرض عليك فرصة تبقى كاتب محترم وأنت مصمم ترجع تشتغل مع المعلم تاني؟.. مش خايف أبلّغ عنك المرة دي؟

- مستحيل أشتغل معاه، وحتى لو كان ينفع خلاص مركب رجوعي ليه اتحرقت من يوم ما اتحقق معايا في قتل فؤاد..

ثم قام من مكانه وأردف مُفسرًا:

- المعلم كترت سكاكينه وهايتقبض عليه قريب، أنا بعد ما روحت لمحمود الأنصاري وطلع عارف إني كنت شغال معاه حكيت له عن كل حاجة ممكن تخليه يقبض على المعلم، ووعدني يخلّي أكمل يشهد إني كنت مرشد ويعتبروني شاهد ملك.

ردَّ عليه خالد ضاحكًا:

- تعرف إني زمان كنت مصدق زيك موضوع شاهد ملك ده.. سألت مستشار كبير عن قانونية الموضوع ده.. قاللي إن تقريبًا مفيش كتاب قانون واحد ذكر المصطلح ده أصلًا.. وإن دي كدبة مؤلفين الأفلام عملوها عشان الناس تعترف بجرايمها ويحبوا يعملوا خير.

قال مالك دون أن تقل حدة لهجته:

- يحصل اللي يحصل إنشالله أتحبس طول عمري.. بس مش هاخون موهبتي ولا الراجل اللي ساعدني فيها.. مش هامشي في الضلمة تاني يا خالد بيه.

ثم توجَّه ناحية باب غرفة المكتب مُغادرًا إياها، وقبل أن يرحل قال محدثًا يارا:

- على فكرة نسيت أقولك.. جلال عنده ابن من الحرام ورافض يعترف بيه.. أنا باقول بما إنك غاوية تكسري تابوهات تبعدي عن صنف الرجالة كله.. مع السلامة.

كادت يارا أن تفقد الوعي ونظرت نحو جلال نظرةً كادت أن تحرقه، ولكن خالد بذكاء وسرعة بديهة تدارك الموقف قائلًا:

- مش وقت عواطف.. وأنتوا الاتنين مش لايقين على بعض أصلًا.. يارا مهما اتشاقت فهي في الآخر غلبانة عايزة تعيش وخلاص وضحية كبت من أهلها، وجلال من النوع اللي مش بيوقَّف حياته على شخص..

لم يرد عليه أيهما، فحاول محاولةً أخيرةً قائلًا:

- أنسوا أي خلاف دلوقتي.. تعرفوا إن سلمى حجازي قعدت مع لطفي أبو الخير؟

قال جلال بصوتٍ محتقنٍ:

- آه يارا قالت لي قبل ما ندخل لك.. بس ما كانتش عارفة كانوا متجمعين ليه.

ردَّ عليه خالد قائلًا:

- يا حضرات سلمى حجازي من ساعتين بس مضت عقد كتاب هاتكتبه وتنزله مع دار بصيص؟.. كتاب بيتكلم عن مذكراتها وعلاقتها بفؤاد الغرباوي..

طب تعرفوا إن كريم الريَّان بيجهِّز ألبوم جديد أغاني مع فرق موسيقية صغيرة ومعزوفات له لوحده، منهم معزوفة رثاء في فؤاد؟.. حتى بتوع حملة الانضباط الأدبي - اللي ما يعرفوش الفرق بين الأدب اللي هو politeness والأدب بمعنى literature - بقوا بيكتبوا مقالات مالهاش لازمة عشان يدافعوا عن نفسهم ويتبرأوا من اللي اسمها أشرقت دي!..

وضع خالد يديه على رأسه كأنه يمنع انفجارها وقال بصوتٍ عالٍ:

- كل الناس اللي كانت متهمة بتتاجر باسمها وبالحادثة، وبتجيب فلوس وشهرة.. بس إحنا لسه واقفين مكاننا.

قالت يارا بعد أن هدأت قليلًا:

- إيه المطلوب عشان نخلَّص بسرعة؟

- لازم نشتغل على الكتاب وبأسرع وقت.. أنا هاقوم بدور فؤاد، وأنتوا أدواركوا زي ما هي.. وهانجيب أي واحد مشهور تاني من على النت زي مالك يقوم بدوره..

قال جلال مقاطعًا حديثه:

- طب وآدم.. المفروض آدم كان هو اللي كان هايكتب أصلًا الهيكل الرئيسي للرواية.. فؤاد كان دوره شرفي.

قال خالد معترضًا:

- وأنا مش هاعرف أكتب اللي سي آدم بتاعك ده كان هايكتبه؟.. مش هاعرف أحط خطوط عريضة زي فؤاد وأكتب التفاصيل زي آدم؟

صمتت يارا وجلال فاعتبر خالد سكوتهما موافقة، وقال:

- على بركة الله.. نقرا الفاتحة لحد العقود ما تجهز؟

رفع كلٌّ من جلال وخالد أيديهما لقراءة الفاتحة، على عكس يارا التي ظلت ثابتة تتهكم في داخلها على منظرهما، وتفكر في شكل حياتها الجديد بعد انتهاء الكتاب.. سألت نفسها: كيف ستكون بدون جلال؟

***

وقف محمود الأنصاري أمام باب إحدى الشقق الكائنة في بنايةٍ قديمة الطراز، وطرق على الباب لتفتح له سيدةٌ كبيرةٌ في السن فبادرها بالتحية لتردها له قائلة:

- شكرًا إنك ما جيبتش معاك زمايلك يا باشا.

- أتمنى يا ما تحصلش أي حاجة تبوّظ الاتفاق اللي عملناه أنا وأنتي يا ست الكل.

- ما تقلقش يا ابني.

قال آدم بلهجةٍ جادةٍ:

- اللي اتفقنا عليه حصل؟

أشارت إليه ليدلف إلى الداخل، وقالت:

- آه .. اتفضل يا ابني، أدخل تاني أوضة على اليمين.

سار محمود ببطء وكان يقرأ المعوذتين في سره، فهو الآن على وشك التأكد من كل ظنونه تجاه قاتل فؤاد الغرباوي.. حدّث نفسه مُخبرًا إياها أنه يجب عليه أن يتماسك ويظهر يقينه من أنه قد عرف القاتل حقًّا حتى يستطيع أن يحصل منه على اعتراف يدعَم أدلته غير المتماسكة.. فقد سار وراء حدسٍ تأكد من صحته، دون أن يتأكد من إمكانية إثباته للعدالة بالدليل القاطع.. إلا في حالة حصوله على اعترافٍ من الشخص الماكث في تلك الغرفة التي دخلها دون استئذان، وجلس على أقرب مقعد فيها وقال بلهجةٍ لم تخلُ من إعجاب:

- بجد أنا مبهور باللي حصل ده كله.. آخر شخص كنت متخيل إنه ممكن يعمل كده.

ردَّ عليه محدثه قائلًا:

- بس إيه رأيك يا محمود.. شغل عالي وصعب يتمسك عليا حاجة لحد دلوقتي.

- بصراحة آه، بس تعرف أنا مستغرب إزاي ما فهمتهاش من زمان.. المعطيات كانت قدامي بس كل حاجة كانت لوحدها.. عندك مثلًا:

فؤاد بقاله سنتين ما كتبش حاجة جديدة غير شوية مقالات، ومراته بتقول إنه بطّل ينعزل عنها وبقى بيهتم بيها، ده غير سليمان عبد النور اللي قال إنه وصل بيه اليأس إنه يلجأ للسحر عشان يرجع له إلهامه، وفجأة وبقدرة قادر يعلن إنه كتب رواية كبيرة وخلصها في وسط استغراب من كل اللي حواليه!

هزَّ محدثه كتفيْه، وقال:

- بس ده مش معطى جامد أوي.. وما لوش معنى تقريبًا.

- بس معناه بيوضح بوجود كاتب شاب بيتعرف على فؤاد، وناس كتير - أولهم أنا - بيقولوا إن أسلوبهم قريب جدًّا من بعض برغم اختلاف المحتوى.. والمعنى بيتشرح أكتر لما الكاتب ده يكلمني لما قابلته في المعرض عن رواية "المملكة الظافرية" بتفصيل أوي كأنه قراها.. تعرف إني راجعت كل تصريحات فؤاد عن "المملكة الظافرية" وما لقتش فيهم إنه فيه احتمال يبقى ليها جزء تاني زي ما قولت لي يوم ما كنت مع بسمة!

ومما شجع محمود على استكمال حديثه سكوت الطرف الآخر والذهول الذي بدا عليه.. فأردف محمود قائلًا:

- وأظن المعنى هايكتمل بجد لما أجيب إذن من النيابة وأفتح جهاز الكمبيوتر بتاعك وأشوف مسودة الرواية وهي عندك بتاريخ أقدم من اللي على جهاز فؤاد قبل ما يعدِّل فيها وينشرها باسمه.

ضحك آدم ضحكةً طويلةً حتى كاد أن يدمع، وقال:

- برافو يا محمود.. حقيقي عجبتني..

بس مين بقى ممكن يصدق السيناريو الخايب ده؟!.. يا راجل دي فكرة خيالية أكتر من الروايات الرومانسية اللي جلال بيكتبها.

أومأ محمود برأسه إيجابًا، وردَّ عليه قائلًا:

- فعلًا السيناريو ده خايب أوي.. وكمان سهل تقول إن الشرطة لفقت لك مسودة الرواية وإنها متاخدة من كمبيوتر فؤاد واتلعب فيها عشان تتحط عندك بتاريخ قديم وتلبسها أنت.

رد عليه آدم قائلًا:

- تصدق صح.. ابقى فكّرني أقول كده لو استدعيتوني.

قال محمود مستحضرًا حيلته مع أكمل:

- تعرف إنك كمان ممكن تقول إن الموضوع كله مجرد تصفية سياسية علشان فؤاد نزّل من فترة كذا مقال فيهم آراء معارضة؟

ردَّ آدم ضاحكًا:

- ما تستقيل من شرطة وأعينك المحامي بتاعي يا سيادة الرائد.. بس تعرف حتة التصفية السياسية دي قالشة أوي ومش هاتتصدق.. أصل فؤاد كان بيعارض حاجات خفيفة.. ما كانش معارض قوي، وبعدين اللي حصل لفؤاد لو قولت عنه إنه اغتيال هايكون اغتيال غشيم أوي مش شغل نظامي خالص.

قال محمود مُتهكمًا:

- ولما كدبة الاغتيال السياسي دي هي مفقوسة أوي كده.. ليه دخلت على أكمل وشربها.. ده أنا أول ما قولت له إن مي هاتلبسها راح اعترف على نفسه؟

فكّر آدم قليلًا، وقال:

- يمكن عشان ابن خالتك اتعمى من وقت ما حب مي.. بصيرته ماتت بموت فؤاد..

ثم استدرك آدم قائلًا:

- تعالى هنا.. هو أنتوا مش مربطين موضوع القبض عليه مع بعض عشان توقعوني؟

- لأ يا سيدي مش مربَّطين، وأصلًا أكمل لسه ما يعرفش إنك أنت القاتل.. دي حركة أنا عملتها عشان أشتته عنك شوية بالست مي أكتر ماهه مشغول ومتشوش، بس هو لبس القضية زي الحمار.

- طب وليه عملت كده أصلًا؟

- بعيد عنك أكمل لو كان فايق لنفسه وفي قضية تانية بظروف تانية كان جابك أسرع مني بكتير.. وأنا مش عايزك تقع بسرعة عايزك تتدبح زي التور الهايج على كذا ضربة.

تجاهل آدم جملة القبض عليه، وقال متسائلًا:

- أومال إيه اللي هو عمله ده؟.. اعترف على نفسه وبوَّظ سمعته.

- تقدر تقول مراهقة متأخرة، طيش وهبل، أي حاجة تيجي على مزاجك يا عم آدم.

سأله آدم:

- بس اشمعنى كلمت أمي قبل ما تيجي وخليتها هي اللي تعرَّفني إنك كشفتني؟.. حرام عليك دي ما بطلتش عياط وممكن تموت لو اتحبست.

- انسى كلمة "لو" دي عشان أنت كده كده هاتتحبس ولازم تمهد الخبر للحاجة..

ثم أكمل حديثه مفسرًا:

- أمك نقطة ضعفك يا آدم.. أنت ما بتتجذبش لبنات، ومالكش في أي سكة شمال، حتى يوم ما عملت غلط اعترفت لي بيه قبل ما يتحقق معاك.. مع إني حتى لو عرفت إنه أنت فأنا ما قبضتش عليك في حالة تلبُّس، وكان سهل تنفي اعترافك اللي كان بيني وبينك بدون أي شهود.

- هي فعلًا لما قالت لي إنك عايز تتفاهم معايا بهدوء استنتجت إنك ناوي تأجل القبض عليا، وأحييك عشان عرفت تدخل لي من المدخل الصح وتوجّه لي رسالة إني ما ينفعش أهرب.. وأنا فعلًا ما كنتش ناوي أهرب.. أنا في نظر القانون بريء.

سأله محمود ساخرًا:

- أنت لسه مش مؤمن إنك خلاص بقيت تحت ضرسي؟

قال آدم مستفزًّا محمود:

- صحيح الدافع بتاعي كان مكشوف وسهل تخمنوه.. بس الشيطان بيكمُن في الدليل.. الدليل يا باشا.

قال محمود:

- فتش عن المرأة يا صديقي.. مروة على قد ما أقنعتك إنها متماسكة وقادرة تساعدك وتعتمد عليها، على قد ما لجامها فلت في اللحظة الأخيرة.. هي حبكت الدور كويس على المقدم مدحت زميلي، وقالت إنها ما تعرفش حاجة..

بس أنا كلمت واحد حبيبي شغّال في شركة الاتصالات اللي رقمك شغّال عليها.. جاب لي سجل المكالمات اللي أنت عملتها يوم حفلة توقيع فؤاد.. وطلع إن رقم مروة كان هو الرقم اللي كلّمك ساعة ما استأذنت وخلعت مني وسبتني أوصَّل بسمة لوحدي.

- إيه المشكلة في المكالمة؟.. حبيبتي وبتتصل تطمّن عليا.

- ده كلامك أنت.. بس هي لما روحت لها بالسجل ده ما احتاجتش مني مجهود جامد عشان أخليها تعترف بكل حاجة.. أنت خدعتها بإنك بتحبها وعرفت تلعب على نقط ضعفها كويس، وقولتلها تكلمك أول ما توصل هي وفؤاد للمعرض لما عرفت إنها -بحكم شغلها في صيدلية أمها- بقت مسئولة عن حقن الأنسولين اللي فؤاد لازم ياخدها بمواعيد معينة عشان السكر.. وإن مروة كانت مرتبة مع لطفي إنها لما توصل مع فؤاد هاتخلّي غريب القط يستنى بره البوفيه اللي جنب الخيمة لحد ما تديله الحقنة في معادها قبل ما يطلع للناس.

قال آدم:

- وروحت لها.. وبدّلت الأنسولين بالسم؟

هزَّ محمود رأسه نافيًا وقال:

- لأ يا آدم.. تقرير الطب الشرعي ما طلّعش سم في جسم فؤاد.. بس اللي ما تعرفوش إن مروة على قد حبها ليك كانت خايفة منك.. خافت تسلّمها للسجن وتخلع أو على الأقل ما

تتفذش وعدك ليا بالجواز، وكونها ضعفت واشتركت معاك في قتل فؤاد ما كانش ضمان كافي لإخلاصها.. أنا وعدتها بالحماية وهي اعترفت بكل حاجة.

قال آدم بيأسٍ:

- قالتلك على جرعة الأدرينالين الزيادة اللي خلّيتها تديها لفؤاد بدل الأنسولين؟

أومأ محمود إيجابًا وأغمض عينيْه وقال بحزنٍ:

- للأسف قلبه ما استحملهاش.. وطبعًا تقرير الطب الشرعي عمره ما هايدينك.. لأن الأدرينالين الزيادة مش هايظهر في التشريح إلا لو اتعمل بعد الوفاة بسبع ساعات بالكتير.. وطبعًا بحكم الروتين التشريح اتأخر عن المدة دي بكتير.

قال آدم مُبتسمًا:

- بس إيه رأيك في حركة الأدرينالين دي؟ صايعة.. مش كده؟

ثم أردف قائلًا:

فؤاد كان عارف أعدائه كويس، بس عمره ما اعتبرني منهم!

- فؤاد الله يرحمه عمره ما خوّن مروة ولا خوّنك.. مستحيل كان يفكر إن شيطان زيك يسيطر عليها.

ضحك آدم بصوتٍ وصل مسامع أمه، التي ظلت جالسةً في حجرتها تقرأ القرآن وتبكي بصمتٍ على ما وصل إليه حال ولدها، وقال:

- شيطان؟! فؤاد خد روايتي وقالي هانشرها باسمي وأول ما تتشهر هاقول إنها بتاعتك.. راح اتفق عليها مع لطفي ومضى العقد، روحت أقول له يعرَّف لطفي إن "المملكة الظافرية" بتاعتي كضمان لحقي.. قال لي إنساها وهاعوضك في كتاب تاني يكون بتاعك من الألف للياء هاشهرهولك..

شرع آدم في البكاء، وأكمل حديثه قائلًا:

- تقدر تقول لي عن شعورك وروايتك بتعدّي العشر طبعات في زمن قياسي، وعاجبة كل الناس وخلّدت اسم فؤاد الغرباوي وهي مش بتاعته أصلًا؟..

كلّمني عن شعورك لما تكون مبيعات الكام رواية اللي عليهم اسمك ما حصلوش نُص مبيعات طبعة واحدة من "المملكة الظافرية"!

تخيل كل النجاح ده وأنت مش قادر تتكلم وتقول إنه بتاعك عشان ما تواجهش نفس مصير فاروق نصّار وتقعد في البيت من غير شغل، تخيل إن صاحب دار "الناشر" لسه

لحد دلوقتي ما كتبتش حاجة من ساعة آخر شغل ليا معاه وبيقول عليا فاشل؟!

ويا ريت تقول لي هاتحس بإيه لو كل القرف ده حصل لك بسبب واحد بتعتبره زي أبوك بالظبط؟!

قال محمود بلهجة تعاطف:

- أكيد هاتحسَّر.. بس مستحيل أقتله.

رد عليه آدم بعصبيةٍ:

- ولما تروح له بفكرة رواية جديدة غير "المملكة الظافرية"، وتلاقيه خدها وعرضها على تلت كتاب غيرك وقال لهم إنه هو صاحب فكرتها وهايجمعنا عشان نعمل كتاب جماعي؟!

ثم قال بانهيارٍ:

- فكرتي كانت حلوة من غير فؤاد ما يعدِّل عليها أو جلال يحشر فيها رومانسيته الساذجة، ومن غير مالك ما يستظرف فيها، وأكيد مش محتاجة الست يارا تشعِر فيها بشعِرها الواقع.

قال محمود محاولًا الدفاع عن فؤاد:

- يمكن كان له وجهة نظر أنت ما فهمتهاش.

- الكلام ده كان قبل الإلهام ما يخاصمه.. بعيد عنك الكاتب لما مخه بيقف بيتحول لشخص تاني وبتجيله أفكار ممكن توديه في ستين داهية.. حتى أنا لما دماغي وقفت جت لي فكرة إني أقتله دي، ونفذتها.

زفر محمود كأنه نال الخلاص، وقال منتصرًا:

- أنت خلاص اعترفت يا آدم!

ردَّ عليه آدم مستسلمًا:

- أقبض عليا أنا خلاص مش هاقدر أعيش بالسر ده كتير، ومش هاقدر أقاومك لا أنت ولا ابن خالتك.. أنا قوّتي ظهرت بس لما دماغي وقفت عن الكتابة، وراحت مني بعد ما قتلت اللي سرق أفكاري.. يلا قول لي إن من حقي التزام الصمت وانتظار المحامي.. زي تحذير ميراندا بتاع الأفلام الأجنبي.

اعتدل محمود في جلسته، وقال بلهجةٍ جادةٍ:

- بس أنا مش هاقبض عليك.. أنا هاديك فرصة تسلم نفسك يا آدم.

ردَّ عليه آدم مُستفهمًا:

- هاتفرق يعني؟!

- هاتحسن موقفك شوية في القضية، صحيح مش كتير بس نص العمى ولا العمى كله.. ويا ريت تبرّأ مروة من الموضوع وتقول إنها ما كانتش تعرف إنك بدّلت الحقن.. البنت غلبانة ومتستاهلش تتمرمط عشان حبتك وصدقتك.

- من غير ما تقول يا باشا كنت هاقول إنها ما خدتش بالها أصلًا.. بس فيه سؤال هايجنني.

قال محمود مستفسرًا:

- سؤال إيه؟

- لما أنت عرفت إني قتلت فؤاد، ومعاك كل الأدلة دي.. عملت ليه موضوع الاغتيال السياسي ده وكنت عايز تلّبس مي أبو المجد القضية؟

- لسه ما فهمتهاش يا آدم؟ ده أنا باقول عنك ذكي..

بص أنا عملت الموضوع ده، وأجبرت أكمل يكمّل معايا في كدبة إنه هو اللي قتل فؤاد ووعدته إني هاصالحه على مراته.. كل ده عشان خاطرك أنت ووالدتك وخاطر الصحوبية اللي كانت بيننا.

- مش فاهم لسه.

- أنا عطلت سير القضية عشان أديك فرصة تكتب روايتك الأخيرة.. رواية هاتحكي فيها كل اللي حصل من أول فؤاد ما اتقتل لحد ما قبضت عليك.. قدامك مهلة أسبوع واحد بس تكون خلصتها.. لو أكمل هايروح محكمة وأنت لسه ما خلصتهاش هاقدم كل الأدلة اللي تدينك وأنت أصلًا ما عندكش قوة تنكر الجريمة.

قال آدم في محاولةٍ أخيرةٍ للفرار من جريمته:

- طب ما أنا ممكن أهرب..

قاطعه محمود قائلًا:

- مش هاتقدر يا ابني.. أمك مش هاتستحمل أكتر من كده وممكن تموت لو أنت هربت.. أنت انتهيت خلاص وأنا باديك فرصة خروج مشرِّف من اللعبة.. كِش ملك يا آدم!

قال آدم بلهجةٍ عمليةٍ بعد أن زفر بحِنق:

- طيب أنا هاحتاج منك تحكيلي كل اللي حصل في التحقيقات بالتفصيل، وطبعًا هاغيّر أسامي الشخصيات وشوية من أوصافهم.. بس هاتعرف تنشرها؟

- أوعدك وعد شرف إنها هاتتنشر.. وأقسم لك بالله إن كل إيراداتها هاتروح لوالدتك.

- فكرك هاستفيد حاجة من الرواية دي؟

- الرواية دي هاتعمل مبيعات أعلى من "المملكة الظافرية" مليون مرة.. وهاتخلّد اسمك ككاتب، حتى وإنت في سجنك.

بدا على آدم أن الفكرة رغم قسوتها قد أعجبته، ثم قال بعد وهلة من التفكير:

- موافق.. بس كمان بعد ما تحكي لي هاحتاج نسخة من ورق القضية.

أومأ محمود برأسه موافقًا، ثم قال بلهجةٍ تُشبه التهديد:

- عندي شرطين: الأول إنك مش هاتكتبها كأنها مذكراتك أو كأنها من وجهة نظرك.. أنت هاتكتبها كأنك راوي عادي بيحكي حكاية عادية بدون أي تحيز.. مش عايز يبان إننا بنوجّه الرأي العام للتعاطف معاك، يعني تبقى عبارة عن توثيق للأحداث بأسلوب أدبي فيه نسبة إثارة.

قال آدم دون تفكيرٍ هذه المرة:

- موافق، وكنت ناوي أعمل كده أصلًا.. إيه الشرط التاني؟

-مش هاتكتبها بأسلوبك اللي الناس بتشبهه بأسلوب فؤاد الغرباوي ده.. اكتبها بأسلوب جديد خالص،عايز اللي يشوفها وما يقراش اسم الكاتب على الغلاف ما يعرفش مين اللي كتبها.

الخاتمة

(حوار صحفي أجراه الصحفي إبراهيم علاء مع الرائد محمود الأنصاري بعد إعلانه إلقاء القبض على أحد الكُتّاب الشباب بتهمة قتل فؤاد الغرباوي)

- قبل أن نبدأ الحوار أحب أن أسجل إعجابي بأسلوب حضرتك في حل جريمة قتل الكاتب فؤاد الغرباوي.. خصوصًا حين علمت أن هذه أولى جرائم القتل التي تتولى التحقيق فيها.

- وأنا أيضًا أحب أن أقر بإعجابي بعملك في مجال الصحافة، الأمر الذي جعلني أخصك بهذا الحوار.

ولكن أحب أن ألفت نظرك إلى أن الفضل بعد الله في حل هذا اللغز يرجع للمقدم أكمل العطار.

- أهذا يعني حقيقة الإشاعات التي تقول: إن أكمل ضمك معه في التحقيقات بسبب صلة القرابة التي تجمعكما؟

- ولماذا لا تقول مثل الجميع إنني قد انضممت بسبب اسم أبي: اللواء عبد المجيد الأنصاري؟

- أتمنى ألا أكون قد أثرت غضب حضرتك.. ولكنني أنقل لك ما يُقال.

- لأ طبعًا أنا أسمع مثل هذا الكلام منذ أن التحقت بكلية الشرطة، واعتدت أن أتغلب عليه بعملي ومجهودي، والذي يمكنك - بالمناسبة - سؤال المقدم أكمل عنه.

- للأسف المقدم أكمل رفض إجراء أي حوارات صحفية، وكان يبدو عليه الضجر من تلك القضية.. كأنه كان ينتظر انتهاءها بفارغ الصبر.

- التمس له العذر.. فقد واجه الكثير من الضغوطات والمتاعب المهنية والشخصية بسبب ما تكّبده من عناء لأجل مصلحة القضية وكشف القاتل.

- هل صحيح أنه لم يُخبر أحدًا من القيادات عن الخدعة التي نفذتماها معًا.. وأنه كان يُعامل كباقي المساجين والمسجلين؟

- بالطبع .. فلم يعرف أحدٌ عن تلك الخدعة سواي أنا وهو والسيد مدير الأمن الذي أصر على إبقاء الأمر سرًّا..

وبالمناسبة فإنني قد أعلمت السيد مدير الأمن بوجوب تنفيذ هذه الخدعة قبل أن أخبر أكمل عنها وأقنعه بتمثيل دور المجرم.. حتى إن أكمل ومدير الأمن لم يتناقشا فيها قط!

- وكم كانت نسبة نجاح هذه الخدعة؟

- مائة بالمائة.. بدليل وجود القاتل الحقيقي في الحبس الآن منتظرًا المثول أمام المحكمة.

- منذ متى وأنت تعلم أن الكاتب الشاب آدم يكنْ هو من قتل فؤاد الغرباوي؟

- كان لديّ شك في دوافعه.. فكل المقربين من فؤاد قد أجمعوا أنه كانت لديه مشكلة في عدم وجود إلهام لديه مؤخرًا، وهذه المشكلة دفعته للجوء إلى الدجل والسحر كما دفعته إلى تكوين فريق رباعي مكوَّن من يارا تميم وجلال عبد الراضي ومالك سعد الدين وآدم يَكَنْ.. علّه يستفيد من أفكارهم الشابة ويكتب معهم كتابًا يضم أكثر من لون إبداعي..

أما عن روايته الأخيرة فأعتقد أنه قد وجد ضالته في آدم ووجد فيه إلهامًا بِكرًا لم يتلوث بضغط الجمهور ولا الناشرين بعد.

- هل تقصد أنك شككت في أن رواية المملكة الظافرية من تأليف آدم يكن؟

- كان لديّ يقين بهذا الأمر، ولكن آدم يكنْ لم يتقدم بأي شكوى ضد فؤاد الغرباوي لسرقته الملكية الفكرية لهذا العمل.

- ولكنه أقر عند إعادة التحقيق معه بأن الرواية من أول حرف لآخر حرف فيها من تأليفه وأن فؤاد قد خدعه لينشرها باسمه.

- في نظر القانون: شتَّان بين الإدلاء بأقوال في تحقيق في جريمة قتل، وبين التقدم ببلاغ رسمي للحفاظ على حقوق الملكية الفكرية.

- وهل ينوي آدم استرداد حقه في "المملكة الظافرية"؟

- لا أظن هذا.. فهو الآن مشغول بالخروج من جريمة القتل العمد بأقل عقابٍ ممكن، وحسبه ما أصابه من علاقته بفؤاد.. فقد استفزه الأخير ووعده بالشهرة والمجد بشرط أن يُعطيه رواية "المملكة الظافرية" لينشرها باسمه..

ولكنه لم ينفذ الوعد وأشرك يارا وجلال ومالك مع آدم في فكرة كتابه الجديد عكس ما تمنى آدم بأن يكون الكتاب المدعوم من فؤاد باسمه هو وحده..

- ومتى حدثت النقطة الفاصلة في علاقة الأستاذ بتلميذه؟

- حدثت حين طالب آدم بحقه في أن يدعمه الغرباوي ويقدمه للناس ككاتب مستقل تمهيدًا لدخوله عالم الأضواء والمجد.. فرفض فؤاد وأنكر وعده له.

- وهل تصدق كلام آدم يكن؟

- لا أعتقد في وجود مصلحة له إذا كذب.. فقد اعترف بجريمة القتل بعد أن واجهته بدوافعه وبالأدلة المضبوطة ضده.

- هل كانت ستستمر القضية إن لم يعترف آدم بفعلته في تحقيقات الشرطة والنيابة؟

- لا أظن أنها ستكون بالقوة الكافية لإدانته.. فقد أجاد هذا الكاتب الناشئ لعبته.. ضللنا في التحقيقات، ولم يوجد تقريبًا ما يُدينه.. لولا تقارب الأسلوب بينه وبين فؤاد، ولولا علمنا بضعف قدرات فؤاد على التأليف في الفترة الأخيرة.. ما كُنا قد توصلنا إلى أي نتيجة تقريبًا.

- قبل أن أختم حديثي معك.. أحب أن أخبرك أنني قد علمت من مصادري أن لديك حسًّا أدبيًّا قد ظهر مؤخرًا.

- ليس حدسًا أدبيًّا بالمفهوم التقليدي.. فقد اقترح عليَّ أحدُ الأصدقاء توثيق ما حدث في جريمة قتل فؤاد الغرباوي على شكل رواية مع تغيير بعض الأحداث وأسامي الشخصيات منعًا للتشهير.. وسوف يتم نشرها قريبًا مع الناشر لطفي أبو الخير صاحب دار بصيص.. وستكون مكتوبةً كأنها وجهة نظر راوٍ محايدٍ للأحداث، وليست من وجهة نظري كضابط شرطة.

- أيمكنك إطلاعنا على اسم الرواية؟

- سيكون اسمُها "معرض الكتاب".

تمت بحمد الله

22 أغسطس 2015

[G1]